Al-milani.com

التفسير والمفسرون

القسم الأوّل

تأليف:

السيّد علي الحسيني الميلاني

مركز الحقائق الإسلاميّة

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي (**بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلال مُبين**)[1] (**وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْميزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ**)،[2] فلم يزل (**شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذيرًا * وَداعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجًا مُنيرًا**).[3] حتّى إذا دنا أجله وقرب رحيله أخبرهم عن ذلك بقوله: «أيّها النّاس، إنّي يوشك أن أُدعى فأُجيب وإنّي مخلّف فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وإنّي سائلكم عنهما حين تردون عليّ كيف خلفتموني فيهما».

وفي لفظ أُخرجه أحمد: إنّي تارك فيكم خليفتين ... .[4]

(**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْليمًا**).[5]

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٨١.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

وصيّة النبي الأكرم ومخالفة الأُمّة

ولم يزل عليه وآله الصّلاة والسّلام يوصي باتّباع الكتاب والعترة والعمل بأوامرهما والإنتهاء عن نواهيهما، حتّى الأيّام الأخيرة من حياته الشريفة وفي مرضه الذي توفّي فيه، فقد أخرج ابن أبي شيبة وأبوبكر البزّار وغيرهما أنّه ـ بأبي وأُمّي ـ قال: أيّها النّاس، يوشك أنْ أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرةً إليكم، ألا وإنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي. ثمّ أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما.(١)

لقد كانت هذه وصيّته صلّى الله عليه وآله للأُمّة إلى يوم القيامة، كما صرّح بذلك جمعٌ من الحفّاظ والمحدّثين الأعلام، كالحافظ السخاوي، والحافظ السمهودي، وابن حجر المكّي.(٢)

ثمّ أراد أن يكتب الوصيّة بـ «الخليفتين» من بعده، فدعا بدواة وقرطاس ليكتب، فقام عمر فقال: «دعوه، إنّ الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله».

ومن هنا كانت المخالفة للوصيّة، وبدأ الإختلاف بين الأُمّة، ووقعت الفرقة، وأُبعدت العترة، وبقي كتاب الله وحده ... .

ولمّا توفي صلّى الله عليه وآله وسلّم، قام الرجل مرّة أُخرى وجعل ينادي: والله ما مات محمّد، ولو أنّ رجلاً قال مات ضربت رأسه بالسيف. فخرج العبّاس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأعلن وفاته للنّاس،

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣ / ٢٢١، سمط النجوم العوالي ٢ / ٥٠٢، الصواعق المحرقة: ٧٥، تهذيب اللغة ٩ / ٧٨.

(٢) أُنظر كتابنا: حديث الثقلين، تواتره ـ فقهه. ردّاً على الدكتور علي أحمد السالوس.

ولكنّ عمر ظلّ يردّد كلامه حتّى وصل أبوبكر، فقرأ الآية (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**) هنالك سكت عمر وسكنْ ... !

ثمّ راحوا يتنازعون الحكم من بعده، ولمّا اشتدّ الخلاف قام الرجل ـ للمرّة الثالثة ـ وبايع أبابكر، وتمّ الأمر له، وحمل النّاس على البيعة معه ... .

فتصدّى أبوبكر أمر الحكومة ببيعة عمر وحده، كما نصَّ على ذلك كبار الحفّاظ ... .

وأهل البيت معزولون، لا يخرجون من البيت ... .

وكما خالفوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وعصوا أمره في قضيّة الدواة والقرطاس، فقد خالفوا أمره في إنفاذ بعث أُسامة الذي لم يزل يكرّر ويؤكّد عليه ـ حتّى لعن من تخلّف عنه ـ وفي الجيش أبوبكر وعمر كما عليه المؤرخون وأصحاب المغازي قاطبةً.[1] يريد خلوّ المدينة منهم عند وفاته، فأمر أبوبكر من بعده بانفاذ الجيش لنفس الغرض وأبقى عمر ... .

وكان من أوائل ما أحدث أبوبكر أنْ صادر فدكاً من فاطمة الزّهراء بضعة الرسول، وهي أرض كانت ملكاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله فأعطاها إيّاها بيده الكريمة، فلمّا طالبته قال: سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ...[2] فخالف كتاب الله بحديث زعم أنّه سمعه من رسول الله ولم يسمعه منه أحد غيره! قال الرازي:

إنّ المحتاج إلى معرفة هذه المسألة ما كان إلاّ فاطمة وعلي وعباس، وكانوا هؤلاء من أكابر الزّهاد والعلماء وأهل الدين، وأمّا أبوبكر فإنّه ما كان محتاجاً إلى معرفة هذه المسألة ألبتّة، لأنّه ما كان

---

(١) أُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ١١٥.

(٢) أُنظر كتابنا: مسألة فدك وحديث إنا معاشر الأنبياء لا نورث.

ممّن يخطر بباله أنّه يرث من الرسول عليه الصّلاة والسّلام، فكيف يليق بالرسول عليه الصّلاة والسّلام أنْ يبلّغ هذه المسألة إلى من لا حاجة به إليها، ولا يبلّغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجة.[1]

فلمّا أبطلت ما قاله بآيات من القرآن الكريم، كتب لها كتاباً بفدك، فقام الرجل ـ للمرّة الرابعة ـ وأخذ الكتاب من يدها ومزّقه، كما نصَّ عليه غير واحد من علماء الفريقين.

فزادت قضيّة فدك في شدّة الخلاف ... .

هذا، ولم يزل الإختلاف بين الصّحابة:

فسعد بن عبادة وقومه، لم يبايعوا أبابكر ... .

وعلي وأهل البيت والهاشميون وجماعة معهم ... لم يبايعوه ... .

وقوم من القبائل ـ وهم من المسلمين الأوفياء للنبي الأكرم والدين الحنيف ـ امتنعوا من دفع الزكاة لأبي بكر لعدم إيمانهم بخلافته ... .

وبعض القبائل ارتدّت عن الإسلام وهمّوا باقتحام المدينة، ولولا علي عليه السّلام لما بقي من الإسلام أثر، لا في المدينة ولا في غيرها.

في السنّة والفقه

وكان أبوبكر كلّما سئل عن مسألة شرعيّة أو وقعت واقعة راجعوه فيها، جهل الحكم الشرعي ولم يدر ماذا يجيب، أو أفتى على خلاف الشّرع.

وأمّا ما كان من عمر ـ وكانت مدّته أطول ـ فأكثر وأكثر ... .

---

(١) تفسير الرازي ٩ / ٢١١.

وقد كان سبب جهلهما بالسنّة ـ وكذلك بالكتاب، ولذا لم ينقل عنهما من تفسير القرآن شيء كما سيجيء ـ عدم حضورهما عند النبي صلّى الله عليه وآله ليتعلّما منه أحكام الدين التي كان يعرفها حتّى النساء في البيوت ... حتّى اشتهر عن عمر اعتذاره بقوله: شغلني الصّفق بالأسواق.

فهذا جهلهما بالكتاب، وذاك جهلهما بالسنّة.

بل منعوا من كتابة السنّة ... . قال الحافظ الذهبي:

إنّ الصدّيق جمع الناس بعد وفاة نبيّهم فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.[1]

وحدّث الحاكم بسنده عن القاسم بن محمّد قال قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، قالت: فغمّني فقلت: أتتقلّب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح قال: أي بنيّة، هلّمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها، فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدّثني فأكون قد نقلت ذاك.[2]

وروى الحافظ ابن عبدالبر بسنده عن مالك:

إنّ عمر بن الخطّاب أراد أنْ يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثمّ قال: لا كتاب مع كتاب الله.[3]

---

(١) تذكرة الحفّاظ ١ / ٢ ـ ٣.

(٢) المصدر ١ / ٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٦٤.

وحينئذ، اضطرّوا أنْ يأخذوا الشّريعة من أراذل الأصحاب كالمغيرة بن شعبة وأمثاله ومن بعض النسوان![1] لأنّهم ما كانوا يريدون النقل عن أهل البيت، فإنّ عليّاً عليه السّلام وأولاده كانوا يأمرون بكتابة العلم.[1]

وبعد أنْ دوّنوا السنّة النبويّة بأمر من الحكومة، وذلك بعد أكثر من مائة عام من وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله، كان من الطبيعي حدوث الخلاف الشديد في النقل عن النبيّ صلّى الله عليه وآله والصّحابة، فنسبت الأقوال الكاذبة والأفعال الباطلة إليه، فقام جماعة عن المحدّثين يزعمون تمحيص السنّة وتهذيبها من الأفائك، فألّفوا كتباً سمّيت فيما بعد بالصّحاح، ولكنّها جاءت مشحونةً بالموضوعات، ومن ذلك الكتابان المنسوبان إلى البخاري ومسلم النيسابوري، اللّذان جعلوهما أصحّ الكتب بعد القرآن ـ وقال أكثرهم بتقدّم كتاب البخاري، ولعلّه لكونه أشدّ مجانبةً لأهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله ـ فضلاً عن غيرهما من الكتب المؤلَّفة في هذا الشأن ... .

ومن الطّبيعي أيضاً أنْ تختلف آراؤهم ـ والحال هذه ـ في إستنباط الأحكام الشرعيّة من تلك الأحاديث، وتصدر الفتاوى المخالفة للكتاب والسنّة الثابتة، ولذلك كثرت المذاهب الفقهيّة المتهافتة، ثمّ رأت الحكومة في القرون المتأخّرة حصرها في الأربعة المعروفة. وما أكثر الفتن الواقعة بين أتباع هذه المذاهب، أُريقت فيها الدماء وهتكت الأعراض، وجعل بعضهم يكفّر البعض الآخر، وما زالوا على هذه الحال إلى هذا اليوم.

وهذا باختصار تاريخ الإمامة والخلافة عند أهل السنّة ...

وهذا موجز الكلام على السنّة والفقه عندهم ...

---

(١) الإحكام في أُصول الأحكام لابن حزم، وسنورد نصّ كلامه بطوله في الكتاب.

وما كلّ ذلك إلاّ لمجانبتهم أهل البيت الذين أوصى النبيّ بمتابعتهم ...

في القرآن ...

وأمّا القرآن، فالخلفاء الثلاثة كانوا جاهلين به ...

والصّحابة الذين يعدّونهم علماء القرآن، ينقلون عنهم ما لا يجوز القول به ... والتابعون ... أكثرهم ينتحلون العقائد الفاسدة ...

والذين جاءوا من بعدهم ... أغلبهم مجروحون ...

وسنرى ذلك كلّه بالتفصيل في هذا الكتاب ...

هذا الكتاب

وقد ألّف الأُستاذ محمّد حسين الذهبي ـ من علماء الأزهر ـ كتاب (التفسير والمفسّرون) ووصفه بأنّه بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوّره وألوانه ومذاهبه، مع عرض شامل لأشهر المفسّرين، قال:

ورجوت من وراء هذا العمل أن أنبّه المسلمين إلى هذا التراث التفسيري، الذي اكتظّت به المكتبة الإسلامية على سعتها وطول عهدها، وإلى دراسة هذه التفاسير على اختلاف مذاهبها وألوانها، وألاّ يقصروا حياتهم على دراسة كتب طائفة واحدة أو طائفتين، دون من عداهما من طوائف كان لها في التفسير أثر يذكر فيشكر أو لا يشكر.

ورجوت أيضاً أن يكون لعشاق التفسير من وراء هذا المجهود موسوعة تكشف لهم عن مناهج أشهر المفسرين وطرائقهم التي يسيرون عليها في

---

(١) أُنظر: كنز العمّال ١٠ / ٢٦٢.

شرحهم لكتاب الله تعالى، ليكون من يريد أن يتصفح تفسيراً منها على بصيرة من الكتاب الذي يريد أن يقرأه وعلى بيّنة من لونه ومنهجه، حتّى لا يغتر بباطل أو ينخدع بسراب.

وفي اعتقادي أن في هذا الموضوع جدة وطرافة، جدة; إذ لم أسبق إليه إلاّ بمحاولات بسيطة غير شاملة، وطرافة; إذ أنه يعطي القارىء صوراً متنوعة عن لون من التفكير الإسلامي في عصوره المختلفة، ويكشف له عن أفكار وأفهام تفسيرية، فيها غرابة وطرافة، وحق وباطل، وإنصاف واعتساف، ومحاورة شيقة، وجدل عنيف».[1]

ثمّ ذكر عناوين أبواب كتابه وفصولها ... .

ولمّا كان على الكتاب المذكور مؤاخذات كثيرة، خاصّةً فيما يتعلّق بالشيعة وعقائدهم وتفاسيرهم ـ وسنذكر بعضها في موضعها ـ عمد العلاّمة الجليل الأُستاذ الشيخ محمدهادي المعرفة رحمه الله إلى تنقيحه وتهذيبه، فأخرج كتابه (التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب).

وهو وإنْ أجاد فيما صنع، إلاّ أنّ هناك ملاحظات على آرائه كذلك، وقد طرحت عليه جملةً منها في عدّة مجالس، فوعد بإصلاحها في الطبعة اللاّحقة، غير أنّ الأجل لم يمهله.

وقد طلب منّي بعض الفضلاء في الحوزة العلميّة وخارجها تدوين ما عندي حول التفسير والمفسّرين الشيعة والسنّة، وإخراجه للملأ العلمي، لتعمّ فائدته إن شاء الله، فجاء في قسمين، ذكرت في الأوّل (التفسير والمفسّرون عند أهل السنّة)، وفي الثاني (التفسير والمفسّرون عند الشيعة).

أمّا في الأوّل، فقد كان المهمّ عندي هو الكلام على المفسّرين من الصّحابة، ثمّ التابعين وأتباعهم، ثمّ أصحاب الكتب التفسيريّة، حتّى الفخر الرازي، فترجمت لهم ودرست أحوالهم دراسةً

---

(١) التفسير والمفسّرون ١ / ١٠.

نقديةً، وأوضحت قيمة تفاسيرهم عند المحقّقين من أهل السنّة، وكثير من بحوث هذا القسم مستفاد من سيّد المحقّقين آية الله السيّد حامد حسين الموسوي النيسابوري الهندي الشهير بـ«صاحب عبقات الأنوار» المتوفى سنة ١٣٠٦ في الهند رحمة الله تعالى عليه.

وأمّا الثاني، فموضوعه التعريف بأهمّ تفاسير الشيعة الإمامية الاثني عشريّة، وشرح مناهج أشهر المفسّرين القدماء عندهم، مع التعرّض لما ذكره الأُستاذ الذهبي حولها بالنقد والتحقيق.

ولنقدّم قبل الورود في البحث مقدّمات نذكر فيها عقيدتنا في القرآن، ومن يصلح لتفسير آياته، وأنّ علم القرآن ينتهي كغيره من العلوم في الإسلام إلى الإمام علي عليه السّلام، ثمّ نذكر معاني آيات القرآن، ومعنى التفسير والتأويل.

وأسأل الله أنْ يتقبّل منّي هذا العمل وسائر الأعمال، بجاه النبّي الأكرم والآل، إنّه سميع مجيب.

علي الحسيني الميلاني

المقدّمات

* في عظمة القرآن الكريم
* في أنّه لا يفسّر القرآن إلاّ النبي وأوصياؤه
* في إنتهاء علم التفسير إلى علي عليه السّلام
* في أقسام معاني القرآن
* في معنى التفسير والتأويل

المقدّمة الأُولى

في عظمة القرآن الكريم

إعلم أنّ الروايات الواردة في كتب الإمامية عن النبيّ وأهل بيته الطّاهرين عليهم السّلام في عظمة القرآن الكريم، والحثّ على التدبّر فيه، وحفظه، والإهتمام به، تفوق حدّ الإستقصاء، وهذه نبذة ممّا نرويه منها:

فعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها النّاس إنّكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم اللّيل والنهار والشمس والقمر يبليان كلَّ جديد ويقرّبان كلَّ بعيد ويأتيان بكلّ موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله، وما دار الهدنة؟

قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن

جعله خلفه ساقه إلى النّار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل،

وهو الفصل ليس بالهزل. وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليلٌ على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصّفة نظره، ينج من عطب ويتخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنّور، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص.

وعنه، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن سماعة بن مهران قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: إنّ العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه وهو الصّادق البارّ، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السّماء والأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم.

وعن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود قال: قال أبوجعفر عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثمّ أُمّتي، ثمّ أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي.

وعنه عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن أحمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى، فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور.

وعن عليٌّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي جميلة قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: كان في وصيّة أميرالمؤمنين عليه السّلام أصحابه: إعلموا أنّ القرآن هدى النّهار ونور اللّيل المظلم على ما كان من جهد وفاقة.

وعنه، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السّلام قال: شكا رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وجعاً في صدره. فقال صلّى الله عليه وآله: استشف بالقرآن، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: (**وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ**).

وعن أبي عليّ الأشعري، عن بعض أصحابه عن الخشّاب، رفعه قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً، ولا إلى بني أُميّة أبداً، ولا في ولد طلحة والزّبير أبداً. وذلك أنّهم نبذوا القرآن وأبطلوا السّنن وعطّلوا الأحكام. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: القرآن هدى من الضّلالة، وتبيانٌ من العمى واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياءٌ من الأحداث، وعصمة من الهلكة ورشدٌ من الغواية، وبيانٌ من الفتن، وبلاغ من الدُّنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم. وما عدل أحدُ عن القرآن إلاّ إلى النّار.

وعن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: إنَّ القرآن زاجر وآمر، يأمر بالجنّة ويزجر عن النّار.

وعن عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السّندي، عن جعفر بن بشير، عن سعد الإسكاف قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أعطيت السّور الطوال مكان التوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزّبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستّون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزّبور لداود.

وعن أبي عليّ الأشعري، عن محمّد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: يجيئ، القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورةً فيمرُ بالمسلمين فيقولون: هذا الرّجل منّا. فيجاوزهم إلى النبيّين فيقولون: هو منّا. فيجاوزهم إلى الملائكة

المقرّبين فيقولون: هو منّا. حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة عزّ وجلّ فيقول: يا ربّ، فلان بن فلان أظمأت هواجره وأسهرت ليله في دارالدُنيا، وفلان بن فلان لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنّة على منازلهم، فيقوم فيتّبعونه، فيقول للمؤمن: إقرأ وارقه، قال: فيقرأ ويرقى حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزلته الّتي هي له فينزلها.[1]

ومن خطب أميرالمؤمنين وكلماته في شأن القرآن وعظمته:

وعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والريّ الناقع. والعصمة للمتمسّك، والنجاة للمتعلّق، لا يعوّج فيُقام، ولا يزيغ فيُستعتب، ولا تُخلقه كثرة الردّ، وولوج السمع. من قال به صَدَقَ، ومن عمل به سَبَق.[2]

وقال في موضع آخر:

انتفعوا ببيان الله، واتّعظوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله. فإنّ الله قد أعذر إليكم بالجليّة، واتخذ عليكم الحجّة، وبيّن لكم محابَّهُ من الأعمال، ومكارهَهُ منها، لتتّبعوا هذه وتجتنبوا هذه، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول: «إنّ الجنّة حُفَّت بالمكاره، وإنّ النّار حُفَّت بالشهوات».

إلى أن يقول: «واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يَغُشّ، والهادي الذي لا يضلّ والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدىً، أو نقصان في عمىً.

---

(١) الكافي ٢ / ٥٩٨ ـ ٦٠١، الحديث ٢ الى ١١.

(٢) نهج البلاغة ٢ / ٤٩.

واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنىً، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال. فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله.

واعلموا أنّه شافع مشفَّع، وقائل مصدَّق، وأنّه من شَفَعَ له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صُدّق عليه. فإنّه ينادي مناد يوم القيامة: «ألا إنّ كلّ حارث مبتلىً في حرثه، وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن»! فكونوا من حَرَثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءَكم، واستغشّوا فيه أهواءكم».[1]

وأيضاً قال عليه السّلام في موضع آخر:

ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرَك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجُه، وشُعاعاً لا يُظْلم ضوءه، وفرقاناً لا يُخمد برهانُه، وتبياناً لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشَى أسقامه، وعزّاً لا تُهزم أنصاره، وحقّاً لا تُخذل أعوانه. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغُدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغِيْطانُه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا يُنْضِبُها الماتحون، ومناهل لا يَغِيضُها الواردون، ومنازل لا يضلّ نَهْجَها المسافرون، وأعلامٌ لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون.

جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داءٌ، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلا وثيقاً عروته، ومعقلا منيعاً ذِروته، وعزّاً لمن تولاّه، وسِلماً لمن دخله، وهدىً لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفَلْجاً لمن حاجّ

به، وحاملا لمن حَمَله، ومطيّةً لمن أعمله، وآية لمن توسَّم، وجُنَّةً لمن استلأم، وعِلْماً لمن وعى، وحَدِيثاً لمن روى، وحُكْماً لمن قضى.[٢]

(١) نهج البلاغة ٢ / ٩٠ ـ ٩٢.

(٢) نهج البلاغة ٢ / ١٧٧ ـ ١٨٨.

المقدّمة الثانية

في أنه لا يفسّر القرآن إلاّ النبيّ وأوصياؤه

ولا ريب في أنّ القرآن الكريم يحتاج إلى البيان والتفسير والإيضاح، فهل كُلّ أحد يمكنه بيان حقائقه والكشف عن أسراره؟

روى الشيخ البرقي عن أبي عبدالله عليه السّلام في رسالة:

وأمّا ما سألت من القرآن، فذلك أيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة، لأن القرآن ليس على ما ذكرت، وكلّ ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه.

وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم ولقوم يتلونه حق تلاوته.

وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه، فأمّا غيرهم فما أشدّ إشكاله عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم، ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ليس شيء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلاّ من شاء الله، وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه، وأن يعبدوه وينتهوا في قوله إلى طاعة القوّام بكتابه والناطقين عن أمره، وأن يستنطقوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم.

ثمّ قال: (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**)،[1] فأمّا غيرهم فليس يعلم ذلك أبداً ولا يوجد، وقد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلّهم ولاة الأمر، إذ لا يجدون من يأتمرون عليه ولا من يبلغونه أمر الله ونهيه، فجعل الله الولاة خواص ليقتدي بهم من لم يخصصهم بذلك. فافهم ذلك إن شاء الله.

وإياك وإياك وتلاوة القرآن برأيك، فإن الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور، ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلاّ من حده وبابه الذي جعله الله له.

فافهم إن شاء الله واطلب الأمر من مكانه تجده إن شاء الله.[2]

ورواه عنه المجلسي رحمه الله في البحار،[3] والحرّ العاملي في الوسائل.[4]

وروى بإسناد له: عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أباجعفر عليه السّلام عن شيء من التفسير، فأجابني، ثمّ سألته عنه ثانية، فأجابني بجواب آخر. فقلت: جعلت فداك، كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم. فقال: يا جابر، إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً وله ظهر وللظهر ظهر. يا جابر، ليس شيء أبعد

من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أوّلها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل منصرف على وجوه.[5]

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٢) المحاسن ١ / ٢٦٨، الحديث ٣٥٦.

(٣) بحارالأنوار ٨٩ / ١٠٠ ـ ١٠١، الحديث ٧٢.

(٤) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٩٠ ـ ١٩١، الحديث ٣٨.

(٥) المحاسن ٢ / ٣٠٠، الحديث ٦.

ورواه عنه صاحب الوسائل.[1]

وروى الشيخ الكليني:

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن زيد الشحّام قال:

دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السّلام، فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال أبوجعفر عليه السّلام: بلغني أنك تفسّر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم. فقال له أبوجعفر عليه السّلام: بعلم تفسّره أم بجهل؟ قال: لا، بعلم. فقال له أبوجعفر عليه السّلام: فإن كنت تفسّره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك. قال قتادة: سل.

قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ في سبأ (**وَقَدَّرْنا فيهَا السَّيْرَ سيرُوا فيها لَيالِيَ وَأَيّامًا آمِنينَ**).

فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت، كان آمناً حتّى يرجع إلى أهله.

فقال أبوجعفر عليه السّلام: نشدتك الله يا قتادة، هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت، فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته، ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟

قال قتادة: اللهمّ نعم.

فقال أبوجعفر عليه السّلام: ويحك يا قتادة، إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد أخذته من الرجال، فقد هلكت وأهلكت.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٩٢، الحديث ٤١.

ويحك يا قتادة، ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عزّ وجلّ: (**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوي إِلَيْهِمْ**) ولم يعن البيت فيقول إليه. فنحن ـ والله ـ دعوة إبراهيم عليه السّلام التي من هوانا قلبه قبلت حجته وإلاّ فلا. يا قتادة، فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة. قال قتادة: لا جرم ـ والله ـ لا فسرتها إلاّ هكذا.

فقال أبوجعفر عليه السّلام: ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به».[1]

وروى الشيخ الحرّ العاملي:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أبي: ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلاّ كفر.

ورواه البرقي في المحاسن عن أبيه عن النضر بن سويد ...

ورواه الصدوق في معاني الأخبار وفي عقاب الأعمال عن محمّد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد ...

قال الصدوق: سألت محمد بن الحسن عن معنى الحديث فقال: هو أن يجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أخرى.[2]

وروى عن الكليني:

---

(١) الكافي ٨ / ٣١١ ـ ٣١٢، الحديث ٤٨٥.

(٢) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٨٣، الحديث ٢٢.

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن سعد بن المنذر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبة له قال:

إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله وبصر به عماه، وسمع به صممه، وأدرك به ما قد فات، وحيي به بعد إذ مات. فاطلبوا ذلك من عند أهله وخاصّته، فإنّهم خاصّة نور يستضاء به وأئمّة يقتدى بهم، هم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.[1]

وروى شيخ الطائفة:

سعد بن عبدالله، عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن حماد، عن عاصم قال: حدّثني مولى لسلمان عن عبيدة السّلماني قال: سمعت عليّاً عليه السّلام يقول:

يا أيّها الناس، اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون، فإن رسول الله صلّى الله عليه وآله قد قال قولاً آل منه إلى غيره، وقد قال قولاً من وضعه غير موضعه كذب عليه.

فقام عبيدة وعلقمة والأسود وأناس منهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، فما نصنع بما قد خبّرنا به في المصحف؟ قال: يسأل عن ذلك علماء آل محمد عليهم السّلام.[2]

وكذا روى عنه صاحب الوسائل.[3]

وروى الشيخ الصّدوق:

---

(١) المصدر ٢٧ / ١٨٥، الحديث ٢٦.

(٢) تهذيب الأحكام ٦ / ٢٩٥، الحديث ٣٠.

(٣) وسائل الشيعة ٢٧ / ٢٦، الحديث ١٩.

حدّثنا محمد بن عمر الحافظ البغدادي قال: حدثني أبوعبدالله محمد بن أحمد ابن ثابت بن كنانة قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن العباس أبوجعفر الخزاعي قال: حدّثنا حسن بن الحسين العرني قال: حدّثنا عمرو بن ثابت، عن عطاء بن السائب، عن أبي يحيى عن ابن عباس قال:

صعد رسول الله صلّى الله عليه وآله المنبر فخطب واجتمع الناس إليه فقال صلّى الله عليه وآله:

يا معشر المؤمنين، إن الله عزّ وجلّ أوحى إليّ أني مقبوض وأن ابن عمّي عليّاً مقتول. وإني ـ أيّها الناس ـ أخبركم خبراً إن عملتم به سلمتم وإن تركتموه هلكتم: إن ابن عمي عليّاً هو أخي وهو وزيري وهو خليفتي وهو المبلّغ عني وهو إمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين، إن استرشدتموه أرشدكم، وإن تبعتموه نجوتم، وإن خالفتموه ضللتم، وإن أطعتموه فالله أطعتم، وإن عصيتموه فالله عصيتم، وإن بايعتموه فالله بايعتم، وإن نكثتم بيعته فبيعة الله نكثتم.

إن الله عزّ وجلّ أنزل عليّ القرآن وهو الذي من خالفه ضلّ ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك. أيها الناس اسمعوا قولي واعرفوا حق نصيحتي، ولا تخلفوني في أهل بيتي إلاّ بالذي أمرتم به من حفظهم، فإنهم حامتي وقرابتي وإخوتي وأولادي، وإنكم مجموعون ومساءلون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، إنهم أهل بيتي، فمن آذاهم آذاني ومن ظلمهم ظلمني ومن أذلّهم أذلّني ومن أعزّهم أعزني ومن أكرمهم أكرمني، ومن نصرهم نصرني، ومن خذلهم خذلني، ومن طلب الهدى في غيرهم فقد كذبني. أيها الناس، اتقوا الله وانظروا ما أنتم قائلون إذا لقيتموه، فإني خصم لمن آذاهم، ومن كنت خصمه خصمته. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.[1]

---

(١) الأمالي للصدوق: ٦٤ ـ ٦٥.

ورواه عنه صاحب الوسائل مقطّعاً.[1]

وروى:

حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن رحمهما الله قال: حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثنا أحمد بن أبي عبدالله البرقي قال: حدّثنا أبوزهير بن شبيب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام إذ دخل عليه غلام من كندة فاستفتاه في مسألة فأفتاه فيها، فعرفت الغلام والمسألة،

فقدمت الكوفة فدخلت على أبي حنيفة، فإذا ذاك الغلام بعينه يستفتيه في تلك المسألة بعينها، فأفتاه فيها بخلاف ما أفتاه أبوعبدالله عليه السّلام، فقمت إليه فقلت: ويلك يا أباحنيفة، إنّي كنت العام حاجّاً، فأتيت أباعبدالله عليه السّلام مسلّماً عليه، فوجدت هذا الغلام يستفتيه في هذه المسألة بعينها فأفتاه بخلاف ما أفتيته. فقال: وما يعلم جعفر بن محمد؟ أنا أعلم منه، أنا لقيت الرجال وسمعت من أفواههم، وجعفر بن محمد صحفي أخذ العلم من الكتب. فقلت في نفسي: والله لأحجنّ ولو حبواً. قال: فكنت في طلب حجة فجاءتني حجة، فحججت فأتيت أباعبدالله عليه السّلام فحكيت له الكلام، فضحك ثمّ قال:

أمّا في قوله إني رجل صحفي، فقد صدق، قرأت صحف آبائي إبراهيم وموسى. فقلت: ومن له بمثل تلك الصحف. قال: فما لبثت أن طرق الباب طارق وكان عنده جماعة من أصحابه، فقال للغلام: انظر من ذا، فرجع الغلام فقال: أبوحنيفة. قال: أدخله. فدخل فسلّم على أبي عبدالله عليه السّلام فردّ عليه، ثمّ قال: أصلحك الله، أ تأذن لي في القعود، فأقبل على أصحابه يحدّثهم

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٨٦، رقم ٣٣٥٦٠.

ولم يلتفت إليه، ثمّ قال الثانية والثالثة، فلم يلتفت إليه. فجلس أبوحنيفة من غير إذنه، فلما علم أنه قد جلس، إلتفت إليه فقال: أين أبوحنيفة فقيل: هو ذا أصلحك الله. فقال:

أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم. قال: فبما تفتيهم؟ قال بكتاب الله وسنّة نبيه صلّى الله عليه وآله؟ قال: يا أباحنيفة، تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال نعم. قال: يا أباحنيفة، لقد ادّعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلاّ عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلاّ عند الخاصّ من ذرية نبينا صلّى الله عليه وآله، ما ورّثك الله من كتابه حرفاً. الحديث.[1]

وروى الحرّ العاملي:

عن الطبرسي في الإحتجاج عن النبي صلّى الله عليه وآله في احتجاجه يوم الغدير:

عليّ تفسير كتاب الله والداعي إليه، ألا وإن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد، فأمرت أن آخذ البيعة عليكم والصفقة منكم بقبول ما جئت به عن الله عزّ وجلّ في علي أميرالمؤمنين والأئمّة من بعده. معاشر الناس، تدبّروا القرآن وافهموا آياته وانظروا في محكماته ولا تتبعوا متشابهه، فوالله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم عن تفسيره إلاّ الذي أنا آخذ بيده.[2]

وروى:

عن علي بن الحسين المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه نقلاً من تفسير النعماني بإسناده عن إسماعيل بن جابر عن الصّادق عليه السّلام قال:

---

(١) علل الشرائع ١ / ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٩٣، رقم ٣٣٥٧٤، الإحتجاج ١ / ٥٥.

إن الله بعث محمداً صلّى الله عليه وآله فختم به الأنبياء فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده ـ إلى أن قال ـ فجعله النبي صلّى الله عليه وآله علماً

باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كلّ زمان حتّى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم، وذلك أنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالخاص وهم يقدّرون أنه العام، واحتجوا بأوّل الآية وتركوا السنّة في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا وأضلّوا.

ثمّ ذكر عليه السّلام كلاماً طويلاً في تقسيم القرآن إلى أقسام وفنون ووجوه تزيد على مائة وعشرة. إلى أن قال عليه السّلام:

وهذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لا تشبه أفعاله أفعالهم، ولهذه العلّة وأشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى إلاّ نبيّه وأوصياؤه عليهم السّلام.

إلى أن قال:

ثمّ سألوه عليه السّلام عن تفسير المحكم من كتاب الله فقال:

أمّا المحكم الذي لم ينسخه شيء، فقوله عزّ وجلّ: (**هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**) الآية. وإنما هلك الناس في المتشابه، لأنهم لم يقفوا

على معناه ولم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء ونبذوا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وراء ظهورهم. الحديث.[1]

وروى قائلا:

الحسن بن علي العسكري عليهما السّلام في تفسيره بعد كلام طويل في فضل القرآن قال:

أتدرون من المتمسك به الذي له بتمسكه هذا الشرف العظيم؟ هو الذي أخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت ـ عن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ـ لا عن آراء المجادلين وقياس الفاسقين. فأمّا من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب، فقد جهل في أخذه عن غير أهله، وكان كمن سلك [طريقاً] مسبعاً من غير حفاظ يحفظونه، فإن اتفقت له السّلامة فهو لا يعدم من العقلاء الذم والتوبيخ، وإن اتفق له افتراس السّبع، فقد جمع إلى هلاكه سقوطه عند الخيرين الفاضلين وعند العوام الجاهلين. وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه، فقد تبوأ مقعده من النار، وكان مثله مثل من ركب بحراً هائجاً بلا ملاّح ولا سفينة صحيحة، لا يسمع بهلاكه أحد إلاّ قال: هو أهل لما لحقه ومستحق لما أصابه. الحديث.[2]

وروى الصفّار فقال:

حدّثنا هيثم النهدي، عن العبّاس بن عامر قال: حدّثنا عمرو بن مصعب، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال:

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧ / ٢٠٠ ـ ٢٠١، رقم ٣٣٥٩٣.

(٢) وسائل الشيعة ٢٧ / ٢٠١، رقم ٣٣٥٩٤.

سمعته يقول: إنّ من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان وحدثاته، وإذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم، ولو أسمع من لم يسمع لولّى

معرضاً كأن لم يسمع. ثمّ أمسك هنيئة ثمّ قال: لو وجدنا وعاء ومستراحاً لعلمنا. والله المستعان.[١]

وروى قائلا:

حدّثنا أحمد بن محمد، عن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر عنه قال:

إن في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن، وكانت فيه أسماء الرجال فألقيت، وإنما الاسم الواحد في وجوه لا تحصى. تعرف ذلك الوصاة.[٢]

وكذا روى:

حدّثنا الفضل، عن موسى بن القاسم، عن أبان، عن ابن أبي عمير أو غيره، عن جميل بن دراج عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد ذلك، تعرفه الأئمّة.[٣]

وكذا روى:

حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن محمد بن يحيى، عن عبدالرحمن، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إن هذا العلم انتهى إلى آي في القرآن. ثمّ

---

(١) بصائر الدرجات: ٢١٤.

(٢) المصدر: ٢١٥ـ٢١٦.

(٣) المصدر: ٢١٦.

جمع أصابعه ثمّ قال: (**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**).[1]

وروى فرات الكوفي فقال:

الحسين بن سعيد معنعناً عن سعد بن طريف قال:

كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السّلام، فجاء [ه] عمرو بن عبيد فقال [له]: أخبرني عن قول الله [تعالى]: (**وَلا تَطْغَوْا فيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبي فَقَدْ هَوى * وَإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا ثُمَّ اهْتَدى**). قال له أبوجعفر [قد أخبرك] أن التوبة والإيمان والعمل الصالح لا يقبل [لا يقبله لا يقبلها] إلاّ بالإهتداء [و] أمّا التوبة فمن الشرك بالله، وأمّا الإيمان، فهو التوحيد لله. وأما العمل الصالح فهو أداء الفرائض. وأمّا الاهتداء، فبولاة الأمر ونحن هم. وأمّا قوله: (**وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبي فَقَدْ هَوى**)، فإنّما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالإهتداء بنا وإلينا يا عمرو.[2]

وروى عليّ بن إبراهيم قال:

أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدّثنا محمد بن عبدالجبار، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن محمد بن مسلم قال:

سألت أباجعفر عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ: (**وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها**)، قال: الليل في هذا الموضع فلان، غشي أميرالمؤمنين في دولته التي جرت له عليه، وأميرالمؤمنين عليه السّلام يصبر في

---

(١) بصائر الدرجات ١ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) تفسير فرات الكوفي ١ / ٢٥٨.

دولتهم حتّى تنقضي، قال: (**وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى**)قال: النهار هو القائم عليه السّلام منا أهل البيت، إذا قام غلب دولته الباطل، والقرآن ضرب فيه الأمثال للناس وخاطب الله نبيّه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا.[١]

وروى السيّد البحراني، عن الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد:

عن أحمد بن الحسن القطان رحمه الله قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبدالله بن حبيب، قال: حدثني أحمد بن يعقوب بن مطر، قال: حدثني محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحدب الجنديسابوري، قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدّثنا طلحة بن زيد، عن عبدالله بن عبيد، عن أبي معمر السعداني، أن رجلاً قال له أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام:

إيّاك أن تفسّر القرآن برأيك حتّى تفقهه عن العلماء، فإنه ربّ تنزيل يشبه كلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه كلام البشر، وكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل.[٢]

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم ٢ / ٤٢٥.

(٢) البرهان في تفسير القرآن ١ / ٤١.

المقدّمة الثالثة

في انتهاء علم التفسير إلى علي عليه السّلام

ذكر علماء الإماميّة في أدلّة إمامة أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ في مقام تفضيله على غيره ـ وجوهاً كثيرة من الكتاب والسنّة والعقل، ومن ذلك قول العلاّمة الحلّي في المنهج الرابع في الأدلّة على إمامته المستنبطة من أحواله وهي اثنا عشر:

الثالث: إنّه عليه السّلام كان أعلم الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله. وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر» فيكون ... ومنه استفاد الناس العلم ... وعلم التفسير إليه يعزى، لأنّ ابن عبّاس كان تلميذه فيه. قال ابن عباس: حدّثني أميرالمؤمنين من تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من أوّل اللّيل إلى آخره.[1]

أقول:

يكفي دليلا على ما ذكر: قول النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث المتفق عليه بين المسلمين:

---

(١) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ١٦١ ـ ١٦٣. وانظر: شرح منهاج الكرامة والردّ على منهاج ابن تيمية، للمؤلف.

أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها.[١]

وقوله:

أنا مدينة الفقه وعلي بابها ... .[٢]

وقوله:

أنا دار الحكمة وعلي بابها.[٣]

وقوله في خصوص علم القرآن:

علي مع القرآن والقرآن مع علي.[٤]

وأمّا ما ورد في هذا الخصوص عن الصّحابة المفسّرين ـ كعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عبّاس وغيرهما ـ فمذكورٌ في الكتب بوفور:

عن عبدالله بن مسعود: إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن، وإنّ علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.[٥]

وعنه أنه سأله رجل: ألقيت عليّاً عليه السّلام؟ قال: نعم، قد لقيته وأخذت عنه واستفدت منه وقرأت عليه، وكان خير الناس وأعلمهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله. ولقد رأيته ثبج بحر يسيل سيلا.[٦]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٧، كنز العمّال ١٣ / ١٤٨، رقم ٣٦٤٦٣.
(٢) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٥٢، تنزيه الشريعة المرفوعة ١ / ٣٧٨.
(٣) سنن الترمذي ٥ / ٣٠١، رقم ٣٨٠٧، كنز العمّال ١١ / ٦٠٠، رقم ٣٢٨٨٩.
(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٤، مجمع الزوائد ٩ / ١٣٤، كنز العمّال ١١ / ٦٠٣، رقم ٣٢٩١٢.
(٥) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٣، رقم ٦٣٧٠، تفسير الثعالبي ١ / ٥٣، حلية الأولياء ١ / ٦٥.
(٦) بحار الأنوار ٨٩ / ١٠٥.

وعن ابن عباس قال: والله لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله، لقد شارككم في العشر العاشر.[١]

وعنه: إذا ثبت لنا الشي عن علي لم نعدل عنه إلى غيره.[٢]

وعن أبي الطفيل: كان علي يقول: سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار.[٣]

وأمّا أنّ ابن عباس تلميذ أميرالمؤمنين، فهذا ممّا اتّفق عليه الكلّ وصرّحوا به،[٤] وإن قال ابن تيمية بأنّ روايته عنه قليلة،[٥] وقد رووا عنه قوله:

علمي من علم علي.[٦]

---

(١) الإستيعاب ٣ / ١١٠٤.

(٢) أُسد الغابة ٤ / ٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٤٠٧، جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٥٨، الإستيعاب ٣ / ١١٠٤.

(٣) الإصابة في تمييز الصّحابة ٤ / ٤٦٧.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ / ٤٧٠، رقم ٥٥٩٤ حيث قال: «وصدرهم علي حتّى قال ابن عبّاس: ما أخذت من تفسيره فعن علي ويتلوه ابن عبّاس»، شرح المقاصد في علم الكلام ٢ / ٣٠٠، حيث قال: «واستند العلماء في كثير من العلوم إليه كالمعتزلة والأشاعرة في علم الأصول والمفسرين في علم التفسير فإن رئيسهم ابن عبّاس تلميذ له».

(٥) أُنظر: دراسات في منهاج السنّة، وهو مدخل لشرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، للمؤلف: ٢٣١.

(٦) ينابيع المودّة ١ / ٢١٥، رقم ٢٥، نهج الإيمان: ٢٩٤.

المقدمة الرابعة

في أقسام معاني ألفاظ القرآن

ثم إنّه ليس كلّ القرآن يحتاج إلى التفسير، فمنه ما لا يفسَّر، ومنه ما لا يحتاج إليه، وأمّا ما يحتاج، فلا يرجع فيه إلاّ إلى أهل العصمة:

قال شيخ الطائفة أبوجعفر الطّوسي:

والذي نقولُ به: إنّ معاني القرآن على أربعة أقسام:

أحدها: ما اختصَّ الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلّف القول فيه، ولا تعاطي معرفته، وذلك مثل قوله تعالى: (**يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبّي لا يُجَلّيها لِوَقْتِها إِلاّ هُوَ**)،[1] ومثل قوله تعالى: (**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ**)[2] إلى آخرها.

فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ.

وثانيها: ما يكون ظاهره مطابقاً لمعناه، فكلّ من عرف اللّغة التي خوطب بها عرف معناها، مثل قوله تعالى: (**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاّ بِالْحَقِّ**)،[3] ومثل قوله تعالى: (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**)،[4] وغير ذلك.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

(٢) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١، سورة الإسراء: الآية ٣٣ وسورة الفرقان: الآية ٦٨.

(٤) سورة التوحيد: الآية ١.

وثالثها: ما هو مجمل لا ينبئُ ظاهره عن المراد به مفصّلا. مثل قوله تعالى: (**أَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ**)،[1] ومثل قوله: (**وَللهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً**)،[2] وقوله: (**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ**)،[3] وقوله: (**في أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ**)،[1] وما أشبه ذلك.

فإنّ تفصيل أعداد الصّلاة وعدد ركعاتِها، وتفصيل مناسك الحجِّ وشروطه، ومقادير النصاب في الزكاة، لا يمكن استخراجه إلاّ ببيان النبيّ صلّى الله عليهوآله ووحي من جهة الله تعالى.

فتكلّف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، ويمكن أنْ تكون الأخبار متناولة له.

ورابعها: ما كان اللّفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما، ويمكن أنْ يكون كلّ واحد منهما مراداً.

فإنّه لا ينْبغي أنْ يقدم أحد به فيقول: إنّ مراد الله فيه بعض ما يحتمل إلاّ بقول نبي أو إمام معصوم; بل ينبغي أن يقول: إنّ الظاهر يحتمل لأُمور وكلّ واحد يجوز أنْ يكون مراداً على التفصيل، والله أعلمْ بما أراد.

ومتى كان اللّفظ مشتركاً بين شيئين، أو ما زاد عليهما، ودلّ الدّليل على أنّه لا يجوز أن يريد إلاّ وجهاً واحداً، جاز أن يقال: إنّه هو المراد.

ومتى قسّمنا هذه الأقسام، نكون قبلنا هذه الأخبار ولم نردّها على وجه يوحشُ نقلتها والمُتمسكين بها، ولا منعنا بذلكَ من الكلام في تأويل الآي جملةً.

---

(١) متكررة في سورة البقرة: الآية ٤٣، ٨٣، ١١٠ وفي سورة النساء: الآية ٧٧، وفي سورة الحجّ: الآية ٧٨ وفي سورة النور: الآية ٥٦، وفي سورة المجادلة: الآية ١٣، وفي سورة المزّمل: الآية ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤١.

ولا ينبغي لأحد أنْ ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً، أو يقلّد أحداً من المفسّرين، إلاّ أنْ يكونَ التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتّباعه لمكان الإجماع ... .

ولا يجوز لأحد أنْ يقلِّد أحداً منهم، بل يَنبغي أنْ يرجع إلى الأدلّة الصحيحة: إمّا العقليّة أو الشرعيّة، من: إجماع عليه، أو نقل متواتر به عمّن يجب اتّباع قولهِ، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصّةً إذا كان ممّا طريقه العلم.

ومتى كان التأويل يحتاجُ إلى شاهد من اللّغة، فلا يقبل من الشاهد إلاّ ما كان معلوماً بين أهل اللّغة، شائعاً بينهم.

وأمّا ما طريقه الآحاد من الروايات الشاردة، أو الألفاظ النادرة، فإنّه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله.

وينبغي أنْ يتوقف فيه ويذكُر ما يحتملُه، ولا يقطع على المراد منه بعينه،

فإنّه متى قَطع بالمراد كان مخطئاً، وإنْ أصاب الحق، كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله; لأنّه قال تخميناً وحدساً، ولم يصدر ذلك عن حجّة قاطعة، وذلك باطل بالاتفاق.[٢]

وتبعه الشيخ أبوعلي الطبرسي، فذكر حديثاً عن ابن عبّاس في تقسيم التفسير إلى أربعة معان، فقال:

وروي عن عبدالله بن عبّاس:

أنه قسّم وجوه التفسير على أربعة أقسام:

---

(١) سورة المعارج: الآية ٢٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ١ / ٥ ـ ٧.

تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعرفه إلاّ الله عزّ وجلّ.

فأمّا الذي لا يعذر أحد بجهالته، فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد.

وأمّا الذي تعرفه العرب بلسانها، فهو حقائق اللّغة وموضوع كلامهم.

وأمّا الذي يعلمه العلماء، فهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام.

وأمّا الذي لا يعلمه إلاّ الله، فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام السّاعة.

قال:

وأقول: إن الإعراب أجلّ علوم القرآن، فإن إليه يفتقر كلّ بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق ويستخرج من فحواها الأعلاق، إذ الأغراض كامنة فيها،

فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتّى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتّى يرجع إليه، وقد روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه. وإذا كان ظاهر القرآن طبقاً لمعناه فكلّ من عرف العربية والإعراب عرف فحواه ويعلم مراد الله به قطعاً.

هذا إذا كان اللّفظ غيرمجمل يحتاج إلى بيان ولا محتمل لمعنيين أو معان، وذلك مثل قوله (**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاّ بِالْحَقِّ**) وقوله (**وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ**)وقوله (**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**) وأشباه ذلك.

وأمّا ما كان مجملا لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا، مثل قوله سبحانه (**وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ**) و(**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ**) فإنّه يحتاج فيه إلى بيان النبي صلّى الله عليه وآله بوحي من الله سبحانه إليه، فيبيّن تفصيل أعيان الصّلوات وأعداد الركعات ومقادير النصب في الزكاة. وأمثالها كثيرة، والشروع في بيان ذلك من غير نصّ وتوقيف ممنوع منه ... .

وأمّا ما كان محتملا لأمور كثيرة أو لأمرين، فلا يجوز أن يكون الجميع مراداً، بل قد دلّ الدليل على أنه لا يجوز أن يكون المراد به إلاّ وجهاً واحداً، فهو من باب المتشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد، فيحمل على الوجه الذي يوافق الدليل وجاز أن يقال أنه هو المراد.

وإن كان اللّفظ مشتركاً بين معنيين أو أكثر، ويمكن أن يكون كلّ واحد من ذلك مراداً، فلا ينبغي أن يقدم عليه بجسارة فيقال: أن المراد به كذا قطعاً إلاّ بقول

نبي أو إمام مقطوع على صدقه، بل يجوز أن يكون كلّ واحد مراداً على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلّد أحد من المفسرين فيه، إلاّ أن يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتباعه لانعقاد الإجماع عليه.

فهذه الجملة التي لخّصتها أصل يجب أن يرجع إليه ويعوّل عليه ويعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والأحكام.[1]

أقول:

وسيأتي شرح ما ذكراه رحمة الله عليهما.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ١ / ٤٠ ـ ٤١.

المقدّمة الخامسة

في معنى التفسير والتأويل

ثم إنّه لم يرد (التفسير) في القرآن الكريم إلاّ مرّة واحدةً، وهو قوله تعالى: (**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَل إِلاّ جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسيرًا**).[1]

وأمّا (التأويل)، فقد ورد عدّة مرّات.

وليس المراد في القرآن من (التفسير) و(التأويل) إلاّ المعنى اللّغوي للمادّتين:

قال ابن فارس في مفهوم (التفسير):

فسر، الفاء والسين والراء، كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك: الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسّرته. والفسر والتفسرة نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه، والله أعلم بالصّواب.[2]

وقال الزبيدي في شرح القاموس:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٤.

الفسر الإبانة وكشف المغطّى كما قاله ابن الأعرابي، أو كشف المعنى المعقول كما في البصائر، كالتفسير. والفعل كضرب ونصر، يقال: فسر الشيء يفسره ويفسّره وفسَّره: أبانه. قال ابن القطّاع: والتشديد أعم ... .

وقال ثعلب ـ وهو أحمد بن يحيى ـ وكذلك ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ (**وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**): الفسر كشف المغطّى، أو هو، أي التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر. كذا في اللّسان.

وقيل: التفسير شرح ما جاء مجملا من القصص في الكتاب الكريم، وتعريف ما تدلّ عليه ألفاظه الغريبة، وتبيين الأُمور التي أُنزلت بسببها الآي. والتأويل: هو تبيين معنى المتشابه، والمتشابه: هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه، وهو النصّ.[١]

وقال في مفهوم (التأويل):

وأوّل الكلام تأويلا وتأوّله: دبّره وقدّره وفسّره ... وظاهر المصنف أن التفسير والتأويل واحد.

وفي العباب: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء.

وقال غيره: التفسير شرح ماجاء مجملا من القصص في الكتاب الكريم وتقريب ما تدلّ عليه ألفاظه الغريبة وتبيين الأُمور التي انزلت بسببها الآي. وأمّا التأويل فهو تبيين معنى المتشابه، والمتشابه هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردّد فيه وهو النصّ.

وقال الراغب: التأويل ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه قولا كان أو فعلا.

وفي جمع الجوامع: هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ...

قال ابن الكمال: التأويل صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنىً تحتمله، إذا كان المحتمل الذي تصرف إليه موافقاً للكتاب والسنّة ...

وقال ابن الجوزي: التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلّي. والتأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللّفظ.

وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللّفظ المشكل، والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.[٢]

وقال ابن فارس:

(أوّل) الهمزة والواو واللاّم: أصلان. ابتداء الأمر وانتهاؤه.

أمّا الأوّل فالأوّل ...

والأصل الثاني: قال الخليل: الأيل الذكر من الوعول والجمع أيائل. وإنما سمّي أيّلا لأنه يؤول إلى الجبل يتحصّن ... وآل يؤول، أي: رجع. قال يعقوب: يقال أوّلَ الحكم إلى أهله. أي أرجعه وردّه إليهم ... والإيالة السياسة من هذا الباب، لأن مرجع الرعيّة إلى راعيها. قال الأصمعي: آل الرجل رعيّته، يؤولها، إذا أحسن سياستها ... وآل الرجل أهل بيته من هذا أيضاً، لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله ...

ومن هذا الباب: تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ**) يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم ... .[١]

---

(١) تاج العروس ٧ / ٣٤٩.

(٢) تاج العروس ١٤ / ٣٢.

هل التفسير والتأويل بمعنى واحد؟

هذا، وقد اختلفوا هل (التفسير) و(التأويل) بمعنى واحد؟

قال أبوعبيد وطائفة: هما بمعنى واحد[٢] وبه قال أبوالعباس المبرد.[٣]

قال السيوطي: وقد أنكر ذلك قوم حتّى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه.

قال: وقال الراغب: التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل ...

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لايحتمل إلاّ وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجّه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلّة.

قال السيوطي: وقال قوم منهم البغوي والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنىً موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غيرمخالف للكتاب والسنّة من طريق الإستنباط.[٤]

تعريف علم التفسير

ثم ذكروا في تعريف علم التفسير في الإصطلاح وجوهاً:

فقال بعضهم: التفسير في الإصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكيّها ومدنيّها ومحكمها ومتشابهها ...

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ١٥٨ ـ ١٦٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٦٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ١ / ٣٩.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

وقال أبوحيّان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافراديّة والتركيبيّة ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمّات لذلك ... .

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيّه محمد صلّى الله عليه وآله وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.[1]

أقول:

ولا يخفى أنْ (التفسير) إنما يصدق حيث يكون في اللّفظ تعقيد أو في المعنى إجمالٌ.

كما أن (التأويل) لا يصدق إلاّ حيث يكون هناك إبهامٌ أو شبهة.

تقسيم الآيات إلى قسمين

ومن هنا يصحّ تقسيم الآيات القرآنيّة إلى قسمين أساسيين:

أحدهما: ما لا يحتاج إلى التفسير، ولا مجال فيه للتأويل، لوضوح معناه بحيث يفهمه كلّ عربّي أو عارف باللّغة العربية وأساليبها.

فهذا القسم من الألفاظ ما هو ظاهر في معناه، وظواهر ألفاظ الكتاب حجّة كسائر الظواهر، وما يستدلّ به لعدم الأخذ بظواهر الكتاب، فقد أُجيب عنه في كتب علم اصول الفقه ولا حاجة للتّعرّض له.

والثاني: ما يحتاج إلى التفسير أو التأويل.

---

(١) أُنظر: المصدر ٢ / ٤٦٢.

فأمّا ما يحتاج إلى التفسير، فالألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، فإنّها قد تخفى معانيها على بعض العرب فضلا عن غيرهم، لكنّ العجب من بعض الصّحابة كيف لم يعرفوا معاني ألفاظ القرآن وهم من يدّعى لهم التتلمذ على رسول الله صلّى الله عليه وآله والتعلّم منه؟

قال الحافظ السيوطي:

النوع السّادس والثلاثون، في معرفة غريبه: أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ... وينبغي الإعتناء به ... وعلى الخائض في ذلك التثبّت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن. فهذه الصّحابة ـ وهم العرب العرباء وأصحاب اللّغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم ـ توقّفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً، فأخرج أبوعبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي: إن أبابكر سئل عن قوله (**وَفاكِهَةً وَأَبًّا**) فقال: أيّ سماء تظلّني أو أي أرض تقلّني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!

وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (**وَفاكِهَةً وَأَبًّا**) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثمّ رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو الكلف يا عمر.[1]

ولا يتوهمنَّ أحدٌ أنّ قول أبي بكر: «أيّ سماء ...» وقول عمر: «إنّ هذا لهو الكلف» كان بسبب احتياج الكلمة إلى التفسير وأنهم ما كانوا يقولون بآرائهم، لأنّ الشواهد على قولهم بالرأي كثيرة، وسيأتي ذكر بعضها في الكلام على ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عبّاس ... وقد نصَّ على ذلك علماء القوم، قال الغزالي:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

قال النظام ـ فيما حكاه الجاحظ عنه ـ إنه لم يخض في القياس إلاّ نفر يسير من قدمائهم، كأبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل، ونفر يسير من أحداثهم، كابن مسعود وابن عبّاس وابن الزبير، ثمّ شرع في ثلب العبادلة وقال: كأنهم كانوا أعرف بأحوال النبي صلّى الله عليه وآله من آبائهم، وأثنى على العباس والزبير إذ تركا القول بالرأي ولم يشرّعا ... .[1]

وقال الغزالي:

إنّا بيّنا بالقواطع من جميع الصّحابة الإجتهاد والقول بالرأي والسّكوت عن القائلين به، وثبت ذلك بالتواتر في وقائع مشهورة، كميراث الجدّ والإخوة وتعيين الإمام بالبيعة وجمع المصحف والعهد إلى عمر بالخلافة ... .[2]

ثم تكلّم على ذلك بالتفصيل.

وقال البيهقي في كلام له:

فقد روينا عن أكثرهم اجتهاد الرأي في غيرموضع النصّ.[3]

فالحاصل أنّ عدم القول من أبي بكر وعمر وغيرهما لم يكن من باب الإحتياط في القرآن، بل الحقيقة أنْ هؤلاء القوم لم يتلوا القرآن حقّ تلاوته، ولم يكلّفوا أنفسهم في التدبّر فيه، ولم يسألوا عنه

---

(١) المستصفى في علم الأُصول: ٢٨٩.

(٢) المستصفى في علم الأُصول: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) السنن الكبرى ١٠ / ١١٧.

النبيّ صلّى الله عليه وآله والعلماء فيه، وإلاّ «فقد روي عن ابن مسعود أنه قال: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتّى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ».[1]

ويشهد بذلك:

أوّلا: كثرة الموارد من هذا القبيل.

وثانياً: قول عمر بن الخطاب لمّا كان يفحم من قبل سائر الصّحابة في آيات القرآن وأحكام الشريعة: «ألهاني الصفق بالأسواق».

وثالثاً: قول أبي هريرة لمّا اعترض عليه في كثرة الرواية عن النبيصلّى الله عليه وآله.

وسيأتي عن صحيح البخاري.

هذا، وسنتكلّم فيما بعدُ عن جهل الصّحابة، فانتظر.

وكألفاظ العبادات، فإن العبادات امور مخترعةٌ من الشارع، والعرب وإنْ كانوا يفهمون معاني ألفاظ عناوين العبادات، إلاّ أنها لمّا كانت مخترعةً من الشارع احتاج فهم المراد منها إلى البيان من الشارع نفسه، وهذا ما يعبّر عنه بـ «المجمل»، كألفاظ الصّلاة والزكاة مثلا، فإنّ معانيها اللّغوية واضحة عند العرب، ولكنّ المراد منها شيء آخر، فلابدّ من البيان للمراد من الشارع، ولهذا وقع البحث في علم اصول الفقه في أنْ ألفاظ العبادات ـ وكذا المعاملات ـ موضوعة بوضع جديد من الشارع للمعاني الجديدة المخترعة منه أو أنه قد استعملها في نفس معانيها الموضوعة لها في اللّغة، غير أنه قصد منها المعاني المستحدثة بمناسبة بينها وبين تلك المعاني.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ١ / ١٧، تفسير الثعالبي ١ / ٥٤، تفسير الطبري ١ / ٥٦ و ٦١، تفسير ابن كثير ١ / ٤ وغيرها.

وعلى الجملة، فإن كلاً من ألفاظ «الصلاة» و«الصيام» و«الحج» ونحوها له معناه الخاصّ في اللّغة والعرف، ولكنّ المراد من قوله تعالى: (**وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ**) وقوله: (**وَللهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**) معنىً آخر، فلابدّ من تفسير هذه الألفاظ ليتّضح المعنى ويمتثل الحكم.

وكالألفاظ المشتركة، ففي اللّغة العربيّة ألفاظ كثيرة وضعت لأكثر من معنى، ومنها ما كان موضوعاً لمعنيين متضادّين، فورد اللفظ في الكتاب وجعل موضوعاً لحكم من الأحكام الإلهيّة، فلابدّ من إيضاح معناه المراد منه في الآية حتّى يمتثل الحكم.

ومن ذلك قوله تعالى: (**وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوء**)،[1] فإن لفظة «القرء» موضوعة في اللّغة للحيض والطّهر معاً.

وهذا شرح ما ذكره علماؤنا وغيرهم في معنى التفسير ومواضعه.

تعريف التأويل

وأمّا التأويل، فقد عرفت أنه رفع الإبهام والإشتباه عن المعنى المراد بإرجاع دلالة اللّفظ إليه، فليس له إلاّ معنى واحد، غير أن المتعلّق يختلف، فقد يكون الأمر المشتبه، كما في قوله تعالى: (**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ...**)[2] وقد يكون الرؤيا، كما في قوله تعالى: (**هذا تَأْويلُ رُءْيايَ**)[1] وقد يكون غيرهما.

ولكنّ المورد الذي كثر الإهتمام به هو الأوّل، من جهة أنْ العلم بتأويل المتشابهات يختصُّ بالله، فيكون كالقسم الأوّل من أقسام التفسير، أو أنّه ممّا يعلمه النبيُّ وأوصياؤه الأطهار، كالبعض الآخر من أقسام التفسير؟

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

والسّبب في هذا البحث هو أنّ (الواو) في قوله تعالى: (**وَما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ...**) إن كانت عاطفةً، كان الراسخون في العلم أيضاً يعلمون تأويل ما تشابه، وإن كانت استينافية اختصّ العلم بذلك بالله عزّ وجلّ.

ونحن نقول: إذا كانت (الواو) مردّدةً بين المعنيين، وكان منشأ البحث والنظر، فقد حصل الإجمال في الآية، وكان المرجع في فهمها أهل بيت النبيّ الّذين أرجع الأُمّة إليهم في مختلف موارد الاختلاف ... وقد وردت النصوص المعتبرة عنهم رافعةً للإبهام ومعيّنةً للمراد من (الراسخين في العلم)، وعقد لها المحدّثون باباً في كتب الحديث، قال الشيخ الكليني رحمه الله:

باب أن الراسخين في العلم هم الأئمّة عليهم السّلام:

عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن أيّوب بن الحرّ وعمران بن عليّ، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله.

عليٌّ بن محمّد، عن عبدالله بن عليّ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد. عن بريد بن معاوية، عن أحدهما عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ: (**وَما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) فرسول الله صلّى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه عزّ وجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

كلّه، والّذين لايعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله: (**يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا**)[1] والقرآن خاصٌّ وعامٌّ ومحكمٌ ومتشابهٌ وناسخٌ ومنسوخٌ، فالراسخون في العلم يعلمونه.

الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن أورمة، عن عليّ بن حسّان عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: الراسخون في العلم أميرالمؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السّلام.[2]

فالأئمّة عليهم السّلام فقط كانوا يعلمون بالمتشابهات كما كانوا يعلمون بالمحكمات.

وعلى الجملة، فإنّ القرآن كلّه عند أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وهم معه وهو معهم; وهم الذين أُوتوا القرآن وأثبت في صدورهم، وبذلك روايات كثيرة كذلك.

قال الشيخ الكليني رحمه الله:

باب أنّ الأئمّة قد أُوتوا العلم وأثبت في صدورهم.

فروى بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أباجعفر عليه السّلام يقول في هذه الآية: (**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**).[3] فأومأ بيده إلى صدره.

عنه، عن محمّد بن عليّ، عن ابن محبوب، عن عبدالعزيز العبديّ، عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ (**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**) قال: هم الأئمّة عليهم السّلام.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) الكافي ١ / ٢١٣، الحديث ٣ و ٤١٤ ـ ٤١٥، الحديث ١٤، وسائل الشيعة ٢٧ / ٩٧، الحديث ٧.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

وعنه، عن محمّد بن عليّ، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير. قال: قال أبوجعفر عليه السّلام في هذه الآية: (**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**) ... ثمَّ قال: أما والله يا أبامحمّد ما قال بين دفّتي المصحف؟ قلت: من هم؟ جعلت فداك؟ قال: من عسى أن يكونوا غيرنا.

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن يزيد شعر، عن هارون بن حمزة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سمعته يقول: (**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**) قال: هم الأئمّة عليهم السّلام خاصّة.

عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن الفضيل قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: (**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**) قال: هم الأئمّة عليهم السّلام خاصّة.[1]

وحينئذ، فلا يقولنَّ أحدٌ بأنّ النبي والأئمّة عليهم السّلام هم المصداق التام لـ «الراسخين في العلم»، وأنّ هذا العنوان ينطبق على غيرهم من بعض الصّحابة والعلماء، فإنّ هذا القول خطأ فظيعٌ، وذلك:

أوّلا: لأن النصوص قد أفادت بصورة قاطعة أنّ ما تشابه من آيات الكتاب لا يعلم تأويله إلاّ النبي وآله الأطهار.

وثانياً: أنه إذا كان العلم بذلك مختصّاً بالله ـ بمقتضى الوقف على لفظ الجلالة وكون الواو استينافية ـ فلا يعلمه النّبي وآله، فكيف يدّعى ذلك لغيرهم من سائر الناس؟

وقد ذكر السّيد الطباطبائي ـ لمّا سألته عن هذه الآية ـ قال: إنّ أهل البيت عليهم السّلام هم الراسخون في العلم، العالمون بما تشابه، لكنّ (الواو) استينافية لا عاطفة.

المراد من الباطن؟

هذا، وقد جاء في الرّوايات ذكر «الباطن» وأنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ... فأمّا عدم إندراجه تحت عنوان «التفسير» فواضح، وأمّا اندراجه تحت عنوان «التأويل» ففيه تأمّل وإنْ احتمل ذلك كما في بعض الأخبار.

ولعلّ من أظهر موارده ما جاء في الرواية بذيل قوله تعالى: (**قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتيكُمْ بِماء مَعين**)[٢] من أن «الماء المعين» هو «الإمام»، قال عليه السّلام: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه، فماذا تصنعون.[٣]

وما جاء بذيل قوله عزّ وجلّ: (**فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسانُ إِلى طَعامِهِ**)[٤] من أن «ما طعامه» فقوله عليه السّلام: «علمه الذي يأخذه، عمن يأخذه».[١]

ولا يخفى الفرق بين بيان الباطن، وتطبيق الآية على بعض المصاديق، كتطبيق «الطاغوت» في قوله تعالى:

(**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ**)[٢] على فلان وفلان وغيرهما من الظالمين الغاصبين.

---

(١) الكافي ١ / ٢١٣ ـ ٢١٤، الحديث ١ و ٣ و ٤ و ٥.

(٢) سورة الملك: الآية ٣٠.

(٣) كمال الدين: ٣٦٠، الحديث ٣، بحارالأنوار ٢٤ / ١٠٠، الحديث ٢، الإمامة والتبصرة: ١٢٥، الحديث ١٢٤، الغيبة (للطوسي): ١٦٠، الحديث ١١٧.

(٤) سورة عبس: الآية ٢٤.

وليس لأحد بيان الباطن إلاّ أهل العصمة، لما تقدّم في المقدمة الثانية من أنّه لا يفسّر القرآن ـ فيما يحتاج منه إلى التفسير ـ إلاّ النبيّ وأوصياؤه، فإذا كان هذا حكم تفسير ألفاظه، فكيف ببيان بواطن آياته؟ خاصّةً وأنه قد وصف «الباطن» بـ «العمق» في بعض الروايات، وهذا ما لا يتأتّى إلاّ لأهل العصمة عليهم السّلام، فجعل بيان الباطن من «التأويل» المقدور لكلّ أحد ـ لكنْ بشرط ـ غيرصحيح.

وكذلك التطبيق على وجه الجزم، بأنْ تُطبّق الآية على مصداق وينسب إرادة ذاك المصداق إلى الله عزّ وجلّ، فإنه غير جائز ألبتّة.

هذا ما قصدنا إيراده في (مقدمة الكتاب).

ويقع الكتاب في قسمين:

الأوّل: التفسير والمفسّرون عند أهل السنّة.

والثاني: التفسير والمفسّرون عند الشيعة الإماميّة.

فإلى القسم الأول:

---

(١) الكافي ١ / ٥٠ ـ ٥١، رقم ٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

التفسير والمفسّرون

عند أهل السنّة

دراسة نقدية للتفسير والمفسرين عند أهل السنّة

ابتداءً بالصّحابة وانتهاءً بالفخر الرازي

تمهيدات

كلام السيوطي في طبقات المفسّرين

قال الحافظ السيوطي:

النوع الثمانون: في طبقات المفسّرين، فقال:

اشتهر بالتفسير من **الصّحابة عشرة**:

الخلفاء الأربعة

وابن مسعود

وابن عبّاس

وأُبي بن كعب

وزيد بن ثابت

وأبوموسى الأشعري

وعبدالله بن الزبير.

قال:

أمّا الخلفاء، فأكثر من روي عنه منهم: علي بن أبي طالب. والرواية عن الثلاثة نزرة جدّاً.

ثمّ قال:

طبقة التابعين:

قال ابن تيميّة: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس:

كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاوس وغيرهم. وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبدالرحمن بن زيد ومالك بن أنس.

قال: فمن المبرّزين منهم: مجاهد ...

ومنهم: سعيد بن جبير ...

ومنهم: عكرمة مولى ابن عباس

ومنهم: الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي، وأبوالعالية، والضحّاك بن مزاحم، وعطيّة العوفي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرّة الهمداني، وأبومالك.

ويليهم: الربيع بن أنس، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، في آخرين.

فهؤلاء قدماء المفسّرين، وغالب أقوالهم تلقّوها عن الصّحابة.

قال:

ثم بعد هذه الطبقة أُلّفت تفاسير تجمع أقوال الصّحابة والتابعين:

كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبدالرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد ابن حميد، وسعيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرين.

قال:

وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها.

ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجة، والحاكم، وابن مردويه، وأبوالشيخ بن حيّان، وابن المنذر. في آخرين ...

ثم ألفّ في التفسير خلائق ...

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كلّ منهم يقتصر في تفسيره على الفنّ الذي يغلب عليه ...

أقول:

فذكر جماعةً، وهم الزجاج والواحدي وأبوحيّان والثعلبي والقرطبي والفخر الرازي.

ثم قال:

فإن قلت: فأيّ التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أنْ يعوّل عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري ... .[1]

كلام أحمد في كتب التفسير

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٣ ـ ٥٠١.

لقد روي عن أحمد بن حنبل كلمة موجزة في التفسير والمفسّرين عند القوم، تدلّ على أنْ لا اعتماد عندهم على شيء من التفاسير المنقولة إليهم من الصّحابة والتابعين فضلا عن غيرها، ولذا وقعت الكلمة موقع البحث والنظر، فقد جاء في (تذكرة الموضوعات):

قال أحمد بن حنبل: ثلاثة كتب ليس لها أُصول: المغازي والملاحم والتفسير.

وقد ثقل هذا الكلام على القوم، وجعلوا يذكرون له المحامل والتأويلات ...

قال الخطيب:

هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، لعدم عدالة ناقليها وزيادة القصّاص فيها.[1]

لكنْ لا يخفى عدم صحّة هذا الحمل ... على أنّ في كتب الحديث أيضاً كتباً غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها، فكان عليه أن يذكر كتب الحديث كذلك ... .

وقال السيوطي ناقلاً عن ابن تيميّة في أقسام التفسير:

وأمّا القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً ولله الحمد، وإنْ قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي، وذلك لأنّ الغالب عليها المراسيل.[2]

لكنْ إذا كان الغالب عليها المراسيل، فما معنى حمد الله على وجودها؟!

وكون الغالب عليها المراسيل وجهٌ آخر من وجوه الطعن في تفاسيرهم ... .

كتب التفسير مشحونة بالموضوعات

---

(١) تذكرة الموضوعات: ٨٢، وسيأتي نقله عن غيره.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٧١.

لكنّ بعض الأئمّة يصرّحون بأنّ كتب التفسير عندهم مشحونة بالموضوعات، فقد قال المناوي:

اجتهدت في تهذيب عزو الأحاديث إلى مخرجيها من أئمّة الحديث من الجوامع والسنن والمسانيد، فلا أعزو إلى شيء منها إلاّ بعد التفتيش عن حاله وحال مخرجه، ولا أكتفي بعزوه إلى من ليس من أهله وإنْ جلّ، كعظماء المفسّرين، قال ابن الكمال: كتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة.[1]

بل لقد نصَّ المحدّث شاه ولي الله الدهلوي، في تفسيره (الفوز الكبير)، على أنّ الأخبار المطوَّلة المروية في كتب التفسير في قصص الأنبياء السّابقين، كلّها منقولة عن علماء أهل الكتاب، وفي البخاري مرفوعاً: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم».

وقال شيخهم الأعظم ابن عربي، في الباب الثاني والسبعين بعد الثلاثمائة، من (الفتوحات المكيّة):

وفيه علم تنزيه الأنبياء ممّا نسب إليهم المفسّرون من الطامّات ممّا لم يجيء في كتاب الله، وهم يزعمون أنّهم قد فسّروا كلام الله فيما أخبر به عنهم، نسأل الله

العصمة في القول والعمل، فلقد جاؤوا في ذلك بأكبر الكبائر، كمسألة إبراهيم الخليل عليه السّلام وما نسبوا إليه من الشكّ. وما نظروا في قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نحن أولى بالشكّ من إبراهيم، فإنّ إبراهيم عليه السّلام ما شكّ في إحياء الموتى، ولكن لمّا علم أنّ لإحياء الموتى وجوهاً متعدّدة، لم يدر بأيّ وجه منها يكون يحيي الله به الموتى وهو مجبول على طلب العلم، فعيّن الله له وجهاً من تلك الوجوه حتّى سكّن إليه قلبه فعلم كيف يحيي الله الموتى.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٢٧.

وكذلك قصّة يوسف ولوط وموسى وداود ومحمّد، على جميعهم أفضل الصّلاة والسّلام.

وكذلك ما نسبوه في قصّة سليمان عليه السّلام إلى الملكين.

وكلّ ذلك نقل عن اليهود، واستحلّوا أعراض الأنبياء والملائكة بما ذكرته اليهود الذين جرحهم الله تعالى، وملئوا كتبهم في تفسير القرآن العزيز بذلك، وما في ذلك نصٌّ في كتاب ولا في سنّة فالله يعصمنا وإيّاكم من غلطات الأفكار والأقوال والأفعال.[1]

وأورد الشيخ عبدالوهّاب الشعراني كلام الشيخ ابن عربي المتقدّم، حيث قال ما نصّه:

قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات المكّيّة: يجب قطعاً تنزيه الأنبياء ممّا نسبه إليهم بعض المفسّرين من الطامّات، ممّا لم يجيء في

كتاب الله ولا سنّة صحيحة، وهم يزعمون أنّهم قد فسّروا قصصهم الّتي قصّها الله تعالى علينا.

وكذبوا ـ والله ـ في ذلك، وجاؤوا فيه بأكبر الكبائر.

وذلك كمسألة إبراهيم الخليل على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وما نسبوه إليه من وقوع الشكّ بحسب ما يتبادر إلى الأذهان، وما نظروا في قوله صلّى الله عليه وسلّم: نحن أولى بالشكّ من إبراهيم. وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام لم يشكّ في إحياء الله تعالى الموتى، معاذ الله أن يشكّ نبيّ في مثل ذلك، وإنّما كان يعلم أنّ لإحياء الموتى طرقاً ووجوهاً متعدّدة، لم يدر بأيّ وجه منها يكون إحياء الله تعالى للموتى، وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم، فعيّن الله تعالى وجهاً من تلك الوجوه فسكّن ما كان عنده، وعلم حينئذ كيف يحيي الموتى، فما كان السّؤال إلاّ عن معرفة الكيف لا غير.

وكذلك القول في قصّة سليمان وما نسبوه إلى الملكين هاروت وماروت.

---

(١) الفتوحات المكيّة ٣ / ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

كلّ ذلك لم يرد في كتاب ولا سنّة، وإنّما ذلك نقل عن اليهود، فاستحلّوا أعراض الأنبياء والملائكة بما ذكروه لهم من جرحهم أنبياء الله تعالى، وملأوا تفاسيرهم للقرآن من ذلك، فالله يحفظنا وإخواننا من غلطات الأفكار والأفعال والأقوال، آمين، إنتهى.

وأيضاً، قال في الباب الرابع والخمسين ومائة: ينبغي للواعظ أن يراقب الله تعالى، في أنبيائه وملائكته ويستحي من الله عزّ وجلّ، ويتجنّب الطامّات في وعظه، كالقول في ذات الله بالفكر، والكلام على مقامات الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، من غير أن يكون وارثاً لهم، فلا يتكلّم قطّ على زلاّتهم بحسب ما يتبادر إلى أذهان الناس بالقياس إلى غيرهم; فإنّ الله تعالى قد أثنى على الأنبياء حسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه، فكيف يستحلّ أعراضهم بما ذكره المؤرّخون عن اليهود.

قال:

ثمّ إنّ الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيراً لكلام الله تعالى.

وفي تفسيرهم: قال المفسّرون في قصّة داود أنّه نظر إلى امرأة أُوريا، فأعجبته فأرسله في غزاة ليموت فيأخذها.

وكقولهم في يوسف ـ على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام ـ أنّه همّ بالمعصية، وأنّ الأنبياء لم يُعصَموا عن مثل ذلك.

وكقولهم في قصّة لوط (**لَوْ أَنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوي إِلى رُكْن شَديد**) العجز والبحر ونحو ذلك.

ويعتمدون على تأويلات فاسدة وأحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزّور.

فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعّاظ، مقته الله والأنبياء والملائكة، لكونه جعل دهليزاً ومهاداً لمن في قلبه زيغ، يدخل منه إلى ارتكاب المعاصي، ويحتجّ بما سمعه منه في حقّ الأنبياء ويقول: إذا كان الأنبياء وقعوا في مثل ذلك فمن أكون أنا. وحاشى الأنبياء كلّهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ، فوالله، لقد أفسد الواعظ الأُمّة، وعليه وزر كلّ من كان سبباً لاستهانته بما وقع فيه من المعاصي، ولكنّه قد ورد أنّه لا تقوم السّاعة حتّى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ النّاس. وهؤلاء من جنوده الذين يتقدّمونه.[1]

أقول:

ومن هذا الذي نصّ عليه المناوي وغيره يظهر ضرورة حمل كلام أحمد بن حنبل على ظاهره، وهو الذي استظهره منه غير واحد من الباحثين، كالأُستاذ أحمد أمين حيث يقول: «ظاهر هذه الجملة أنّ الأحاديث التي وردت في التفسير لا أصل لها وليست بصحيحة». يقول: «إن بعض العلماء أنكر هذا الباب بتاتاً، أعني أنّه أنكر صحّة ما يروونه من هذا الباب، فقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: ثلاثة ليس لها أصل، التفسير والملاحم والمغازي».

وسيتبيّن من بحوث كتابنا أنْ لا اعتبار بشيء من تفاسيرهم على مختلف طبقاتهم، وأهمّها كما هو معلوم طبقة الصّحابة والتابعين، وأنّه لا مرجع في التفسير فيما يحتاج إلى التفسير من القرآن الكريم إلاّ النبيّ وأهل بيته عترته فيما حصل لنا الوثوق بصدوره عنهم عليهم الصّلاة والسّلام ... .

فإلى طبقة الصّحابة ...

---

(١) اليواقيت والجواهر ٢ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

طبقة الصّحابة

* الخلفاء

* عبدالله بن مسعود

* عبدالله بن عباس

* أُبيّ بن كعب

* زيد بن ثابت

* أبوموسى الأشعري

* عبدالله بن الزبير

* أنس بن مالك

* أبوهريرة

* عبدالله بن عمر

* عبدالله بن عمرو بن العاص

إنّ الطبقة الأُولى من طبقات المفسّرين، طبقة الصّحابة.

فقد اعتمدوا على ما رووه في كتبهم بالأسانيد عن الصّحابة في تفسير آيات القرآن الكريم، كما أخذوا عنهم وتبعوهم في غير التفسير من الأُمور الدينيّة ...

لكنْ لابدّ من اعتبار السّند المنتهي إلى الصّحابي...

فإنْ كان ما قاله الصّحابي روايةً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، وجب إثبات (عدالته) وإلاّ لم يجز الاعتماد على روايته وإنْ تمّ السند إليه.

وإنْ كان ما قاله الصّحابي تفسيراً للقرآن من عنده وحسب فهمه، وقع الكلام في (علمه) ودليل اعتبار (قوله).

فأمّا (عدالة الصّحابة)، فقد أثبتنا في بحوثنا أن القول بذلك ـ وإنْ كان مشهوراً بين أهل السنّة ـ لا أصل له، وكذا القول بصحّة ما في كتابي البخاري ومسلم فضلا عن الكتب الستّة، فكيف بسائر كتبهم في الحديث؟

ومن أراد التفصيل، فليرجع إلى بحثنا (مشهوران لا أصل لهما) الذي ألحقناه بكتابنا (التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف) الذي ألّفناه في سالف الزمان.

فمن أُريد الرجوع إليه من الصّحابة في التفسير، فلابدّ من إثبات عدالته وصحّة سند الخبر إليه.

وأمّا بالنسبة إلى (علم الصّحابة)، فإنّ الشواهد على جهلهم بالقرآن وبأحكام الإسلام حتى بأبسط المسائل الشرعية التي بلّغها النبيّ صلّى الله عليه وآله وعلّمها الناس وعمل بها سائر المكلّفين، لا تحصى كثرة، لا سيّما من مشاهير الصّحابة وأعلامهم من الخلفاء وغيرهم.

وقد أذعن كبار العلماء بهذه الحقيقة الراهنة في المباحث المختلفة، خاصّةً في كتب علم أُصول الفقه وعلم الكلام. أمّا في كتب الإمامية، ففي بحث الإمامة وإثبات عدم صلاحيّة المشايخ الثلاثة لها، لأن القوم قد تسالموا على إشتراط الإمامة بالعدالة والعلم، فإذا فقد الشرطان أو أحدهما بطلت. وأمّا في كتب القوم فبمناسبات عديدة.

كلام ابن حزم حول علم الصّحابة

ونحن نكتفي هنا بنصّ كلام الحافظ أبي محمد ابن حزم الأندلسي، فإنّه قال:

ووجدنا الصّاحب من الصّحابة يبلغه الحديث فيتناول فيه تأويلا يخرجه به عن ظاهره، ووجدناهم يقرّون ويعترفون بأنّهم لم يبلغهم كثير من السّنن، وهكذا الحديث المشهور عن أبي هريرة: إنّ إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإنّ إخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام على أموالهم، وهكذا قال البراء ... قال: أما كلّ ما نحدّثكموه سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وَلكن حدّثنا أصحابنا، وكانت تشغلنا رعية الإبل.

وهذا أبوبكر، لم يعرف فرض ميراث الجدّة، وعرفه محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة. وقد سأل أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ عائشة في كم كفّن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟

وهذا عمر، يقول في حديث الإستئذان: أُخفي عليّ هذا من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ألهاني الصفق في الأسواق!

وقد جهل أيضاً أمر إملاص المرأة، وعرفه غيره. وغضب على عيينة بن حصن، حتّى ذكّره الحرّ بن قيس بن حصن بقوله تعالى: (**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**).

وخفي عليه أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلى آخر خلافته، وخفي على أبي بكر قبله أيضاً طول مدّة خلافته، فلمّا بلغ ذلك عمر أمَر بإجلائهم فلم يترك بها منهم أحداً.

وخفي على عمر أيضاً أمره عليه السّلام بترك الإقدام على الوباء، وعرف ذلك عبدالرحمن بن عوف.

وسأل عمر أباواقد الليثي عمّا كان يقرأ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في صلاتي الفطر والأضحى. هذا، وقد صلاّهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعواماً كثيرة.

ولم يدر ما يصنع بالمجوس، حتّى ذكّره عبدالرحمن بأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم.

ونسي قبوله عليه السّلام الجزية من مجوس البحرين، وهو أمر مشهور، ولعلّه ـ رضي الله عنه ـ قد أخذ من ذلك المال حظّاً كما أخذ غيره منه.

ونسي أمره عليه السّلام بأن يتيمّم الجنب فقال: لا يتيمّم أبداً ولا يصلّي ما لم يجد الماء. وذكّره بذلك عمّار.

وأراد قسمة مال الكعبة حتّى احتجّ عليه أُبَيّ بن كعب بأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يفعل ذلك، فأمسك.

وكان يردّ النساء اللّواتي حضن ونفرن قبل أن يودّعن البيت، حتّى أُخبر بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أذن في ذلك. فأمسك عن ردّهن.

وكان يفاضل بين ديات الأصابع حتّى بلغه عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أمره بالمساواة بينها، فترك قوله وأخذ بالمساواة.

وكان يرى الدية للعصبة فقط حتّى أخبره الضحّاك بن سفيان بأنّ النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ورّث المرأة من الدية، فانصرف عمر إلى ذلك.

ونهى عن المغالاة في مهور النساء، استدلالاً بمهور النبي صلّى الله عليه وسلّم، حتّى ذكّرته امرأة بقول الله عزّ وجلّ: (**وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطارًا**) فرجع عن نهيه.

وأراد رجم مجنونة حتّى أُعلم بقول رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : رفع القلم عن ثلاثة، فأمر ألاّ ترجم.

وأمر برجم مولاة حاطب حتّى ذكّره عثمان بأنّ الجاهل لا حدّ عليه، فأمسك عن رجمها.

وأنكر على حسّان الإنشاد في المسجد، فأخبره هو وأبوهريرة أنّه قد أنشد فيه بحضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسكت عمر...

وقد نهى عمر أن يسمّى بأسماء الأنبياء، وهو يرى محمد بن مسلمة يغدو عليه ويروح، وهو أحد الصّحابة الجلّة منهم، ويرى أباأيّوب الأنصاري وأباموسى الأشعري، وهما لا يعرفان إلاّ بكناهما من الصّحابة، ويرى محمد بن أبي بكر الصدّيق وقد ولد بحضرة رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في حجّة الوداع، واستفتته أُمّه إذ ولدته ماذا تصنع في إحرامها وهي نفساء، وقد علم يقيناً أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم علم بأسماء من ذكرنا وبكناهم بلا شكّ وأقرّهم عليها ودعاهم بها ولم يغيّر شيئاً من

ذلك عليه السّلام، فلمّا أخبره طلحة وصهيب عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بإباحة ذلك أمسك عن النهي عنه.

وهمّ بترك الرّمل في الحجّ، ثمّ ذُكّر أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فعله فقال: لا يجب لنا أن نتركه.

وهذا عثمان، فقد رووا عنه أنّه بعث إلى الفريعة أُخت أبي سعيد الخدري يسألها عمّا أفتاها به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أمر عدّتها، وأنّه أخذ بذلك.

وأمر برجم امرأة قد ولدت لستّه أشهر، فذكّره علي بالقرآن وأنّ الحمل قد يكون ستّة أشهر، فرجع عن الأمر برجمها ... .

وهذه عائشة وأبوهريرة، خفي عليهما المسح على الخفّين وعلى ابن عمر معهما، وعلمه جرير ولم يُسلم إلاّ قبل موت النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بأشهر، وأقرّت عائشة أنّها لا علم لها به، وأمرت بسؤال من يرجى عنده علم ذلك وهو علي رضي الله عنه.

وهذه حفصة أمّ المؤمنين سئلت عن الوطء يجنب فيه الواطئ، أفيه غسل أم لا؟ فقالت: لا علم لي؟!

وهذا ابن عمر توقّع أن يكون حدث نهي من النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عن كراء الأرض، بعد أزيد من أربعين سنة من موت النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم. فأمسك عنها وأقرّ أنّهم كانوا يكرونها على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يقل: إنّه لا يمكن أن يخفى على هؤلاء ما يعرف رافع وجابر وأبوهريرة، وهؤلاء إخواننا يقولون فيما اشتهوا: لو كان هذا حقّاً ما خفي على عمر!

وقد خفي على زيد بن ثابت وابن عمر وجمهور أهل المدينة إباحة النبي صلّى الله عليه وسلّم للحائض أن تنفر، حتّى أعلمَهم بذلك ابن عبّاس وأُمّ سليم، فرجعوا عن قولهم.

وخفي على ابن عمر الإقامة حتّى يدفن الميّت، حتّى أخبره بذلك أبوهريرة وعائشة فقال: لقد فرّطنا في فراريط كثيرة.

وقيل لابن عمر في اختياره متعة الحجّ على الإفراد: إنّك تخالف أباك فقال: أكتاب الله أحقّ أن يتّبع أم عمر؟! روينا ذلك عنه من طريق عبدالرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر.

وخفي على عبدالله بن عمر الوضوء من مسّ الذكر، حتّى أمرته بذلك عن النبي صلّى الله عليه وسلّم بسرة بنت صفوان، فأخذ بذلك ... .[1]

وقال في موضع الآخر:

وقد تجد الرجل يحفظ الحديث ولا يحضره ذِكره حتّى يفتي بخلافه وقد يعرض هذا في آي القرآن، وقد أمر عمر على المنبر بألاّ يزاد في مهور النساء على عدد ذكره، فذكّرته امرأة بقول الله تعالى: (**وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطارًا**) فترك قوله وقال: كلّ أحد أفقه منك يا عمر. وقال: امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ!

وأمر برجم امرأة ولدت لستّة أشهر، فذكره علي بقول الله تعالى: (**وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ**) مع قوله تعالى: (**وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ**) فرجع عن الأمر برجمها.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٢ / ١٤٣ ـ ١٤٧.

وهَمّ أن يسطو بعيينة بن حصن إذ قال له: يا عمر ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل، فذكّره الحرّ بن قيس بن حصن بن حذيفة بقول الله تعالى: (**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**) وقال له: يا أمير المؤمنين هذا من الجاهلين، فأمسك عمر.

وقال يوم مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: والله ما مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا يموت حتّى يكون آخرنا، أو كلاماً هذا معناه، حتّى قرئت عليه: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**)، فسقط السيف من يده وخرّ إلى الأرض وقال: كأنّي ـ والله ـ لم أكن قرأتها قطّ!

فإذا أمكن هذا في القرآن فهو في الحديث أمكن، وقد ينساه ألبتّة، وقد لا ينساه بل يذكره ولكن يتأوّل فيه تأويلاً فيظنّ فيه خصوصاً أو نسخاً أو معنىً مّا، وكلّ هذا لا يجوز اتّباعه إلاّ بنصّ أو إجماع، لأنّه رأي من رأى ذلك ولا يحلّ تقليد أحد ولا قبول رأيه ... .[1]

اعتراف ابن كثير بجهلهم في التفسير

وقد اعترف بجهل الصّحابة في التفسير الحافظ ابن كثير الدمشقي حيث قال، بعد نقل كلمات عن عدّة من الصّحابة:

فهذه الآثار الصحيحة وماشاكلها عن أئمّة السّلف محمولة على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأمّا من تكلّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوالٌ في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلّموا فيما علموه وسكتوا عمّا جهلوه، وهذا هو الواجب

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٢٣٧.

على كلّ أحد، فإنه كما يجب السكوت عمّا لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه ممّا يعلمه، لقوله تعالى: (**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**).[1]

أقول:

ولكنّ الحق أنْ يقال: إنّ الذي وصلنا من الآثار عن الصّحابة في باب التفسير ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: تكلّمهم فيما علموه بالأخذ من رسول الله صلّى الله عليه وآله، إمّا بالسؤال منه وإمّا بالسّماع منه.

والنوع الثاني: تكلّمهم في التفسير بالرأي والتظنّي.

والنوع الثالث: سكوتهم عمّا جهلوه، أو اعتذارهم عن الجواب بالإحجام عن القول بالرأي، الذي هو في الحقيقة إقرار بالجهل.

وإنّ ما صرّح به الحافظ ابن كثير لجدير بالإهتمام، فقد حصر ما وصلنا من الآثار عن الصّحابة في باب التفسير في ثلاثة أنواع. فكان نوعان من الآثار: ما أقرّوا فيه بالجهل، وما تكلّموا فيه بالتظّني والرأي، ومن المعلوم سقوط التفسير بالرأي والتظنّي. ويبقى تكلّمهم فيما علموه بالأخذ من رسول الله صلّى الله عليه وآله، إن كان الصّحابي عدلا والسند إليه معتبراً.

تحرّج الدكتور الذهبي

ولكنّ الأُستاذ الذهبي يتحرّج من التصريح بما صرّح به ابن كثير فيقول بعبارة مهذّبة:

«تفاوت الصّحابة في فهم القرآن:

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٧.

ولو أنّنا رجعنا إلى عهد الصّحابة لوجدنا أنّهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوّة العقليّة، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنّهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصّحابة ولا ضير في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلاّ معصوم، ولم يدّع أحد أن كلّ فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها.

وممّا يشهد لهذا الذي ذهبنا إليه:

ما أخرجه أبوعبيدة في الفضائل عن أنس «أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (**وَفاكِهَةً وَأَبًّا**) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثمّ رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلّف يا عمر».[1]

وما روي أن عمر كان على المنبر فقرأ (**أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّف**)، ثمّ سأل عن معنى التخوّف، فقال له رجل من هذيل: التخوّف عندنا التنقص، ثمّ أنشده:

تخوّف الرّحل منها تامكاً قرداً *** كما تخوّف عود النبعة السّفن[2]

وما أخرجه أبوعبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: «كنت لا أدري ما (**فاطِرِ السَّماواتِ**) حتّى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما. أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها.[3]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١١٣.

(٢) أُنظر: تفسير الطبري ١٤ / ١٤٩، تفسير الثعلبي ٦ / ١٩، الكشاف ٢ / ٤١١، تفسير الرازي ٢٠ / ٣٩، تفسير القرطبي ١٠ / ١١٠، تفسير البيضاوي ٣ / ٢٢٨ و ... .

(٣) أُنظر: تفسير الطبري ٧ / ٢١١، تفسير الثعلبي ٤ / ١٣٨، الكشاف ٣ / ٢٩٧.

فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى «الأب» ومعنى «التخوّف»، ويسأل عنهما غيره، وابن عبّاس ـ وهو ترجمان القرآن ـ لا يظهر له معنى «فاطر» إلاّ بعد سماعها من غيره، فكيف شأن غيرهما من الصّحابة؟ لا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية، فيكفيهم ـ مثلا ـ أن يعلموا من قوله تعالى:

(**وَفاكِهَةً وَأَبًّا**) أنه تعداد للنعم التي أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلا ما دام المراد واضحاً جلياً.

[وماذا يقول ابن خلدون فيما رواه البخاري من] أن عدي بن حاتم لم يفهم معنى قوله تعالى: (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**). وبلغ من أمره أن أخذ عقالا أبيض وعقالا أسود، فلما كان بعض الليل، نظر إليهما فلم يستبينا، فلما أصبح أخبر الرسول بشأنه، فعرض بقلة فهمه، وأفهمه المراد.

الحق أن الصّحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع ـ كما تقدم ـ إلى اختلافهم في أدوات الفهم، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملماً بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم من كان يلازم النبي فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، أضف إلى هذا وذاك أن الصّحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً ...[1]

والاستاذ المعاصر ...

---

(١) التفسير والمفسّرون ١ / ٢٦ ـ ٢٧.

وكذا قال الأُستاذ المعاصر، بل زاد في تهذيب العبارة ومَدَح الصّحابة!! حيث قال تحت عنوان التفسير في دور الصّحابة:

هم درجاتٌ عند الله. قال تعالى: (**نَرْفَعُ دَرَجات مَنْ نَشاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْم عَليمٌ**).

لا شكّ أنّ الصّحابة، ممّن (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**) كانوا هم مراجع الأُمّة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله، إذ كانوا حاملي لوائه ومصادر شريعته إلى الملأ، ليس يعدل عنهم إلى الأبد. نعم، كانوا على درجات من العلم والفضيلة حسبما أُوتوا من فهم وذكاء وسائر المواهب والاستعداد (**أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها**)(**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثيرًا**) ...[1]

أقول:

ألا مسائل يسأل هذا الاستاذ المحقّق: هل كان الصّحابة الجاهلون حتّى بمعاني ألفاظ القرآن مثل كلمة «الأب» وكلمة «التخوّف» ونحوهما «مراجع الأُمّة بعد الرسول... ليس يعدل عنهم إلى الأبد»؟ وهل ينفع توجيه جهلهم بأنهم «كانوا على درجات من العلم والفضيلة...»؟

إنه ليس الكلام الآن في فهم عديّ بن حاتم وأمثاله، بل المقصود هم الصّحابة الذين اشتهروا بتفسير القرآن، من الخلفاء وغيرهم.

والحق أنّهم كانوا أناساً جاهلين، ولا فائدة في التعبير عن «الجهل»، بـ «الخفاء»!

بل الأفظع من ذلك تقصيرهم في التعلّم من النبيّ صلّى الله عليه وآله، فإنهم لم يأخذوا شيئاً منه، لا في تفسير القرآن ولا في أحكام الشّريعة، وقد كان من

---

(١) التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١ / ١٨١.

الواجب عليهم أن يتعلّموا من النبيّ معالم الدين ومعارف الشريعة ثمّ ينقلوا ذلك إلى الأُمّة، ولكنّهم ـ وللأسف ـ لم يفعلوا كما كان الواجب، وقد صرّح بذلك بعض العلماء.

كما كان الواجب على الأُمة أنْ يرجعوا إلى أهل بيت النبي الذين تعلّموا منه كلّ شيء ووعوه، ولم يقولوا بآرائهم أصلا، ولكنّهم ـ وللأسف ـ لم يفعلوا كما كان الواجب عليهم إلاّ القليل منهم ... .

بحث حول اعتبار قول الصّحابي في التفسير

ثمّ إنّه قد وقع الكلام بين علماء القوم في اعتبار قول الصّحابي في التفسير، وذلك لأنّه إنْ أسند التفسير إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، لزم اعتبار السّند إليه، وأمّا هو، فالمفروض عندهم عدالته. وأمّا إنْ لم يسنده إلى الرّسول، أمكن أنْ يكون التفسير من عنده، فما الدليل على اعتباره وجواز الأخذ به؟

لقد اضطربت كلمات العلماء وتباينت آراؤهم في هذا الموضوع:

قال الحافظ السيوطي:

فصلٌ، في أُمّهات مآخذ التفسير:

قال الزركشي في البرهان: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة، أُمّهاتها أربعة:

الأوّل: النقل عن النبي صلّى الله عليه وآله. وهذا هو الطراز المعلّم.

لكن يجب الحذر من الضعيف والموضوع، فإنّه كثير، ولهذا قال أحمد: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير; قال المحققون من أصحابه: مراده أنّ الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح

متَّصلة، وإلاّ، فقد صحَّ من ذلك كثير، كتفسير الظلم بالشرك[1] في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعَرَض، والقوّة بالرمي في قوله: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة**).[1]

قلت: الذي صحَّ من ذلك قليل جدًا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة، وسأسردها كلّها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإنّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، كما قاله الحاكم في مستدركه. وقال أبوالخطاب من الحنابلة: يحتمل ألاّ يُرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة. والصواب الأوّل لأنه من باب الرواية لا الرأي.

قلت: ما قاله الحاكم نازَعه فيه ابنُ الصلاح وغيره من المتأخّرين، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه; ممّا لا مدخل للرأي فيه. ثمّ رأيت الحاكم نفسَه صرّح به في علوم الحديث. فقال: ومن الموقوفات تفسير الصّحابة، وأمّا من يقول: إن تفسير الصّحابة مسنَد; فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول. فقد خصَّص هنا وعمَّم في المستدرك، فاعتمد الأوّل. والله أعلم.

ثم قال الزركشيّ: وفي الرجوع إلى قول التابعيّ روايتان عن أحمد، واختار ابن عَقيل المنع، وحكوه عن شُعبة. لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم; لأنّ غالبها تلقوْها من الصّحابة، وربما يُحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ، فيظنُّ منْ لا فهم عنده أن ذلك اختلاف محقَّق فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك بل يكون كلُّ واحد منهم ذكر معنى من الآية; لكونه أظهر عنده، أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهُم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته،

---

(١) عبارة البرهان في تفسير القرآن ٢ / ١٥٧: «فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: (الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْم) وتفسير الحساب اليسير بالعرض. رواهما البخارى».

والكلُّ يَؤُولُ إلى معنى واحد غالبًا، فإن لم يمكن الجمع، فالمتأخّر من القولين عن الشخص الواحد مقدَّم إن استَوَيَا في الصحَّة عنه، وإلاّ فالصّحيح المقدّم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللّغة; فإنّ القرآن نزل بلسان عربي; وهذا قد ذكره جماعة، ونصَّ عليه أحمد في مواضع; لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنّه سئِل عن القرآن يمثَّل له الرجل ببيت من الشعر، فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللُّغة روايتان عن أحمد.

وقيل: الكراهة تُحْمَل على من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة، يدّل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبًا إلاّ في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقيّ في الشُّعَب عن مالك، قال: لا أُوتى برجل غير عالم بلغة العرب يُفسِّر كتاب الله إلاّ جعلتُه نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضَى من معنى الكلام، والمقتضَب من قوّة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لابن عباس، حيث قال: «اللهمّ فقِّهه في الدين وعلِّمْه التأْويل»، والذي عناه عليّ بقوله: «إلاّ فهمًا يؤتاه الرجل في القرآن».[٢] ومن هنا اختلف الصّحابة في معنى الآية، فأخذ كلّ برأيه على منتهى نظره، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرّد الرأي والإجتهاد من غير أصل، قال تعالى: ﴿**وَلَا**

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠. وبعدها في البرهان في تفسير القرآن: «وبذلك يرد تفسير مجاهد بالخيل». ثمّ قال: «وكتفسير العبادة بالدعاء في قوله: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي﴾».

(٢) عبارة البرهان في تفسير القرآن: «وروى البخاري في كتاب الجهاد في صحيحه عن على: «هل خصكم رسول الله بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة. أو فهم يؤتاه الرجل».

تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)،[1] وقال: (**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ**)،[2] وقال: (**لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**)،[3] فأضاف البيان إليه. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ تكلَّم في القرآن برأيه، فأصاب فقد أخطأ». أخرجه أبوداود والترمذي والنسائي. وقال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعدَه من النار». أخرجه أبوداود.

قال البيهقي في الحديث الأوّل: إن صحّ، فإنّما أراد ـ والله أعلم ـ الرأي الذي يغلِب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان فالقول به جائز.

وقال في المدخل: في هذا الحديث نظر، وإن صحّ فإنما أراد به ـ والله أعلم: فقد الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللّغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصّحابة الذين شاهدوا تنزيلَه، وأدّوا إلينا من السّنن ما يكون بيانًا لكتاب الله تعالى، قال تعالى: (**وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**).[4] فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة مَن بعده، وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده، ليستدلُّوا بما ورد بيانه على ما لم يرد. قال: وقد يكون المراد به مَنْ قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه، فيكون موافقته للصّواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة.

وقال الماوردي: قد حمل بعض المتورِّعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معانيَ القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدَها نصّ صريح ... .[5]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٧٢ ـ ٤٧٥.

قال السيوطي:

وقال الزَّركشي: ... الحقّ إن علم التفسير منه ما يتوقَّف على النقل، كسبب النُّزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل، ومنه ما لا يتوقَّف، ويكفي في تحصيله الثقة على الوجه المعتبر. قال: وكأنّه السَّبَب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل، والتمييز بين المنقول والمستنبط؛ ليحمل على الإعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط.

قال: واعلمْ أَنَّ القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنَّقْل وقسم لم يرد.

والأوّل: إمّا أَن يَردَ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أَو الصّحابة أو رؤوس التَّابعين. فالأَول يُبحث فيه عن صحة السّند، والثاني يُنظر في تفسير الصّحابيّ، فإن فسّره من حيث اللّغة، فهم أهل اللّسان، فلا شك في اعتمادهم، أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه. وحينئذ، إن تعارضت أقوال جماعة من الصّحابة، فإن أَمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قُدِّم ابن عباس; لأَنَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم بشَّره بذلك، حيث قال: «أللهمّ علِّمه التأويل». وقد رجّح الشافعي قول زيد في الفرائض، لحديث: «أفرضُكم زيد». وأمّا ماورد عن التابعين، فحيث جاز الإعتماد فيما سبق، فكذلك هنا، وإلاَّ وجب الإجتهاد.

وأمّا ما لم يرد فيه نقل فهو قليل، وطريق التَّوصل إلى فهمه النظرُ إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السِّيَاق.[1]

أقول:

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

إن كلمات علماء أهل السنّة في اعتبار تفسير الصّحابي متهافتة جدّاً كما رأيت، ولكنّ الجدير بالتنبيه هو أنهم يجعلون عنوان البحث «التفسير في دور الصّحابة» ويبحثون عن قيمة «تفسير الصحابي» ويطلقون الكلام وكأنّ الصّحابة كلّهم أو أكثرهم درسوا التفسير عند النبيّ وكانوا أهلا لأنْ يفسّروا القرآن، ولكنّهم في مقام ذكر المصداق لا يذكرون إلاّ ثلاثةً أو أربعةً من الصّحابة، وهم الإمام علي عليه السّلام وابن عبّاس وعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب!!

ولكنّا نتكلّم هنا حول الصّحابة العشرة الذين ذكرهم الحافظ السّيوطي، فنذكر موقف العلماء منهم وممّا روي عنهم في علوم القرآن وخصوص التفسير:

الخلفاء والتفسير

والظاهر أنّ إدخال السيوطي وغيره الخلفاء الثلاثة في زمرة المفسّرين من الصّحابة، ليس إلاّ من باب التأدّب تجاههم والتبرّك بأسمائهم! لتصريحهم بندرة رواية التفسير عن الثلاثة، والنادر كالمعدوم. ففي (الإتقان) مثلاً:

فأمّا الخلفاءُ، فأكثر من روي عنه منهم: علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدّاً.

ثمّ قال:

ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلاّ آثاراً قليلة جدّاً، لا تكاد تتجاوز العشرة.[1]

هذا، وسيأتي عن بعضهم التصريح بقلّة الرواية في التفسير عن أميرالمؤمنين أيضاً، حتّى كادت تكون معدومة عندهم.

وإذا كان هذا حال الروايات عن «أكثر من روي عنه منهم» فما ظنّك بروايات البقيّة؟

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٣.

السبّب في قلّة التفسير عن المشايخ الثلاثة

والسّبب في قلّة رواية التفسير عن الثلاثة، جهلهم بذلك وعدم تعلّم شيء منه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ... جاء ذلك في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة، فإنّه قال في مقام تبرئة نفسه عن الكذب على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إنّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإنّ إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإنّ أباهريرة كان يلزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.[1]

وقد أسمع ذلك أُبي بن كعب عمر بن الخطّاب، حينما اعترض عليه في بعض الآيات، فاعترف عمر بجهله واعتذر إليه:

في (كنز العمّال):

عن ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: سمعت بجالة التميمي قال: وجد عمر بن الخطّاب مصحفاً في حجر غلام، فيه: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم. فقال: أُحككها يا غلام. فقال: والله لا أحكّها وهي في مصحف أُبي ابن كعب، فانطلقوا إلى أُبي، فقال له أُبي: شغلني القرآن وشغلك الصّفق بالأسواق، إذ تعرض رداءك على عنقك بباب ابن العجماء.[2]

وفي (كنز العمّال) أيضاً:

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٣٨، كتاب العلم، باب حفظ العلم.

(٢) كنز العمّال ١٣ / ٢٥٩، رقم ٣٦٧٦٣.

عن الحسن: إنّ عمر بن الخطّاب ردّ على أُبيّ بن كعب قراءة آية، فقال له أُبي: لقد سمعتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنت يلهيك ـ يا عمر ـ الصّفق بالبقيع. فقال عمر: صدقت.[١]

بل لقد اعترف بذلك عمر نفسه في بعض الموارد، كالحديث في (البخاري)، في قضيّة خبر أبي موسى في حكم الإستيذان وشهادة أبي سعيد الخدري له، قال عمر:

خفي عليَّ هذا من أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم، ألهاني الصفق بالأسواق.[٢]

وفي (حياة الحيوان):

كان أبوبكر الصدّيق بزّازاً، وكذلك عثمان وطلحة وعبدالرحمن بن عوف. وكان عمر دلاّلاً يسعى بين البائع والمشتري.[٣]

موقف المتعصّبين من تفسير أميرالمؤمنين

وأمّا عليّ عليه السّلام، فإنّه وإنْ نصّ السّيوطي على أنّه أكثر من روي عنه التفسير من الخلفاء، لكنّ بعض المتعصّبين منهم نفى ذلك، وحمله على الأكثريّة الإضافيّة، ألا ترى المتكلّمين منهم ـ حينما يريدون الردّ على استدلال أهل الحقّ على أعلميّة الإمام بالقرآن والتفسير، بانتشار هذا العلم عنه بين المسلمين ـ يبادرون إلى القول بأنّ ما روي عن علي ليس إلاّ أخباراً آحاداً، حتّى أنّ ابن تيميّة يقول بأنّ رواية ابن عبّاس في التفسير عن علي «قليلة جدّاً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي»[٤] ويقول: «وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي».[٥]

---

(١) كنز العمّال ١٣ / ٢٦١ ـ ٢٦٢، رقم ٣٦٧٦٦.

(٢) صحيح البخاري ٨ / ١٥٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة.

(٣) حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٥ «الجزور».

(٤) منهاج السنّة ٨ / ٤٢.

(٥) المصدر ٨ / ٤٣.

بل لقد قال غير واحد منهم بأنّ كلّ ما روي عنه عليه السّلام فهو مكذوب عليه:

قال الذهبي في (ميزان الإعتدال):

حصين، عن الشعبي: ما كذب على أحد من هذه الأُمّة ما كذب على علي رضي الله عنه. وقال أيّوب: كان ابن سيرين يرى أنّ عامّة ما يروى عن علي باطل.[1]

وفي (البخاري):

فكان ابن سيرين يرى أنّ عامّة ما يروى عن علي الكذب.[2]

أقول:

وقد تبع الاستاذ الذهبي ابن سيرين وغيره فقال:

كثرت الرواية في التفسير عن علي رضي الله عنه، كثرةً جاوزت الحدّ ... وما صحّ عن علي في التفسير قليل بالنسبة لما وضع عليه، ويرجع ذلك إلى غلاة الشيعة الذين أسرفوا في حبّه فاختلقوا عليه ما هو بريء منه ... والحق أنّ كثرة الوضع على علي رضي الله عنه أفسدت الكثير من علمه، ومن أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح فيما يروونه عنه إلاّ على ما كان من طريق الأثبات من أهل بيته أو من أصحاب ابن مسعود كعبيدة السلماني وشريح وغيرهما ... .[3]

وعلى هذا ... فلنعطف عنان البحث والكلام نحو سائر الصّحابة الأعلام، الذين ذكرهم السيوطي في الطبقة الأُولى.

---

(١) ميزان الإعتدال ١ / ٤٣٦، رقم ١٦٢٧.

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٢٠٩، باب مناقب المهاجرين ـ باب مناقب عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه.

(٣) التفسير والمفسرون ١ / ٦٢ ـ ٦٣.

ولنترجم أوّلا لابن مسعود بإيجاز، ثمّ نتكلّم عمّا رووه أو ذكروه مما هو من القوادح على أصولهم فيه وفي مصحفه وما أخرجوه عنه في التفسير، ثمّ نتعرّض لحاله عند الإماميّة.

عبدالله بن مسعود

ترجمته

هو: أبوعبدالرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل... من أكابر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

كان إسلامه قديماً، وهاجر الهجرتين جميعاً، إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد بدراً وسائر المشاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

كذا في الإصابة وأُسد الغابة وغيرهما.[1]

ووصفه الحافظ الذهبي بـ: «الإمام الحبر، فقيه الأُمّة، كان من السّابقين الأوّلين ومن النجباء العالمين، مناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً، اتّفقا له في الصحيحين على أربعة وستّين، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثاً ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثاً، وله عند بقيّ بالمكرّر ثماني مئة وأربعون حديثاً، كان معدوداً في أذكياء العلماء».[1]

وقال ابن حجر: «آخى النبي صلّى الله عليه وآله بينه وبين الزبير، وبعد الهجرة بينه وبين سعد بن معاذ».

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ٢٥٦، الإصابة في تمييز الصّحابة ٤ / ١٩٨ ـ ٢٠١.

هذا، وقد رووا في فضله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعض الأحاديث، عمدتها:

١. عن حذيفة بن اليمان، أنّه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «تمسّكوا بعهد ابن أُمّ عبد».

٢. عن عمرو بن حريث، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «رضيت لكم ما رضي به ابن أُمّ عبد».

و«ابن أُمّ عبد» كنية عبدالله بن مسعود.

وقد ذكر المولوي عبدالعزيز الهندي الأوّل من هذين الحديثين في مقام المعارضة لحديث: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا...».[٢]

لكنّهما حديثان ساقطان سنداً...

أمّا الأوّل: فقد رواه ابن الأثير بإسناده عن قبيصة بن عقبة، قال: «حدّثنا سفيان الثوري، عن عبدالملك بن عمير، عن مولىً لربعي. عن ربعي، عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: وتمسّكوا بعهد ابن أُمّ عبد»; قال: «وقد رواه سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود».

وفيه:

«قبيصة بن عقبة». قال ابن معين: «ثقة، إلاّ في سفيان»;[٣] والحديث عن سفيان!

---

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ٤٦٢.

(٢) التحفة الاثنا عشرية: ٢١٩.

(٣) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٨٣.

و«عبدالملك بن عمير»; قال إسحاق بن منصور: «ضعّفه أحمد جدّاً»، وقال ابن معين: «مخلّط»، وقال أبوحاتم: «ليس بحافظ، تغيّر حفظه»، وقال ابن خرّاش: «كان شعبة لا يرضاه»، وقال ابن حجر: «كان مدلّساً».[1]

ثمّ إنَّ «عبدالملك» هذا لم يسمع الحديث عن «ربعي بن خراش» و«ربعي» لم يسمع من «حذيفة»; نصّ على ذلك الأئمّة.[2]

و«مولى ربعي» وهو مجهول.

وقد روي هذا الحديث بسند آخر: «عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود».

لكنّ رجاله مقدوحون جدّاً:

فإنّ «يحيى بن سلمة»; قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «متروك الحديث»، وقال الترمذي: «ضعيف»، وقال ابن سعد: «كان ضعيفاً جدّاً»، وقال الدارقطني: «متروك»، وقال الذهبي: «ضعيف».[3]

و«أبوالزعراء»، وهو صاحب ابن مسعود; قال البخاري: «لا يتابع على حديثه».[4]

---

(١) تهذيب التهذيب ٦ / ٣٦٤، رقم ٧٦٥، ميزان الإعتدال ٢ / ٦٦٠، تقريب التهذيب ١ / ٦١٨.

(٢) أُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢ / ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) التاريخ الصغير ١ / ٣٤٧، الضعفاء والمتروكين ـ للنسائي ـ: ٢٤٩، تهذيب التهذيب ١١ / ١٩٦ ـ ١٩٧، الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستّة ٢ / ٣٦٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٦ / ٥٦، ميزان الإعتدال ٢ / ٥١٦ ـ ٥١٧.

وأمّا الثاني: فإنّه ـ بناءً على صحّة سنده ـ وارد في مورد خاص لا يدلُّ على منقبة أصلا; فقد أخرج الحاكم بإسناده عن عمرو بن حريث، عن أبيه، قال:

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعبدالله بن مسعود: إقرأ. قال: أقرأ وعليك أُنزل؟ قال: إنّي أُحبّ أن أسمع من غيري.

قال: فافتتح سورة النساء حتّى بلغ: (**فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيد وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهيدًا**)،[1] فاستعبر رسول الله وكفّ عبدالله، فقال له رسول الله: تكلّم.

فحمد الله في أوّل كلامه وأثنى على الله، وصلّى على النبيّ، وشهد شهادة الحقّ، وقال: رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، ورضيت لكم ما رضي الله ورسوله.

فقال رسول الله: رضيت لكم ما رضي لكم ابن أُمّ عبد.[2]

أقول:

ثمّ إنّ بين الحديثين ومواقف عمر وعثمان من عبدالله بن مسعود تنافياً بيّناً; ففي ترجمة عمر أنّه حبس ثلاثة: ابن مسعود وأباالدرداء وأبامسعود الأنصاري; قال: «قد أكثرتم الحديث عن رسول الله».[3]

وفي رواية ابن سعد: «قال عمر بن الخطّاب لعبدالله بن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذرّ: ما هذا الحديث عن رسول الله؟ قال: وأحسبه قال: ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتّى مات».[4]

---

(١) سورة النساء: الآية ٤١.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٣١٩.

(٣) تذكرة الحفّاظ ١ / ٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٦.

بين عثمان وابن مسعود

وأمّا قضايا عثمان معه، فمن ضروريات تاريخ الإسلام:

لقد اتفّقت روايات المؤرّخين على أنّ عثمان ضرب عبدالله بن مسعود ـ أو أمر به فضُرب ـ وكسر له ضلعان، واختلفوا في السبب;

فروى ابن قتيبة في أخبار عثمان من كتاب المعارف:

وكان ممّا نقموا على عثمان أنّه... طلب إليه عبدالله بن خالد بن أُسيد صلةً فأعطاه أربعمائة ألف درهم من بيت مال المسلمين، فقال عبدالله بن مسعود في ذلك، فضربه إلى أن دقَّ له ضلعين.[1]

وفي تاريخ اليعقوبي ـ في قصّة المصاحف ـ :

فأمر به عثمان فجُرّ برجله حتّى كُسر له ضلعان، فتكلّمت عائشة وقالت قولا كثيراً ... .[2]

وقصّة المصاحف طويلة جدّاً; فإنّ عثمان لمّا عزم على جمع المصحف، أو جمع المسلمين على قراءة واحدة، عيّن لهذا العمل زيد بن ثابت، وطلب من

عبدالله بن مسعود تسليم مصحفه، فامتنع من ذلك واعترض على تعيين زيد بن ثابت:

أخرج الحافظ ابن عبدالبرّ عن الأعمش، عن شقيق، قال:

لمّا أمر عثمان في المصاحف بما أمر، قام عبدالله بن مسعود خطيباً فقال: أيأمرونّي أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت؟! والذي نفسي بيده، لقد أخذت من فيّ رسول الله سبعين سورة وإن

---

(١) كتاب المعارف: ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٠.

زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان. والله ما نزل من القرآن شيء إلاّ وأنا أعلم في أيّ شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله منّي، ولو أعلم أحداً تبلّغنيه الإبل أعلم بكتاب الله منّي لأتيته. ثمّ استحيى ممّا قال فقال: وما أنا بخيركم.

قال شقيق: فقعدت في الحلق فيها أصحاب رسول الله، فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه ولا ردّ ما قال.[1]

أقول:

لكن زعمه الأعلميّة بكتاب الله مردود بما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في علم عليّ بالقرآن، وكذا ما قاله هو عليه السّلام، وما أقرّ به سائر الأصحاب في حقّه ... .

أخرج الحاكم وصحّحه، ووافقه الذهبي:

عن علي رضي الله عنه قال: قيل له: أخبرنا عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «عن أيّهم؟» قال: أخبرنا عن عبدالله بن مسعود، قال: «عَلِمَ الكتاب والسنّة، ثمّ انتهى وكفى به».[2]

أمّا ابن مسعود، فقد رووا عنه:

ما منها حرف إلاّ له ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن.[3]

الدفاع عن عثمان

---

(١) الإستيعاب ٣ / ٩٩٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تلخيص الذهبي ٣ / ٣٦٠.

(٣) حلية الأولياء ١ / ٦٥.

لكنّ القوم تصرّفوا في كلام ابن مسعود، وأسقطوا منه نيله من عثمان وزيد بن ثابت; حفظاً لماء الوجه!! فأخرجه البخاري في كتابه عن الأعمش، عن شقيق، قال:

خطبنا عبدالله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ... .[١]

بل زعم بعضهم أنّ ما روي عنه في الطعن في زيد كلّه موضوع!![٢]

ثمّ انبرى علماؤهم في علم الكلام للدفاع عن عثمان في ضربه عبدالله بن مسعود:

فقال الدياربكري:

إنه لو بقي مصحفه في أيدي الناس لأدّى ذلك إلى فتنة كبيرة في الدين، لكثرة ما فيه من الشذوذ المنكرة عند أهل العلم بالقرآن.[٣]

وقال ابن حجر في الصواعق في مطاعن عثمان:

ومنها: أنّه حبس عطاء ابن مسعود وأُبيّ بن كعب، ونفى أباذرّ إلى الربذة، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام إلى المدينة لمّا اشتكاه معاوية، وهجر ابن مسعود، وقال لابن عوف: إنّك منافق، وضرب عمّار بن ياسر، وانتهك حرمة كعب بن عجرة، فضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وكذلك حرمة الأشتر النخعي.

وجواب ذلك: أمّا حبسه لعطاء ابن مسعود وهجره له، فلِما بلغه ممّا يوجب ذلك، إلقاءً [إيقاءً] لأُبهّة الولاية.[٤]

---

(١) صحيح البخاري ٦ / ١٠٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ٤٣.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٢٧٣.

(٤) الصواعق المحرقة: ١١٤.

فكان قد وقع من ابن مسعود ما استحقّ به حبس العطاء والهجر، بل يظهر من ذلك أنّه ما كان يعتقد بولاية عثمان وخلافته، فلو كان يعتقد لَما ألقى أُبّهتها!

وقال الفخر الرازي في نهاية العقول:

قوله: سادساً: ضرب ابن مسعود وعمّاراً وسيّر أباذر إلى الربذة.

قلنا: كما فعل ذلك، فقد نقل عن هؤلاء: أنّهم أقدموا على أفعال استوجبوا منه ذلك.[1]

ومن الضروري: إنّ الأفعال المستوجبة لضرب أعيان الصّحابة وهتك عدولهم، ليست إلاّ الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة ...

لكنّ الظاهر أن عبدالله بن مسعود كان مخالفاً لعثمان قبل تلك القضايا; فقد كان يتكلّم فيه وهو في الكوفة ـ إذ أرسله عمر معلّماً لأهلها ـ فقد جاء في السيرة الحلبيّة ما نصّه:

وكان الوليد شاعراً ظريفاً حليماً شجاعاً كريماً، شرب الخمر ليلةً من أوّل الليل إلى الفجر، فلمّا أذّن المؤذّن لصلاة الفجر خرج إلى المسجد وصلّى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني، ثمّ قاء في المحراب، ثمّ سلّم وقال: هل أزيدكم؟

فقال له ابن مسعود: لا زادك الله خيراً ولا من بعثك إلينا.[2]

ولهذا وغيره استقدمه عثمان ... فروى الأعمش عن زيد بن وهب، قال: لمّا بعث عثمان إلى عبدالله بن مسعود يأمره بالقدوم عليه بالمدينة وكان بالكوفة، اجتمع الناس عليه فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه.

---

(١) نهاية العقول ٤ / ٥٧٤.

(٢) السيرة الحلبيّة ٢ / ٥٩٣.

فقال عبدالله: إنّ له علَيَّ حقّ الطاعة، وإنّها ستكون أُمور وفتن، فلا أحبّ أن أكون أوّل مَن فتحها. فردّ الناس وخرج إليه.[١]

وعلى كلّ حال... فلم يبق أحد في المدينة إلاّ حنق على عثمان، وزاد ذلك غضب مَن غضب لأجل ابن مسعود وأبي ذرّ وعمّار.[٢]

هذا، وقد كان عثمان قد حرم ابن مسعود عطائه سنتين،[٣] فلمّا مرض مرضه الذي مات فيه، أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكي؟

فقال: ذنوبي.

قال: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربّي.

قال: ألا أدعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب أمرضني.

قال: أفلا آمر لك بعطائك؟

قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه!

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله تعالى.

قال: استغفر لي يا أباعبدالرحمن!

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ١ / ٤٨٩.

(٢) الرياض النضرة ٣ / ٦٤، تاريخ الخميس ٢ / ٢٦١، تاريخ الخلفاء: ١٥٧; واللفظ للأوّل.

(٣) سير أعلام النبلاء ١ / ٤٩٩، أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ٢٦٠.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك حقّي.[1]

لكنّ القوم حرّفوا هذا الخبر أيضاً حفظاً لماء وجه عثمان; فأسقطوا منه بعض الكلمات، وخاصّةً قوله أخيراً: «أسأل الله أن يأخذ لي منك حقّي»!

وإذا كان هذا كلامه الأخير مع عثمان، فكيف يدّعي بعضهم أن عثمان قد صلّى عليه؟! بل الصحيح أنّه قد دُفن ليلاً بوصية منه; لئلاّ يعلم عثمان بدفنه، فمَن الذي صلّى عليه؟ قيل: الزبير، وقيل: عمّار بن ياسر.[2]

ابن مسعود في نظر أصحابنا الإماميّة

وأمّا حال «عبدالله بن مسعود» في نظر أصحابنا، فأوّل شيء يجب التنبيه عليه هو: إنّا لم نجد في رواياتنا مدحاً له عن أحد من الأئمّة يدلّ على ولائه لهم عليهم الصّلاة والسّلام، بالرغم من وجود المدح فيها لبعض الصّحابة عنهم، كما ورد مثلا في: «أبي سعيد الخدري».

بل تدلُّ أخبارنا على عدم متابعته لأميرالمؤمين عليه السّلام في قراءة القرآن والأحكام الشرعيّة; فقد ورد عن أبي عبدالله عليه السّلام قوله:

إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال.[1]

وعنه عليه السّلام أنّه قال:

أفسد ابن مسعود على الناس صلاتهم بشيئين، بقوله: تبارك اسم ربّك وتعالى جدّك... وقوله: السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين; يعني: في التشهّد الأوّل.[2]

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣ / ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) أُنظر: أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ٢٦٠، الإستيعاب ٣ / ٩٩٤.

بل في رواية: إنّه أبى ما قاله الإمام عليه السّلام; فقد جاء فيها:

إنّ عمر بن الخطّاب وقعت في إمارته هذه الفريضة فلم يدر ما يصنع،

... فقال له أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله: أعط هؤلاء فريضتهم: للأبوين السدسان، وللزوجة الثُمن، وللبنتين ما يبقى.

فقال: فأين فريضتهما الثلثان؟

فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: لهما ما يبقى.

فأبى ذلك عليه عمر وابن مسعود.[٣]

وقد يُدّعى كونه من الموالين لأمير المؤمنين عليه السّلام، ويستدلّ لذلك بوجوه، وتفصيل الكلام حولها في القسم الثاني من كتابنا.

الكلام حول مصحفه

قال الراغب الإصفهاني:

١ـ أثبت ابن مسعود في مصحفه: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأجوف ابن آدم إلاّ التراب ويتوب الله على من تاب».[٤]

٢ـ وقال أيضاً:

أثبت ابن مسعود بسم الله في سورة البراءة.[١]

---

(١) الكافي ٢ / ٦٣٤، الحديث ٢٧، باب النوادر من كتاب فضل القرآن.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١ / ٤٠١، الحديث ١١٩٠، باب الجماعة وفضلها.

(٣) التهذيب ٩ / ٢٥٩، الحديث ٩٧١، باب في إبطال العول والعصبة من كتاب الفرائض والمواريث.

(٤) محاضرات الأُدباء ٤ / ٤٣٤.

٣ـ إنكاره المعوّذتين:

وتنازع العلماء خبر انكار ابن مسعود المعوّذتين...

أمّا أصحابنا، فلم أجد أحداً يكذّب الخبر، بل كلّهم يقولون ـ تبعاً للإمام عليه السّلام ـ بخطئه، ويفتون بجواز قراءة المعوّذتين في الصلوات:

قال العلاّمة:

والمعوذّتان من القرآن، يجوز أن يقرأ بهما، ولا اعتبار بإنكار ابن مسعود; للشبهة الداخلة عليه بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان يعوّذ بهما الحسن والحسين عليهما السّلام، إذ لا منافاة، بل القرآن صالح للتعوّذ به لشرفه وبركته. وقال الصادق عليه السّلام: إقرأ المعوّذتين في المكتوبة. وصلّى عليه السّلام المغرب فقرأهما فيها.[٢]

وقال الشهيد:

أجمع علماؤنا وأكثر العامّة على أنّ المعوِّذتين ـ بكسر الواو ـ من القرآن العزيز وأنّه يجوز القراءة بهما في فرض الصلاة ونفلها.

وروى منصور بن حازم، قال: أمرني أبوعبدالله عليه السّلام أن أقرأ المعوّذتين في المكتوبة.

وعن مولى آل سام، قال: أمّنا أبوعبدالله عليه السّلام في صلاة المغرب فقرأ المعوّذتين.

وعن ابن مسعود: إنّهما ليستا من القرآن وإنّما أُنزلتا لتعويذ الحسن والحسين عليهما السّلام. وخلافه انقرض، واستقرّ الإجماع الآن من العامّة والخاصّة على ذلك.[٣]

---

(١) المصدر.

(٢) تذكرة الفقهاء ٣ / ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٣ / ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

وقال في الجواهر:

المعوّذتان من القرآن، ويجوز أن تقرأهما في الصّلاة، فرضها ونفلها، نصّاً وإجماعاً، لا يقدح فيه خلاف ابن مسعود بعد انقراضه، وتصريح الصادق عليه السّلام بخطئه أو كذبه، وأنّه فعل ذلك من رأيه الذي لا ينبغي اتّباعه فيه.[1]

فهذا بعض كلمات علمائنا وسنذكر المزيد في القسم الثاني من الكتاب.

ولكنّ أهل السنّة اختلفوا في حلّ هذه المشكلة وتناقضت كلماتهم ... .

مشكلة الفاتحة والمعوّذتين وطرق حلّها

فقد روى علماء السنّة أيضاً رأي ابن مسعود في الفاتحة والمعوّذتين وغيرهما، ونقلوا طرفاً من الشواذ الموجودة في مصحفه:

قال الراغب ـ في فصل: بيان ما ادُّعي أنّه من القرآن ممّا ليس في المصحف وما ادُّعي أنّه ليس منه وهو فيه ـ :

وأسقط ابن مسعود من مصحفه أُمّ القرآن والمعوّذتين.[2]

وفي المسند:

عن عبدالرحمن بن يزيد، قال: كان عبدالله يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ويقول: إنّهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى.[1]

وفي الدرّ المنثور:

---

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ١٠ / ٥١.

(٢) محاضرات الأُدباء ٤ / ٤٤٨.

أخرج عبد بن حميد، ومحمّد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، وابن الأنباري في المصاحف، عن محمّد بن سيرين: إنّ أُبيّ بن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب والمعوّذتين، واللهمّ إيّاك نعبد واللهمّ إنّا نستعينك. ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهنّ. وكتب عثمان بن عفّان فاتحة الكتاب والمعوّذتين.[٢]

وفي الدرّ المنثور أيضاً:

أخرج عبد بن حميد، عن إبراهيم، قال: كان عبدالله لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف، وقال: لو كتبتها لكتبت في أوّل كلّ شيء.[٣]

وفي تاريخ الخميس بعد العبارة المنقولة آنفاً:

ولحذفه المعوّذتين من مصحفه، مع الشهرة عند الصّحابة أنّهما من القرآن.[٤]

هذا، وقد قالوا بأنّ إنكار الفاتحة والمعوّذتين كفر; فقد جاء في الإتقان:

قال النووي في شرح المهذّب: أجمع المسلمون على أنّ المعوّذتين والفاتحة من القرآن، وأنّ مَن جحد منها شيئاً كفر.[٥]

وإذا كان «مَن أنكر شيئاً منها كفر» فقد أنكر ابن مسعود كلّها!!

ومن هنا وقعوا في المشكلة:

قال السيوطي في الإتقان:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ١ / ٢; وفيه: «إيّاك نستعين» بدل: «اللهمّ إنّا نستعينك».

(٣) المصدر.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٢٧٣.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢١٣.

ومن المشكل على هذا الأصل: ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي، قال: نقل في بعض الكتب القديمة أنّ ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوّذتين من القرآن، وهو في غاية الصعوبة; لأنّا إنّ قلنا: إنّ النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصّحابة بكون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكفر.

وإن قلنا: لم يكن حاصلاً في ذلك الزمان، فيلزم [أن يكون] القرآن ليس بمتواتر في الأصل.[1]

وتحيّروا كيف يخرجون من هذه العويصة؟!

١ـ تكذيب الأخبار

قال في الإتقان، نقلاً عن الرازي بعد ما تقدّم:

والأغلب على الظنّ أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة.[2]

وهكذا أجاب القاضي أبوبكر، والنووي، وابن حزم ... وزعموا أنّ به يحصل الخلاص عن هذه العقدة.

ولكنْ لات حين مناص! فقد تعقّب المحقّقون ذلك وتتبّعوا الأخبار به، ووجدوها صحيحةً، ولا مجال لتكذيب الأخبار الصحيحة أبداً ...

ففي الإتقان:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢١٢.

(٢) المصدر.

قال ابن حجر في شرح البخاري: قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك; فأخرج أحمد وابن حبّان عنه أنّه كان لا يكتب المعوّذتين في مصحفه.

وأخرج عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد النخعي، قال: كان ابن مسعود يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ويقول: إنّهما ليستا من كتاب الله.

وأخرج البزّار والطبراني من وجه آخر عنه أنّه كان يحكّ المعوّذتين من المصحف ويقول: إنّما أمر النبيّ أن يتعوّذ بهما، وكان [عبدالله] لا يقرأ بهما.

أسانيدها صحيحة.

قال البزّار: لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصّحابة. وقد صحّ أنّه صلّى الله عليه وسلّم قرأ بهما في الصّلاة.

قال ابن حجر: فقول مَن قال: إنّه كذب عليه، مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يُقبل، بل الروايات صحيحة.[1]

فهذا الطريق ـ طريق الطعن في هذه الروايات ـ لا يفيد.

٢ ـ الإبهام

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢١٣.

ومنهم مَن سلك طريق الإبهام; فوضع بدل كلمة حكّ ابن مسعود وإنكاره الفاتحة والمعوّذتين، كلمة: «كذا وكذا» وتخيّل أنّه بذلك يمكن إخفاء الحقيقة

والخروج عن العقدة ... وقد جاء ذلك في صحيح البخاري; إذ قال:

حدّثنا علي بن عبدالله، حدّثنا سفيان، حدّثنا عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش. وحدّثنا عاصم عن زر، قال: سألت أُبيّ بن كعب: يا أباالمنذر! إنّ أخاك ابن مسعود يقول: كذا وكذا.

فقال أُبيّ: سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال لي: قل، فقلت: [قال] فنحن نقول كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[1]

على أنّ في هذا النقل مزيداً من الطعن والجرح على ابن مسعود ...

وقال ابن حجر في فتح الباري:

هكذا وقع هذا اللّفظ مبهماً، وكأنّ بعض الرواة أبهمه استعظاماً، وأظنّ ذلك من سفيان; فإنّ الإسماعيلي أخرجه من طريق عبدالجبّار بن العلاء عن سفيان كذلك على الإبهام، وكنت أظنّ أوّلاً أنّ الذي أبهمه البخاري ... .[2]

٣ـ التأويل والحمل

ومنهم مَن سلك طريق التأويل للأخبار المنقولة عن ابن مسعود.

قال ابن حجر في فتح الباري:

---

(١) صحيح البخاري ٦ / ٩٦، كتاب التفسير ـ سورة: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٥٧١.

وقد تأوّل القاضي أبوبكر الباقلاّني في كتاب الانتصار، وتبعه عياض وغيره، ما حكي عن ابن مسعود; فقال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنّما أنكر إثباتهما في المصحف; فإنّه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً إلاّ إن كان

النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أذن في كتابته فيه، وكأنّه لم يبلغه الإذن في ذلك.

قال: فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونهما قرآناً; وهو تأويل حسن.[1]

لكنّه تأويل عجيب، وتوجيه غريب! فأيّ مانع من درج ما هو قرآن في القرآن حتّى لا يجوّز ابن مسعود ذلك، ويهتمّ بمحوه من المصحف؟!

إنّ مثل هذا التأويل غير مُجْد للدفاع عن حرمة ابن مسعود والمحافظة على مقامه.

إنّ هذا التأويل لا يمكن قبوله أصلا; ولذا قال ابن حجر بعد العبارة المتقدّمة:

«إلاّ أنّ الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك; حيث جاء فيها: «ويقول: إنّهما ليستا من كتاب الله»،[2] نعم، يمكن حمل لفظ «كتاب الله» على المصحف»; فيتمّ التأويل المذكور.

وقال غير القاضي: لم يكن اختلاف ابن مسعود مع غيره في قرآنيّتهما، وإنّما كان في صفة من صفاتهما. انتهى..

وغاية ما في هذا أنّه أبهم ما بيّنه القاضي.[3]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٥٧١.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

لكنّ هذا التأويل باطل أيضاً; إذ لا يساعده لفظ الرواية عند البزّار والطبراني التي أوردها ابن حجر أيضاً، فإنّها صريحة في أنّ ابن مسعود كان يقول بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّما عوّذ بالمعوّذتين، ولم يكن يقرأ بهما، وهذا يدلّ بكلّ

وضوح على أنّ ابن مسعود ما كان يرى المعوّذتين قرآناً، اللهمّ إلاّ أن يزعموا أنّ عدم القراءة بالمعوّذتين لا يثبت عدم كونهما قرآناً، وحينئذ، فما هو الكلام المعبّر عن ذلك؟!

ومن هنا نرى أنّ بعض المتكلّمين منهم ـ لمّا لم يتمكّنوا من توجيه رأي ابن مسعود، ولا من إنكار ما لاقاه من عثمان ـ اضطرّوا إلى هتك حرمة ابن مسعود وتوهينه.. ولم يتعرّضوا لشيء من هذه التأويلات..

وكيف يمكن تأويل ما أُخرج في المسند من أنّه:

لقد كان ابن مسعود يرى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يعوّذ بهما الحسن والحسين، ولم يسمعه يقرأهما في شيء من صلواته، فظنّ أنّهما معوّذتان، وأصرّ على ظنّه، وبالغ في إنكار كونهما من القرآن.[1]

ولذا نرى الحافظ ابن حجر يتراجع عن كلّ التأويلات، وقد قال في آخر كلامه السابق:

ومَن تأمّل سياق الطرق التي أوردتها للحديث استبعد هذا الجمع.

واختار بالأخرة الحمل على عدم تواتر المعوّذتين عند ابن مسعود، قال:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٣٠.

قد قال ابن الصبّاغ في الكلام على مانعي الزكاة: وإنّما قاتلهم أبوبكر على منع الزكاة. ولم يقل إنّهم كفروا بذلك، وإنّما لم يكفروا; لأنّ الإجماع لم يكن استقرّ. ـ قال: ـ ونحن الآن نكفّر مَن جحدها..

وكذلك ما نقل عن ابن مسعود في المعوّذتين; يعني: إنّه لم يثبت عنده القطع بذلك، ثمّ حصل الاتّفاق بعد ذلك.

وقد استشكل هذا الموضع الفخر الرازي، فقال: إن قلنا: إنّ كونهما من القرآن كان متواتراً في عصر ابن مسعود، لزم تكفير مَن أنكرهما. وإن قلنا: إنّه لم يكن متواتراً، لزم أنّ بعض القرآن لم يتواتر; قال: وهذه عقدة صعبة.

وأُجيب: باحتمال أنّه كان متواتراً في عصر ابن مسعود، ولكن لم يتواتر عند ابن مسعود; فانحلّت العقدة بعون الله تعالى.[1]

إلاّ أنّ هذا الحمل أضعف وأفسد من الكلّ; وذلك:

أوّلاً:

إنّه ينافي ما رواه القوم ـ كما في الإستيعاب وغيره ـ من أنّ ابن مسعود حضر العرض الأخير للقرآن الكريم، وعلم ما نسخ منه وما بدّل، وهذا نصّ ما رواه ابن عبدالبرّ حيث قال:

روى وكيع وجماعة معه، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، قال: قال لي عبدالله بن عبّاس: أيّ القراءتين تقرأ؟

قلت: القراءة الأُولى، قراءة ابن أُمّ عبد.

فقال لي: بل هي الآخرة; إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان يعرض القرآن على جبرئيل في كلّ عام مرّة، فلمّا كان العام الذي قُبض فيه، عرضه عليه مرّتين، فحضر ذلك عبدالله، فعلم ما نسخ من ذلك وما بدّل.[٢]

وهل من الجائز أن يقال بأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يعرض المعوّذتين، وجبريل أيضاً لم ينبّهه على ذلك؟!

وثانياً:

إذا كان تواتر المعوّذتين ثابتاً عند الصّحابة وغير ثابت عند ابن مسعود فقط، **نقول:**

إن كان سائر الصّحابة قد أخبروه بكون المعوّذتين من القرآن فلم يقبل منهم ولم يصدّقهم، أو لم يثبت بخبرهم تواترهما عنده، لزم فسق الصّحابة، بل دلّ ذلك على كونهم أسوء حالا من الكفّار والفسّاق; لأنّ التواتر يحصل بإخبار الكفّار أيضاً، كما بُيّن في محلّه..

وإن كان سائر الصّحابة لم يخبروه بكون المعوّذتين قرآناً، مع علمهم بأنّه كان يحكّهما من المصاحف ـ كما في المسند:

عن زر، قال: قلت لأُبيّ: إنّ أخاك يحكّهما من المصحف.

وكما في الرياض النضرة في مطاعن عثمان:

وأمّا الخامسة عشر، وهي إحراق مصحف ابن مسعود، فليس ذلك ممّا يعتذر عنه، بل هو من أكبر المصالح; فإنّه لو بقي في أيدي الناس أدّى ذلك إلى فتنة كبيرة في الدين; لكثرة ما فيه من الشذوذ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٥٧١ ـ ٥٧٢.

(٢) الإستيعاب ٣ / ٩٩٢، رقم ١٦٥٩.

المنكرة عند أهل العلم بالقرآن،

ولحذفه المعوّذتين من مصحفه مع الشهرة عند الصّحابة أنّهما من القرآن. وقال عثمان لمّا عوتب في ذلك: خشيت الفتنة في القرآن.[1]

ـ فالصّحابة ـ وعلى رأسهم عثمان ـ كلّهم فسّاق!!

وبعد، فإذا كان ابن مسعود منكِراً للمعوّذتين، فإنّ جميع ما يشنّع به المخالفون على أهل الحقّ ـ لوجود بعض الأخبار الموهمة تحريف القرآن، القابلة للحمل على المحامل الصحيحة في كتبنا ـ يتوجّه على ابن مسعود بالأولويّة القطعية; فإنّه ينكر بصراحة سورتين كاملتين، بل ثلاث سوَر، هي: المعوّذتان وأُمّ الكتاب، وهو في الوقت نفسه من أعلام الصّحابة وأجلاّئهم، ومن أئمّة القرآن والتفسير وأكابرهم!! بل هو محكوم عليه بالكفر والخروج عن زمرة المسلمين، وقد جاء في كتاب فصول الأحكام لعماد الدين، حفيد برهان الدين صاحب الهداية:[2]

وبعض المشايخ على أنّه ـ أي مَن زعم أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن ـ يكفر. وحكى عن خاله الإمام جلال الدين أنّه قد ذكر في آخر تفسير أبي الليث حديثاً: مَن زعم أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن فأُولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ومثل هذا الوعيد إنّما ورد في حقّ الكفّار دون المؤمنين.

وتلخّص:

سقوط جميع التأويلات، وبقاء العقدة العويصة على حالها، ويبقى:

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة ٣ / ٩٩.

(٢) المعروف بكتاب: «فصول العمادي»، كما في كشف الظنون ٢ / ١٢٧٠; وهو في فروع الحنفية. وصاحب الهداية هو: برهان الدين المرغيناني، المتوفّى سنة ٥٩٣.

٤ ـ الردّ والتخطئة

وهذا ما عليه أئمّتنا عليهم السّلام وعلماؤنا الأعلام، وهو ما حكاه السيوطي عن ابن قتيبة; إذ قال:

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن: «ظنّ ابن مسعود أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن; لأنّه رأى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ يعوّذ بهما الحسن والحسين، فأقام على ظنّه، ولا نقول: إنّه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار.[١]

فهذا حال ابن مسعود عند القوم على أُصولهم.

ولعلّ هذا هو السبب في توقّف عبدالله بن عمر عن قبول خبر ابن مسعود عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما في صحيح مسلم:

عن أبي رافع، عن عبدالله بن مسعود: إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: ما من نبيّ بعثه الله في أُمّة قبلي، إلاّ كان له من أُمّته حواريّون وأصحاب يأخذون بسُنّته ويقتدون بأمره، ثمّ إنّها تخلّف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن ... وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل.

قال أبورافع: فحدّثت عبدالله بن عمر، فأنكره علَيّ، فقدم ابن مسعود فنزل بقناة، فاستتبعني إليه عبدالله بن عمر يعوده، فانطلقت معه، فلمّا جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث، فحدّثنيه كما حدّثت ابن عمر.[٢]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢١٤.

(٢) صحيح مسلم ١ / ٥١.

الصّادق: أخطأ ابن مسعود

والأئمّة من أهل البيت عليهم السّلام لا لم يدافعوا عن ابن مسعود، ولا أنهم لم يؤوّلوا إنكاره المعوذتين من القرآن، ولا أنهم حملوا ذلك على بعض الوجوه فقط، بل نصّوا على أنّه قد أخطأ، وهذا يدلّ على سقوط جميع تمحّلات القوم لحفظ ماء وجه ابن مسعود، لأنَّ حفظ القرآن من الزيادة والنقصان هو المهمّ عند أهل البيت عليهم الصّلاة والسّلام:

عن أبي عبدالله عليه السّلام:

أنّه سئل عن المعوّذتين، أهما من القرآن؟

فقال الصادق عليه السّلام: «هما من القرآن».

فقال الرجل: إنّهما ليستا من القرآن في قراءة ابن مسعود ولا في مصحفه.

فقال أبوعبدالله: «أخطأ ابن مسعود» ـ أو قال: «كذب ـ وهما من القرآن».

فقال الرجل: فأقرأ بهما في المكتوبة؟

فقال: نعم.

وعن أبي بكر الحضرمي، قال:

قلت لأبي جعفر: إن ابن مسعود كان يمحو المعوّذتين من المصحف.

فقال: كان أبي يقول: إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه. وهما من القرآن.[1]

---

(١) وسائل الشيعة ٦ / ١١٥ ـ ١١٦، رقم ٧٤٩٢ و ٧٤٩٣.

عبدالله بن عباس

وأمّا الحبر الجليل والمفسّر النبيل عبدالله بن العباس، فهو غنّي عن التعريف، إذ هو الذي لقبّوه بـ «ترجمان القرآن» وقالوا بأنه علم تأويل القرآن بدعاء النبي صلّى الله عليه وآله له، واحتجّوا بقوله وفهمه، كما قال ابن القيّم في الإستدلال على أنّ الخلع ليس بطلاق بقوله تعالى: (**الطَّلاقُ مَرَّتانِ**) الآية:

هكذا فهم ترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يعلّمه الله تأويل القرآن، وهي دعوة مستجابة بلا شك.[1]

قوله بوقوع الخطأ في القرآن

ولكن قد اشتهر عنه القول بوقوع الخطأ والغلط في القرآن، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا (التحقيق في نفي التحريف) وبيّنا اضطراب القوم وتهافت كلماتهم في توجيه قوله.

قال السيوطي ـ بعد ذكر بعض الآثار عن الصّحابة في وقوع اللّحن في القرآن:

ويقرب ممّا تقدّم عن عائشة:

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٥ / ١٧٩.

ما أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: (**حَتّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا**) قال: إنما هي خطأ من الكاتب. حتّى تستأذنوا وتسلّموا.

أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: هو فيما أحسب: مما أخطأ به الكتّاب.

وما أخرجه ابن الأنباري من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ أَفَلَمْ يتبيّن الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى النّاس جميعاً. فقيل له: إنّها في المصحف:

(**أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذينَ آمَنُوا**). قال: أظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس.

وما أخرجه سعيد بن منصور، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّه كان يقول في قوله (**وَقَضى رَبُّكَ**) إنما هي: ووصّى ربّك، التزقت الواو بالصّاد.

وأخرجه ابن أشتة بلفظ: استمدّ الكاتب مداداً كثيراً، فالتزقت الواو بالصّاد.

وأخرج هو من طريق الضحّاك عن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ: ووصّى ربّك ويقول: أمر ربّك، إنّهما واوان التصقت إحداهما بالصّاد.

وأخرج من طريق أُخرى عن الضحّاك أنّه قال: كيف تقرأ هذا الحرف؟ قال: (**وَقَضى رَبُّكَ**) قال: ليس كذلك نقرؤها نحن ولا ابن عبّاس، إنّما هي: ووصّى ربّك، كذلك كانت تقرأ وتكتب، فاستمدّ كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد، ثمّ قرأ: (**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ**)، ولو كانت قضاء من ربّك لم يستطع أحد ردّ قضاء الربّ، ولكنّه وصيّة أوصى بها العباد.

وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره، من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها هاهنا (**الَّذينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**) الآية.

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن خرّيت، عن عكرمة، عن ابن عبّاس: إنزعوا هذه الواو فاجعلوها في: (**الَّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ**).

وما أخرجه ابن أشتة وابن أبي حاتم من طريق عطا، عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: (**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاة**) قال: هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، إنّما هي مثل نور المؤمن من المشكاة.[1]

قوله بالمتعة وهي عند جمهورهم حرام

فهو ـ بمقتضى هفواتهم الشنيعة وخرافاتهم القبيحة ـ من المجوّزين للحرام، لأنّه كان يقول بحلّيّة المتعة وهي عندهم من السفاح والزنا، فاستحقّ بذلك أشدّ التشنيعات واتّصف بأقبح العيوب.

هذا، مضافاً إلى روايتهم في الصّحيح ـ وهي مكذوبة يقيناً ـ عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قد زجره عن هذا القول، وحكم عليه بأنّه رجل تائه.[2]

وعن عبدالله بن الزبير أنّه وصفه بالفاجر، كما روى القاري في (المرقاة):

عن عروة بن الزبير: إنّ عبدالله بن الزبير قام بمكّة فقال: إنّ أُناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة، ـ يعرّض برجل ـ فناداه فقال: إنّك لجلف جاف، فلعمري، لقد كانت

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ١٣٤، كتاب نكاح المتعة، المعجم الأوسط ٢ / ٣٦٤، السنن الكبرى للبيهقي ٧ / ٢٠١، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة.

المتعة تفعل في عهد إمام المتقين ـ يريد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال له ابن الزبير: فجرت بنفسك، فوالله لئن فعلتها لأرجمنّك بأحجارك. الحديث. رواه النسائي.

ولا تردّد في أنّ ابن عبّاس هو الرجل المعرَّض به وكان قد كفّ بصره، فلذا قال ابن الزبير: كما أعمى أبصارهم، وهذا إنّما كان في حال خلافة ابن الزبير، وذلك بعد وفاة علي، وقد ثبت أنّه كان مستمرّ القول على جوازها.[1]

قوله برؤية النبي ربّه

وأيضاً، فإنّ ابن عبّاس ـ بحسب روايات القوم المكذوبة عليه قطعاً ـ كان من المفترين على الله والرسول، إذ كان يقول بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قد رأى الله ـ سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً ـ كما جاء في (صحيح الترمذي):

عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: رأى محمّد صلّى الله عليه وسلّم ربّه. قلت: أليس الله يقول: (**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ**)؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى محمّد ربّه مرّتين. هذا حديث حسن غريب.[2]

بل إنّه كان يبالغ في هذا الإعتقاد ويصرّ عليه، حتّى أنّه لمّا سئل عنه مرّةً جعل يكرّر ذلك ويؤكّده، ففي (عيون الأثر):

في تفسير النقاش: عن ابن عبّاس أنّه سئل هل رأى محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ربّه؟ فقال: رآه رآه، حتّى انقطع صوته.[3]

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٠ / ٩٨، باب اعلان النكاح.

(٢) صحيح الترمذي ٥ / ٧٠، رقم ٣٣٣٣.

(٣) عيون الأثر في المغازي والسير ١ / ١٩٥.

إنكار عائشة ذلك

وقد أخرجوا أنّ عائشة قد بالغت في الإنكار على ابن عبّاس، فقد جاء في (صحيح الترمذي):

حدّثنا ابن أبي عمر، نا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: لقي ابن عبّاس كعباً بعرفة، فسألهُ عن شيء، فكبّر حتّى جاوبته الجبال، فقال ابن عبّاس: إنّا بنوهاشم، فقال كعب: إنّ الله قسّم رؤيته وكلامه بين محمّد وموسى، فكلّم موسى مرّتين، ورآه محمّد مرّتين.

قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمّد ربّه؟ فقال: لقد تكلّمت بشيء قفّ له شعري. قلت: رويداً، ثمّ قرأتُ (**لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى**) قالت: أين يذهب بك، إنّما هو جبرئيل. من أخبرك أنّ محمّداً رأى ربّه أو كتم شيئاً ممّا أُمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى (**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ...**) فقد أعظم الفرية، ولكنّه رأى جبرئيل، ولم يره في صورته إلاّ مرّتين: مرّةً عند سدرة المنتهى، ومرّةً في جياد، له ست مائة جناح، قد سدّ الأُفق.[1]

وقد أخرج البخاري ومسلم إنكار عائشة وتكذيبها رؤية النبي ربّه.[2]

وفي (عيون الأثر):

وقد تكلّم العلماء في رؤية النبي صلّى الله عليه وسلّم لربّه ليلة الإسراء، فروي عن مسروق عن عائشة أنّها أنكرت أنْ يكون رآه. قالت: ومن زعم أنّ محمداً رأى ربّه فقد أعظم الفرية على الله، واحتجّت بقوله سبحانه: (**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ**).[3]

---

(١) صحيح الترمذي ٥ / ٦٩، رقم ٣٣٣٢.

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٥٠، كتاب التفسير، سورة والنجم، صحيح مسلم ١ / ١١٠.

(٣) عيون الأثر في المغازي والسير ١ / ١٩٥.

وإذا كان ابن عبّاس قد أعظم الفرية على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد سقطت رواياته كلّها عن الإعتبار، سواء ما كان منها في الصحاح وفي غيرها من الكتب، لِما قرّروا في محلّه من أنّ من كذب في خبر وجب إسقاط جميع أخباره:

قال النووي في (التقريب):

قال السمعاني: من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدّم من حديثه.

وكذا قال شارحه السيوطي:

من كذب في حديث واحد رُدَّ جميع حديثه السابق.[1]

تأويل إنكار عائشة

ومن القوم من تجاسر على عائشة، فزعم أنّ تكذيبها رؤية النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان رأياً منها لا رواية عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومن العجائب ذهاب النووي إلى ذلك، كما في (المواهب اللّدنيّة) حيث قال:

قال النووي ـ تبعاً لغيره ـ لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع، ولو كان معها لذكرته، وإنّما اعتمدت الإستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصّحابة، والصّحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجّة اتفاقاً.[2]

لكنْ يبطله أنّ الحديث موجود في صحيح مسلم الذي شرحه النووي، وقد نبّه على ذلك الحافظ ابن حجر أيضاً، حيث قال في (فتح الباري):

---

(١) تدريب الراوي ١ / ٣٣٠ و٣٣٢.

(٢) المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة ٢ / ٤٩٣.

وجزمه بأنّ عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع، تبع فيه ابن خزيمة، فإنّه قال في كتاب التوحيد من صحيحه: النفي لا يوجب علماً، ولم تحك عائشة أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أخبرها أنّه لم ير ربّه، وإنّما تأوّلت الآية. إنتهى.

وهو عجب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ، فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكور قال مسروق: وكنت متّكياً فجلست فقلت: ألم يقل الله تعالى: (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى**)؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأُمّة سأل رسول الله عن ذلك، فقال: إنّما هو جبرئيل.

وأخرجه ابن مردويه من طريق أُخرى عن داود بهذا الإسناد: فقالت: أنا أوّل من سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن هذا، فقلت: يا رسول الله، هل رأيت ربّك؟ فقال: لا، إنّما رأيت جبريل منهبطاً.[1]

أقول:

وإذا كان هذا في صحيح مسلم، فكيف يقول القائلون منهم برؤيته صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّه؟ نعوذ بالله من استيلاء الجهالة والإنهماك في الضلالة!

إنكار الصّحابة

وأنكر غير عائشة من الصّحابة أيضاً رؤية النبي ربّه، قال في (تاريخ الخميس):

واختلف أيضاً في رؤية النبي صلّى الله عليه وسلّم ربّه، فأنكرت عائشة رضي الله عنها ... وقال جماعة بقول عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة في قوله (**ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى**)

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٤٦٧.

أنّه رأى جبرئيل له ستمائة جناح. ويؤيّد ذلك ما قال أبوذر: سألت رسول الله: هل رأيت ربّك؟ قال: هو نورٌ أنّى أراه. وفي العروة الوثقى: قال أبوذر: سألته عن رؤية ربّه ليلة المعراج، قال: لا، بل نوراً أرى.[1]

وفي (سبل الهدى والرشاد):

روى النسائي وابن خزيمة عن أبي ذر في الآية، ـ يعني الآية (**ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى**) ـ قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه.[2]

محاولة الجمع

وقد تكلّف بعض أكابر القوم الجمع بين إثبات ابن عبّاس ـ حسبما يروون ـ وإنكار عائشة، كقول القسطلاني تبعاً لابن حجر:

وعلى هذا، فيمكن الجمع بين إثبات ابن عبّاس، ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب.[3]

ولا يخفى بطلانه، لأنّ في حديث الترمذي عن عكرمة أنّه اعترض على ابن عبّاس قوله بالمنافاة لقوله تعالى: (**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ**)، فلو كان ابن عبّاس يريد الرؤية بالقلب لأجابه بذلك، لا بما جاء في الحديث، لأنّ رؤية القلب لا تختصّ بوقت دون وقت.

على أنّ هناك حديثاً صريحاً في إرادته الرؤية بالبصر، ولأجله استدرك القسطلاني الكلام قائلاً:

---

(١) تاريخ الخميس ١ / ٣١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٣ / ٦٣.

(٣) المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة ٢ / ٤٩٨.

لكنْ روى الطبراني في الأوسط بإسناد رجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي ـ وجهور بن منصور قد ذكره ابن حبّان في الثقات ـ عن ابن عبّاس أنّه كان يقول: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم رأى ربّه مرّتين، مرّة ببصره ومرّة بفؤاده.[1]

وذكر أيضاً:

جنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد إلى ترجيح الإثبات، وأطنب في الإستدلال بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عبّاس على أنّ الرؤية وقعت مرّتين مرّةً بقلبه ومرّةً بعينه.[2]

وكذلك محمّد بن يوسف الشامي، فإنّه ذكر الجمع المزبور في الثالث من التنبيهات، ثمّ عدل عنه في الخامس منها حيث قال:

قال ابن كثير: من روى عن ابن عبّاس أنّه رآه ببصره، فقد أغرب، فإنّه لا يصحّ في ذلك شيء عن الصّحابة، وقول البغوي: وذهب جماعة إلى أنّه رآه بعينه ـ وهو قول أنس والحسن وعكرمة ـ فيه نظر.

قلت: سبق البغوي إلى ذلك الإمام أبوالحسن الواحدي. وقول ابن كثير: إنّه لا يصحّ في ذلك شيء عن الصّحابة، ليس بجيّد، فقد روى الطبراني بسند صحيح عن ابن عبّاس أنّه كان يقول: نظر محمّد إلى ربّه مرّتين، مرّةً ببصره ومرّةً بفؤاده.[1]

وتلخص: إنّ الجمع المذكور ساقط، والأحاديث على خلافه.

---

(١) المصدر.

(٢) المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة ٢ / ٤٩٩.

وممّا يشهد بسقوطه: كلام الزهري، فإنّه ردّ على عائشة إنكارها على ابن عبّاس، كما في (عيون الأثر) قال:

وفي تفسير عبدالرزاق: عن معمر، عن الزهري، وذكر إنكار عائشة أنّه رآه فقال الزهري: ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عبّاس. وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنّه كان إذا ذكر إنكار عائشة يشتدّ ذلك عليه.[٢]

فلو كان للجمع المذكور أو غيره وجه لما اتّخذ الزهري هذا الموقف.

هذا، على أنّه لا فرق بين رؤية القلب ورؤية البصر، إذ ليس المراد من «رؤية القلب» هو «العلم بالله»، لأنّ هذا يحصل في كلّ وقت، وليس له وقت مخصوص، بل المراد هو حصول خلق له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين، وهذا ما نصّ عليه الشهاب القسطلاني حيث قال:

ثمّ إنّ المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرّد حصول العلم، لأنّه كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنّه رآه بقلبه أنّ الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة بخلقها في العين.[١]

ومحمّد بن يوسف الشامي قال:

قال الحافظ: المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرّد حصول العلم، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم كان عالماً بالله تعالى على الدوام، بل مراد من أثبت له أنّه رآه بقلبه: إنّ الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٣ / ٦٣.

(٢) عيون الأثر في المغازي والسير ١ / ١٩٥.

وزاد صاحب السراج: بخلاف غيره من الأولياء، فإنّهم إذا أطلقوا الرؤية والمشاهدة لأنفسهم، فإنّهم إنّما يريدون المعرفة، فاعلمه فإنّه من الأُمور المهمّة التي يغلط فيها كثير من الناس. إنتهى.

والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة بخلقها في العين. قال الواحدي: وعلى القول بأنّه رأى بقلبه جعل الله تعالى بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصراً حتّى رأى ربّه رؤية صحيحةً كما يرى بالعين.[٢]

والحاصل: إنّه لا يبقى ـ على هذا ـ فرق بين رؤية القلب ورؤية البصر، وبأيّ وجه تكون دعوى الرؤية بالبصر فرية عظيمةً، كذلك دعوى الرؤية بالقلب.

إنكار عائشة على ابن عبّاس في مسائل أُخرى

هذا، وقد أنكرت عائشة على ابن عبّاس في مسائل أُخرى أيضاً، ففي (الصحيحين):

عن عمرة بنت عبدالرحمن: إنّ زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة إنّ عبدالله بن عبّاس قال: من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج، حتّى ينحر هديه، وقد بعثت بهدي فاكتبي إليّ بأمرك. قالت عمرة: قالت عائشة: ليس كما قال ابن عبّاس ... .[٣]

قوله بالرأي

قال الدارمي:

أرسل ابن عباس إلى زيد بن ثابت: أتجد في كتاب الله للأم ثلث ما بقي؟

فقال زيد: إنما أنت رجل تقول برأيك، وأنا رجل أقول برأيي![١]

---

(١) المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة ٢ / ٣٩٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٣ / ٦٣.

(٣) صحيح مسلم ٤ / ٩٠، كتاب الحج، باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، صحيح البخاري ٢ / ١٨٣.

وصحّحه الألباني في إرواء الغليل قال:

وسنده صحيح ورجاله رجال الصحيح.[٢]

وفي السنن الكبرى للبيهقي عن عكرمة قال:

أرسلني ابن عباس إلى زيد بن ثابت أسأله عن زوج وأبوين؟

فقال زيد: للزوج النصف وللأم ثلث ما بقي، وللأب بقية المال... قال: فأتيت ابن عباس فأخبرته، قال فقال: إرجع إليه فقل له: أبكتاب الله قلت أم برأيك؟ قال: فأتيته فقال: برأيي. فرجعت إلى ابن عباس فأخبرته فقال ابن عباس: وأنا أقول برأيي للأم الثلث كاملا.[٣]

وقد تواتر عن ابن عباس أنه كزيد بن ثابت، يفتي بالظن والإستحسان!

وقد بقي ابن عباس الى آخر عمره على هذا المذهب! بل روي عنه أنه كان يستفتي أهل الظنون أيضاً، ويعمل بفتواهم!

فقد روى الحاكم لما كُفَّ بصر ابن عباس أتاه رجل فقال له:

إنك إن صبرت لي سبعاً لم تُصَلِّ إلاّ مُسْتَلقياً تومئ إيماءً، داويتك فبرأت إن شاء الله تعالى. فأرسل إلى عائشة وأبي هريرة وغيرهما من أصحاب محمد، وكلّ يقول أرأيت إن متَّ في هذه السّبع كيف تصنع بالصّلاة؟ فترك عينه ولم يداووها.[٤]

---

(١) سنن الدارمي ٢ / ٣٤٦.

(٢) ارواء الغليل ٦ / ١٢٣.

(٣) السنن الكبرى ٦ / ٢٢٨.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٤٥ ـ ٥٤٦.

والعجيب من ابن عباس أنه لم يرجع إلى الإمام زين العابدين عليه السّلام!

وأنه جهل هو ومن أفتى له بحرمة المعالجة، قاعدة نفي الحرج مطلقاً في قوله تعالى (**وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَج**) وقاعدة نفي الحرج عن المريض خاصّة بقوله تعالى (**وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**) وهي صريحة في عذره.

أين كان ابن عباس عن علم علي والعترة؟

روى ابن عباس تأكيدات النبي صلّى الله عليه وآله على أمّته فريضة اتباع علي والأئمّة من عترته عليهم السّلام، ومنها حديث الغدير حيث خطب النبي صلّى الله عليه وآله ورفع بيد علي عليه السّلام، وقال قوله المشهور: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

وكان ابن عباس يقول:

والله لقد أعطيَ علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركم في العشر العاشر.[1]

فكيف يفتي بالظن ويعمل به ولا يرجع إلى العترة النبوية الطاهرة عليهم السّلام، وكيف نفسّر عدم رجوعه إليهم، رغم اعترافه بإمامتهم وبأنهم باب مدينة علم النبي صلّى الله عليه وآله؟!

هذا، وروى الكشي عن جعفر بن معروف قال:

حدّثنا يعقوب بن يزيد الأنباري، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: أتى رجل أبي عليه السّلام فقال: إن فلاناً ـ يعنى

---

(١) الإستيعاب ٣ / ١١٠٤.

عبدالله بن العباس ـ يزعم أنه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن

في أيّ يوم نزلت وفيم نزلت.

قال: فسله فيمن نزلت: (**وَمَنْ كانَ في هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبيلاً**). وفيمَ نزلت: (**وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ**). وفيمَ نزلت: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا**). فأتاه الرجل فغضب وقال: وددتُ الذي أمرك بهذا واجهني به فأسائله، ولكن سله: ما العرش، ومتى خلق، وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي فقال له ماقال، فقال عليه السّلام: وهل أجابك في الآيات؟ قال: لا. قال: ولكني أجيبك فيها بنور وعلم، غيرالمدعي والمنتحل:

أمّا الأوليان، فنزلتا في أبيه، وأمّا الأخيرة، فنزلت في أبي وفينا، ولم يكن الرباط الذي أُمرنا به بعدُ وسيكون ذلك. من نسلنا المرابط، ومن نسله المرابط.

فأمّا ما سألت عنه: فما العرش، فإن الله عزّ وجلّ جعله أرباعاً، لم يخلق قبله شيئاً إلاّ ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور، ثمّ خلقه من ألوان (أنوار) مختلفة، من ذلك النور الأخضر، الذي منه اخضرَّت الخضرة، ومن نور أصفر خلقت منه الصّفرة، ونور أحمر احمرّت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار. ثمّ جعله سبعين ألف طبق، غلظ كلّ طبق كأول العرش إلى أسفل السّافلين، وليس من ذلك طبق إلاّ يسبّح بحمده ويقدّسه بأصوات مختلفة، وألسنة غيرمشتبهة، لو سمع واحداً منها شيء مما تحته لانهدمت الجبال والمدائن والحصون، ولخسفت البحار، وأهلك ما دونه، له ثمانية أركان يحمل كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عدّتهم إلاّ الله، يسبّحون اللّيل والنهار

ولا يفترون، ولو حسَّ شيء مما فوقه ما أقام لذلك طرفة عين، بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثمّ العلم، وليس وراء هذا مقال!

لقد طمع الخائن في غير مطمع! أما إن في صلبه وديعةً قد ذرئت لنار جهنم، سيُخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه، وستصبغ الأرض بدماء الفراخ من فراخ آل محمد، تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير مُدرك، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون لما يرون، حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين.[١]

أقول:

أورد السيد الخوئي[٢] الروايات التي تذم عبدالله بن عباس وضعَّفها، كما ضعَّف الروايات المادحة، لكنه اعتبر أن استفاضتها تُغني عن سندها! وختم بقوله: والمتحصل مما ذكرنا أن عبدالله بن عباس كان جليل القدر، مدافعاً عن أميرالمؤمنين والحسنين عليهم السّلام. وروي أن ابن عباس رحمه الله قال عند وفاته:

اللهمّ إني أحيا على ما حَيِيَ عليه علي بن أبي طالب، وأموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب.

وقد تعرّض السيد الخوئي رحمه الله لروايات الكشي في ذم ابن عباس، وأوّلها الرواية المتقدّمة عن الإمام زين العابدين عليه السّلام، ولكنه ضعَّفها بحجة أن أحد رواتها لم يرد له توثيق من القدماء، وهو جعفر بن معروف من أهل كش، وهو غير جعفر بن معروف السّمرقندي، قال بترجمته: قال الشيخ

---

(١) رجال الكشي: ٢٧٥، رقم ١٠٣.

(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ٢٤٥.

في رجاله في من لم يرو عنهم عليهم السّلام: جعفر بن معروف، يكنى أبامحمد، من أهل كش، وكيل، وكان مكاتِباً ... وقال العلاّمة في القسم الأوّل من الباب الأوّل: جعفر بن معروف، يكنى أبامحمد، من أهل كش. كان مكاتباً ولم يرو عن الأئمّة عليهم السّلام.

قال: أن من ترجمه الشيخ، ويروي عنه الكشي كثيراً، لم تثبت وثاقته، فإن الوكالة لا تلازم الوثاقة، على ما تقدم في المدخل، واعتماد الكشي عليه لا يثبت الوثاقة أيضاً.[١]

هذا، ولم يطّلع السيد الخوئي قدّس سرّه على أن للرواية أسانيد أخرى لا مطعن فيها، وليس فيها ابن معروف، فقد رواها الشيخ المفيد:

وعنه (جعفر بن الحسين) عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: أتى رجل أبي عليه السّلام فقال: إن رجلا يعني عبدالله بن عباس، يزعم أنه يعلم كان آية نزلت في القرآن في أيّ يوم نزلت وفيما نزلت ... .[٢]

ورجال سنده ثقات ووثقهم السيد الخوئي أيضاً.

وروى الشيخ الصدوق بعضها بسند موثق لا مطعن فيه، قال:

---

(١) معجم رجال الحديث ٥ / ١٠٢.

(٢) الإختصاص: ٧١.

حدثنا محمد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عليهم السّلام ... .[1]

قال السيد الخوئي في إبراهيم بن عمر اليماني:

أقول: الرجل يعتمد على روايته لتوثيق النجاشي له، ولوقوعه في إسناد تفسير القمي، ولا يعارضه التضعيف عن ابن الغضائري، عن سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم ابن عمر اليماني. والطريق صحيح.[2]

كما رواها الشيخ القمي في تفسيره بسند صحيح لا غبار عليه، قال:

حدثني أبي، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليه السّلام فقال: إن ابن عباس يزعم أنه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن ... .[3]

ورواها العياشي.[4]

وقد صحّح السيد الخوئي أسانيد تفسير القمي في معجمه.[5]

وروى النعماني القسم الأخير منها بسند صحيح أيضاً، قال:

---

(١) كتاب التوحيد: ٣٢٥.

(٢) معجم رجال الحديث ١ / ٢٤١.

(٣) تفسير القمي ٢ / ٢٣.

(٤) تفسير العياشي ٢ / ٣٠٥.

(٥) معجم رجال الحديث ١ / ٢٤١.

علي بن أحمد قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى العلوي، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر محمد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السّلام.[1]

قال: في روايات مدح ابن عباس:

هذا، والأخبار المرويّة في كتب السير والروايات الدالّة على مدح ابن عباس، وملازمته لعلي ومن بعده الحسن والحسين عليهم السّلام، كثيرة، وقد ذكر المحدّث المجلسي قدّس سرّه مقداراً كثيراً منها في أبواب مختلفة من كتابه البحار، من أراد الإطلاع عليها فليراجع سفينة البحار في مادة عبس. ونحن وإن لم نظفر برواية صحيحة مادحة، وجميع ما رأيناه من الروايات في إسنادها ضعف، إلاّ أن استفاضتها أغنتنا عن النظر في إسنادها، فمن المطمأن به صدور بعض هذه الروايات عن المعصومين إجمالا.[2]

أقول:

ونحن أيضاً نحترم عبدالله بن عبّاس، ونكتفي بهذا القدر من الكلام حوله، وسيأتي المزيد من البحث عن هذا الموضوع المهم في (القسم الثاني) من كتابنا إن شاء الله.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٠٥.

(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ٢٥٠.

أُبيّ بن كعب

وأمّا أُبيّ بن كعب، وهو من مشاهير علماء القرآن في طبقة الصّحابة، يذكر في عداد ابن مسعود وابن عبّاس، بل زعموا أنّه أقرأ الأصحاب للقرآن الكريم. واختلفوا في وقت وفاته. قال ابن عبدالبر: مات سنة ١٩.

فقد زاد في لفظ القرآن الكريم، وأدخل فيه ما ليس منه، كما تقدّم سابقاً. كما أنّه نقص منه، إذ وافق ابن مسعود في إنكار المعوّذتين، كما جاء في كتاب (فصول الأحكام) حيث قال:

إنكاره المعوّذتين

ومن زعم أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن، فقد ذكر في فتاوى أبي الليث أنّه لا يكفر، فإنّه روي عن ابن مسعود وأُبي بن كعب رضي الله عنهما أنّهما ليستا من القرآن.

فأُبيّ على هذا القول أيضاً، وأبوالليث وإنْ كان قد أفتى بعدم الكفر، فقد سبق أنّ جماعة من الأكابر يكفّرون المنكر، بل تقدّم عن الحافظ النووي أنّه إجماع المسلمين ... .

بل إنّ القوم يرون بأنّ أدنى المخالفة لمصحف عثمان تستوجب الهتك والتفسيق، والتضليل والتعزير، كما وقع بحقّ ابن شنبوذ:

قال ياقوت الحموي في (معجم الأُدباء) بترجمة محمّد بن أحمد بن أيّوب بن الصّلت بن شنبوذ:

حدّث إسماعيل بن علي الخطيبي في كتاب التاريخ قال: واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ، يقرئ النّاس، ويقرأُ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، ممّا يروى عن عبدالله بن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهما، ممّا كان يقرأ به قبل المصحف الذي جمعه عثمان، ويتتبّع الشواذ فيقرأ بها ويجادل، حتّى عظم أمره وفحش وأنكره النّاس، فوجّه السلطان وقبض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وحمل إلى دار الوزير محمّد بن مقلة، وأُحضر القضاة والفقهاء والقرّاء، وناظره الوزير بحضرته، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه، أو يرجع عمّا يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف العثماني، فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطرّه إلى الرجوع، فأمر بتجريده وإقامته بين الخبّازين، وأمر بضربه بالدرّة على قفاه، فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً، فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة، فخلّى عنه.

قرأت في كتاب ألّفه القاضي أبويوسف عبدالسَّلام القزويني، سمّاه: أفواج القرّاء، قال: كان ابن شنبوذ أحد القرّاء المتنسّكين، وكان يرجع إلى ورع، ولكنّه كان يميل إلى الشواذّ ويقرأ بها، وربّما أعلن ببعضها في بعض صلواته التي يجهر

فيها بالقراءة، وسمع ذلك منه، وأنكر عليه فلم ينته للإنكار.

فقام أبوبكر ابن مجاهد فيه حقّ القيام وأشهر أمره، ورفع حديثه إلى الوزير في ذلك الوقت، وهو أبوعلي ابن مقلة، فأخذ وضرب أسواطاً زادت على العشرة ولم تبلغ العشرين، وحبس واستتيب فتاب وقال: إنّي قد رجعت عمّا كنت أقرأ به، ولا أُخالف مصحف عثمان، ولا أقرأ إلاّ بما فيه من القراءة المشهورة.

وكتب عليه بذلك الوزير أبوعلي محضراً بما سمع من لفظه، وأمره أن يكتب في آخره بخطّه، وكان المحضر بخطّ أبي الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون، وكان أبوبكر ابن مجاهد تجرّد في كشفه ومناظرته فانتهى أمره إلى أن خاف على نفسه من القتل.

وقام أبوأيّوب السمسار في إصلاح أمره، وسأل الوزير أباعلي أن يطلقه وأن ينفذه إلى داره مع أعوانه بالليل خيفة عليه لئلاّ يقتله العامّة، ففعل ذلك، ووجّه إلى المدائن سرّاً مدّة شهرين، ثمّ دخل بيته ببغداد مستخفياً من العامّة».[1]

من كفر بآية من القرآن كفر بكلّه

هذا، ومقتضى نصوص عبارات القوم وفتاواهم، كفر من كفر بآية أو بحرف من القرآن الكريم:

قال القاضي عياض في (الشفا):

قال أبوعثمان ابن الحدّاد: جميع من ينتحل التوحيد متّفقون على أنّ الجحد لحرف من التنزيل كفر.

وكان أبوالعالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما

---

(١) معجم الأُدباء ٥ / ١١٥ ـ ١١٦.

قرأت، ويقول: أمّا أنا فأقرأ كذا، فبلغ ذلك إبراهيم، فقال: أراه سمع أنّه من كفر بحرف منه فقد كفر به كلية.[1]

قال:

وقال محمّد بن سحنون فيمن قال المعوّذتان ليستا من كتاب الله: يضرب عنقه إلاّ أن يتوب.[2]

وقال الشهاب الخفاجي في (نسيم الرياض):

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ـ فيما رواه عبدالرزاق عنه ـ من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كلّه، لأنّه تكذيب لقائلها عزّ وجلّ. وقال أصبغ ابن الفرج ـ بالجيم ـ المصري ـ من كذّب ـ بالتشديد ـ ببعض القرآن فقد كذّب به كلّه، ومن كذّبه كلّه فقد كفر به، ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه.[3]

أُبي بن كعب عند أصحابنا

أقول:

هذا كلّه على أُصول القوم كما في كتبهم، وبذلك يسقط أُبي وتسقط أقواله عن الإعتبار.

وأمّا عقيدة أُبي في الإمامة، فقد ذكره علماؤنا في الصّحابة الذين أنكروا على أبي بكر تقدّمه، وذكروا تكلّمه في عثمان، بل رووا أنه تكلّم في أصحاب

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٢) المصدر ٢ / ٣٠٥.

(٣) نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض ٤ / ٥٥٩.

السقيفة معبّراً عنهم بأصحاب العقدة وقال: والله لئن أبقاني الله إلى يوم الجمعة لأقومنَّ مقاماً أتكلّم فيه بما أعلم قتلت أو استحييت. فمات يوم الخميس.

بل رووا في فضله أنه قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: إن الله أمرني أنْ أقرأ عليك. قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، وقد ذكرت هناك؟ قال: نعم، باسمك ونسبك. فأرعد، فالتزمه رسول الله حتّى سكن، وقال (**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ**).[1]

وأمّا القول بأنه «كان قد لقّب بـ (سيد المسلمين) لشرفه وفضله وعلوّ منزلته في العلم والفضيلة»،[2] ففي غير محلّه. لأنّ الذي لقّبه بذلك هو عمر بن الخطّاب كما في أُسد الغابة.[3] بل هذا اللّقب خاصٌّ بأميرالمؤمنين علي عليه السّلام، لقبّه بذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله كما في الحديث الصحيح.[4]

وكذا القول: كما لقّب بـ(سيّد القرّاء) لقوله صلّى الله عليهوآله: «وأقرؤهم أُبي بن كعب».

لأنّ هذا الذي نسب إلى النبي جزءٌ من حديث موضوع تكلّمنا عليه بالتفصيل في محلّه من مؤلّفاتنا.[5]

هذا، وسيأتي مزيد من الكلام حول أُبي بن كعب في (القسم الثاني) من كتابنا إن شاء الله.

---

(١) أُنظر: قاموس الرجال ١ / ٣٥٢ ـ ٣٥٦.

(٢) التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١ / ١٩٧.

(٣) أُسد الغابة ١ / ٤٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٣٨، أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ١ / ٦٩.

(٥) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١١ / ٢٥٧ ـ ٢٧٧.

زيد بن ثابت

وأمّا زيد بن ثابت... الأنصاري، أُمّه النوار بنت مالك، كان عمره لمّا قدم النبيّ المدينة ١١ سنة، زعموا أنّه كان أعلم الصّحابة بالفرائض. وهو الذي جمع القرآن بأمر أبي بكر وعمر وعثمان كما في صحاح أهل السنة. مات سنة ٤٥ كما في أُسد الغابة.

زاد في القرآن ونقص منه

فقد زاد في القرآن الكريم ونقص منه.

وهذا ما ذكره عمر بن الخطّاب مخاطباً به زيد بن ثابت، وأخرجه كبار علماء القوم في كتب الحديث:

عن زيد بن ثابت: إنّ عمر بن الخطّاب استأذن عليه يوماً، فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجّله، فنزع رأسه، فقال له عمر: دعها ترجّلك؟ قال: يا أميرالمؤمنين، لو أرسلت إليّ جئتك. فقال عمر: ليس هو بوحي حتّى نزيد فيه أو ننقص، إنّما هو شيء نراه، فإنْ رأيته ووافقتني تبعته، وإلاّ لم يكن عليك فيه شيء. فأبى زيد، فخرج عمر مغضباً.[١]

---

(١) كنز العمّال ١١ / ٦٣، رقم ٣٠٦٣١.

فصريح هذا الكلام أنّ زيد بن ثابت زاد في القرآن ونقص منه، وقد ذكر القاضي عياض في (الشفاء) ما نصّه:

قد أجمع المسلمون على أنّ القرآن المتلوّ في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، ممّا جمعه الدفّتان، من أوّل الحمد لله ربّ العالمين، إلى آخر: قل أعوذ بربّ النّاس: إنّه كلام الله ووحيه المنزل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وإنّ جميع ما فيه حق، وأنّ من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً ممّا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنّه ليس من القرآن، عامداً لكلّ هذا، إنّه كافر.[1]

ردُّه عمر بن الخطّاب في آية مع قبوله خزيمة في أُخرى

وكما أفادت الأخبار أن عمر كان لا يعتمد على زيد ويتكلّم فيه، كذلك أفادت أن زيداً لم يعتمد على عمر، فلم يكتب الآية التي جاء بها عمر حينما كان يجمع القرآن، مع أنّه قبل من خزيمة بن ثابت في آية أُخرى وكتبها! هذا، وعمر أفضل ـ عندهم ـ من خزيمة مائة مرّة، ومع أنّهم يقولون بأنّ خبر مثل عمر بن الخطّاب بوحده مفيدٌ لليقين، كما ذكر عبدالعزيز الدهلوي، وقد ذكر القصّة الحافظ جلال الدين السيوطي حيث قال:

قد أخرج ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبوبكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آيةً إلاّ بشاهدي عدل، وإنّ آخِر سورة براءة

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٣٠٥.

لم يوجد إلاّ مع خزيمة بن ثابت فقال: أُكتبوها، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب. وإنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنّه كان وحده».[1]

فكيف قبل شهادة خزيمة ولم يقبل شهادة عمر؟

وإذا كان خبر عمر مفيداً لليقين، فالقرآن ناقص.

وَصَفه عمر بالجور في الحكم

وعن عمر بن الخطاب أنه وصف زيد بن ثابت بالجور في الحكم في خصومة كانت بينه وبين أُبي بن كعب فتحاكما إليه:

عن الشعبي قال: كان بين عمر وبين أُبي بن كعب خصومة، فقال عمر: إجعل بيني وبينك رجلاً، فجعلا بينهما زيد بن ثابت، فأتياه، فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم.

فلمّا دخلا عليه وسّع له زيد عن صدر فراشه، فقال: هاهنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: هذا أوّل جور جُرتَ في حكمك، ولكنْ أجلس مع خصمي، فجلسا بين يديه، فادّعى أُبي وأنكر عمر، فقال زيد لأُبي: أُعف أميرالمؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألها لأحد غيره، فحلف عمر، ثمّ أقسم لا يدرك زيد القضاء حتّى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء. هق كر.[1]

أي رواه سعيد بن منصور في سننه، والبيهقي في سننه، وابن عساكر في تاريخه.

عن الشعبي قال: تنازع في جداد نخل أُبي بن كعب وعمر بن الخطّاب، فبكى أُبي ثمّ قال: أفي سلطانك يا عمر؟! فقال عمر: إجعل بيني وبينك رجلاً من المسلمين، قال أُبي: زيد، قال: رضيت.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٣.

فانطلقا حتّى دخلا على زيد، فلمّا رأى زيد عمر تنحّى عن فراشه، فقال عمر: في بيته يؤتى الحكم. فعرف زيد أنّهما جاءا ليتحاكما إليه، فقال لأُبي: تقصُّ، فقصّ، فقال له عمر: تذكّر لعلّك نسيت شيئاً، فتذكّر ثمّ قصّ، حتّى قال: ما أذكر شيئاً. فقصّ عمر، قال زيد: بيّنتك يا أُبي، فقال: مالي بيّنة، قال: فاعف [عن] أميرالمؤمنين من اليمين، فقال عمر: لا تعف أميرالمؤمنين عن اليمين إنْ رأيتها عليه. كر.[٢]

أقول:

لم يشأ الرواة أن ينقلوا الواقعة على ما وقعت عليه كاملةً، وحاولوا التكتّم على بعض جزئيّاتها المهمّة ... حفظاً لماء الوجه! لكنّ الباحث المحقّق قد يعثر على طرف من ذلك في سائر الكتب:

قال الراغب في (المحاضرات):

وكان زيد بن ثابت يقضي لعمر بالمدينة، وتقدَّم إليه عمر مع أُبي في جداد تنازعاه، فخرج إليهما فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين، هاهنا هاهنا. ثمّ توجّهت اليمين على عمر، فقال زيد لأُبي: أُعف أمير المؤمنين من اليمين.

فقال له عمر: ما زلت جائراً منذ اليوم! السّلام عليك يا أمير المؤمنين، وهاهنا هاهنا، واعف أمير المؤمنين!!.[١]

ففي هذه الرواية:

فقال عمر: ما زلت جائراً منذ اليوم، وهذه الجملة ممّا تكتَّم عليه القوم ... .

---

(١) كنز العمّال ٥ / ٨٠٨، رقم ١٤٤٤٥.

(٢) المصدر ٥ / ٨٣٩، رقم ١٤٥٢٥.

وصفه المازني الصحابي بالضلال والإضلال

وجاء في الأخبار: أن أباالحسن المازني الأنصاري ـ وهو من الصّحابة ـ قد وصف زيد بن ثابت بالضلال والإضلال، فقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر بترجمته قائلا:

له صحبة، يقال: إنّه ممّن شهد العقبة وبدراً. وأبوحسن المازني هو القائل لزيد ابن ثابت حين قال يوم الدار: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله ـ مرّتين ـ فقال له أبوحسن: لا والله، لا نطيعك فنكون كما قال الله تعالى: (**أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبيلا**) ويقال: بل قال له ذلك: النعمان الزرقي.[٢]

فكان زيد ودعوته لنصرة عثمان ـ عند هذا الصّحابي ـ مصداقاً للآية المباركة: (**إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكافِرينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيرًا * خالِدينَ فيها أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ * وَقالُوا رَبَّنا إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبيلاَ * رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبيرًا**).[٣]

هذا، ولا يخفى أن كون القائل هو النعمان الزرقي لا يضرّ باستدلالنا، لأنّه أيضاً من معارف الصّحابة، وقد ترجم له في (الإستيعاب) وقال بأنّه:

«كان لسان الأنصار وشاعرهم» ووصفه بأنّه «كان سيّداً.[٤]

أقول:

---

(١) محاضرات الأُدباء ١ / ٨٨ «وجِدادُ النَّخْل: صِرامُه، وقد جَدَّه يَجُدُّه»، كتاب العين ٦ / ١٠، «جد».

(٢) الإستيعاب ٤ / ١٦٣٢، رقم ٢٩١٥.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦٤ ـ ٦٨.

(٤) الإستيعاب ٤ / ١٥٠١، رقم ٢٦١٩.

وكما وصفه عمر بالجور في الحكم، فقد وصفه الإمام أبوجعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام بأنه كان يحكم بحكم الجاهلية، فقد روي عنه في الصحيح أنه قال:

الحكم حكمان، حكم الله وحكم الجاهليّة، وقد قال الله عزّ وجلّ: (**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**). واشهدوا على زيد بن ثابت، لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهليّة.[1]

أحاديث في ذمّ القاضي الجائر

فكان زيد قاضياً بالمدينة، وكان جائراً في أحكامه، ويحكم بحكم الجاهلية، والأحاديث في ذمّ القاضي الجائر مستفيضة عند المسلمين:

روى الحافظ المنذري عن أبي سعيد الخدري:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أحبّ النّاس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر. رواه الترمذي والطبراني في الأوسط مختصراً إلاّ أنّه قال: أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة إمام جائر. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

وعن عمر بن الخطّاب أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أفضل النّاس عند الله منزلة يوم القيامة إمام عادل رفيق، وشرّ عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة إمام جائر خرق. رواه الطبراني في الأوسط، من رواية ابن لهيعة، وحديثه حسن في المتابعات.

---

(١) الكافي ٧ / ٤٠٧، كتاب القضاء والأحكام، باب أصناف القضاة.

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ أشدّ أهل النّار عذاباً يوم القيامة، من قتل نبيّاً أو قتله نبي، وإمام جائر. رواه الطبراني، ورواته ثقات، إلاّ ليث بن أبي سليم، وفي الصحيح بعضه، ورواه البزّار بإسناد جيّد إلاّ أنّه قال: وإمام ضلالة.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أربعة يبغضهم الله: البيّاع الحلاّف، والفتى المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر. رواه النسائي وابن حبان في صحيحه، وهو في مسلم بنحوه إلاّ أنّه قال: وملك كذّاب وعائل مستكبر.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلاّ الله، فذكر منهم: الإمام الجائر. رواه الطبراني في الأوسط.

وعن ابن عمر عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: السلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كلُّ مظلوم من عباده; فإن عدل كان له الأجر، وكان على الرعيّة الشكر، وإن جار أو حَافَ أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعيّة الصبر، وإذا جارت الولاة قحطت السّماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظَهَرَ الزنا ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أخفرت الذمّة أُديل الكفّار أو كلمة نحوها.

عن أبي هريرة، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: من طلب قضاء المسلمين حتّى يناله ثمّ غلب عدله جوره، فله النار [وإن غلب جوره عدله فله النّار]. رواه أبوداود.

وعن ابن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: القضاة ثلاثة; قاضيان في النّار وقاض في الجنّة: رجل قضى بغير الحق يعلم بذلك فذلك في النّار، وقاض لا يعلم

فأهلك حقوق الناس فهو في النّار، وقاض قضى بالحقّ فذلك في الجنّة. رواه أبوداود ـ وتقدّم لفظه ـ وابن ماجة والترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب.

وعن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تخلّى عنه ولزمه الشيطان. رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبّان في صحيحه، والحاكم إلاّ أنّه قال: فإذا جار تبرّأ الله منه. رووه كلّهم من حديث عمران القطّان [وقال الترمذي حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث عمران

القطّان] وقال الحاكم: صحيح الإسناد. قال الحافظ: وعمران يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى».[1]

تكلّم ابن مسعود في زيد بن ثابت

ومن الأُمور المشهورة الثابتة ما ذكرناه في كتابنا (التحقيق في نفي التحريف) من تكلّم ابن مسعود في زيد بن ثابت، وقد روي ذلك في كافّة كتب الحديث والرجال، فقد روى الحافظ ابن عبدالبرّ القرطبي عن الأعمش، عن شقيق، قال:

لمّا أمر عثمان في المصاحف بما أمر قام عبدالله بن مسعود خطيباً فقال: أيأمروني أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت؟! والذي نفسي بيده، لقد أخذت من فيّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ سبعين سورة وأنّ زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان، والله ما نزل من القرآن شيء إلاّ وأنا أعلم في أيّ شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله منّي، ولو أعلم أحداً تبلّغنيه الإبل أعلم بكتاب الله منّي لأتيته. ثمّ استحيى ممّا قال فقال: وما أنا بخيركم.

---

(١) الترغيب والترهيب ٣ / ١٦٧.

قال شقيق: فقعدت في الحلق فيها أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه ولا ردّ ما قال.[1]

إضطراب القوم في ما رووه عن ابن مسعود في زيد

فهذا الحديث يكشف عن مدى تألّم ابن مسعود وتضجّره وشدّة اعتراضه وانتقاده لتقديم زيد بن ثابت عليه ... ومثله أحاديث وآثار أُخرى.

وهذا الموضع أيضاً من مواضع المشكلة ... ولذا اضطرب القوم فيه إضطراباً شديداً.

أمّا البخاري، فقد أخرج الحديث محرّفاً وتصرّف فيه تستّراً على عثمان وزيد، فرواه عن الأعمش، عن شقيق، قال:

خطبنا عبدالله فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنّي من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم.

قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادّاً يقول غير ذلك.[2]

وأمّا ابن أبي داود، فقد ترجم باب رضى ابن مسعود بعد ذلك بما صنع عثمان، لكن لم يورد ما يصرّح بمطابقة ما ترجم به.[3]

وقال بعضهم: ما رووا عن ابن مسعود من الطعن في زيد بن ثابت كلّه موضوع.[1]

كلمة في زيد بن ثابت

---

(١) الإستيعاب ٣ / ٩٩٣.

(٢) صحيح البخاري ٦ / ١٠٢، كتاب فضائل القرآن، باب القرّاء.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ٤٤.

أقول:

وما رواه الأعمش عن شقيق، أخرجه مسلم والنسائي وأبوعوانة وابن أبي داود ... وسواء كان صحيحاً أو موضوعاً ... فإنّ أمرَ جميع ما ورد حول القرآن، مشتملاً على دور لزيد بن ثابت فيه. مريبٌ ... .

لأنّ هذا الرجل الذي كان حين قدوم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينة ابن احدى عشرة سنة،[٢] قد جعلوه من مؤلّفي القرآن على عهد الرسول ... وأنّه على قراءته عارض جبريل القرآن مع النبي عام وفاته صلّى الله عليهوآله وسلّم ... وأنّه الذي جمع القرآن الموجود على عهد عثمان بأمره... وأن القرآن الموجود على حرف زيد...!!

فإن صحّ هذا كلّه فهي «شنشنة أعرفها من أخزم».

ولكنّ محمد بن كعب القرظي، لم يذكر زيداً فيمن جمع القرآن على عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.[٣]

أمّا على عهد أبي بكر، فقد ثبت بطلان أحاديث الجمع على عهده. على أنّ أبابكر لم يصفه إلاّ بـ«إنّك رجل شابٌ عاقل لا نتّهمك»، وما كان فيه شيء يتقدّم به على ابن عبّاس وابن مسعود وأُبَيّ بن كعب وأضرابهم من حفّاظ القرآن وقرّائه والعلماء فيه ... .

---

(١) مباحث في علوم القرآن: ٨٢، الباب الثاني، تاريخ القرآن، الفصل الأوّل.

(٢) الإستيعاب ٢ / ٥٣٧، رقم ٨٤٠، كنز العمّال ١٣ / ٣٩٤، رقم ٣٧٠٥٥.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٩٥، رقم ٩٨٥، الطبقات الكبرى ٢ / ٣٥٦.

مضافاً إلى أنّ قوماً من أهل السُنّة عارضوا بهذا الحديث حديث أنس بن مالك أنّ زيد بن ثابت أحد الّذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قالوا:

فلو كان زيد قد جمع القرآن على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لأملاه من صدره وما احتاج إلى ما ذكره.[1]

وأمّا حديث معارضة القرآن على قراءته ـ كما عن ابن قتيبة ـ، فقد تكذّبه رواية وكيع وجماعة معه، عن الأعمش عن أبي ظبيان قال:

قال لي عبدالله بن عبّاس: أيّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأُولى قراءة ابن أُمّ عبد، فقال: أجل هي الآخرة، إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كان يعرض القرآن على جبرئيل في كلّ عام مرّة، فلمّا كان العام الذي قبض فيه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عرضه عليه مرّتين، فحضر ذلك عبدالله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدّل.[2]

هل كان زيد يهودياً؟

ولكنّ تكلّم ابن مسعود لم يقتصر على الإعتراض بتولية زيد أمر جمع القرآن وحمل الناس على قراءته، وإنما صرّح بكونه يهودياً، فقد روى ابن شبّة:

... عن حمير بن مالك قال: لمّا أمر بالمصاحف أن تغير، ساء ذلك عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: من استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليفعل، فإن من غلّ شيئاً جاء بما غلّ يوم

---

(١) الإستيعاب ٢ / ٥٣٧، رقم ٨٤٠.

(٢) المصدر ٣ / ٩٩٢.

القيامة. ثمّ قال: لقد قرأت القرآن من فيّ رسول الله سبعين سورة، وزيد صبي، أفأترك ما أخذت من فيّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟!

... عن حمزة بن عبدالله قال: بلغني أنه قيل لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه: مالك لا تقرأ علي قراءة فلان؟ فقال: لقد قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة فقال لي: لقد أحسنت. وإن الذي يسألون أن أقرأ على قراءته في صلب رجل كافر!

... عن ابن إسحاق، عن أبي الأسود ـ أو غيره ـ قال: قيل لعبدالله: ألا تقرأ على قراءة زيد؟ قال: مالي ولزيد ولقراءة زيد، لقد أخذت من فيّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليهودي له ذؤابتان.

حدّثنا الحماني قال حدّثنا شريك، عن ابن إسحاق، عن أبي الأسود ـ أو غيره ـ قال: قيل لعبدالله: ألا تقرأ علي قراءة زيد؟ قال ما لي ولزيد ولقراءة زيد، لقد أخذت من فيّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليهودي له ذؤابتان!![1]

وقال الحاكم في المستدرك:

... حدّثني إسماعيل بن سالم بن أبي سعيد الأسدي قال: سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: أقرأني رسول الله صلّى الله عليه وآله سبعين سورة، أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت!![2]

وقال المزّي:

---

(١) تاريخ المدينة ٣ / ١٠٠٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢ / ٢٢٨.

عن أبي سعيد الأزدي، عن عبدالله بن مسعود: أقرأني رسول الله صلّى الله عليهوسلّم سبعين سورة، أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت. فلا أدري هو هذا أو غيره.[١]

ولكن البخاري وآخرين خففوا قول ابن مسعود في زيد، وغيّروا كلمة (غلام) في رواية جمع القرآن إلى (رجل)... قال البخاري:

... عن حمير بن مالك عن ابن مسعود يقول: أخذت من فيّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت صبيّ من الصبيان![٢]

وقال أحمد:

... عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبوبكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر عنده جالس وقال أبوبكر: يا زيد بن ثابت إنك غلام شاب عاقل لانتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فتتبع القرآن فاجمعه.[٣]

وقال ابن الأثير مؤكداً حداثة سنّ زيد:

... قلت: هذا إسماعيل بن زيد بن ثابت يروي عن أبيه وهو تابعي ولا اعتبار بإرساله هذا الحديث، فإن التابعين لم يزالوا يروون المراسيل. ومما يقوي أنه لم تكن له صحبة أن أباه زيد بن ثابت استصغر يوم أحد، وكانت سنة ثلاث من الهجرة، فمن يكون عمره كذا كيف يقول ولده خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟! وهذا إنما يقوله رجل، وقد صح عن ابن مسعود أنه قال لمّا كتب زيد

---

(١) تهذيب الكمال ٣٣ / ٣٥١.

(٢) التاريخ الكبير ٣ / ٢٢٧.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٨٨.

المصحف، لقد أسلمت وإنه في صلب رجل كافر، وهذا أيضاً يدلّ على حداثة سنّه عند وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم. أخرجه أبوموسى![1]

قال الشيخ الكوراني بعد أنْ ذكر ما تقدّم:

ولكن المشكلة في شخصيّة زيد ليست صغر سنّه، بل اتّهامه بأن أصله يهودي.. وعلى لسان صحابي كبير من وزن عبدالله بن مسعود!

والمؤكّد أن زيداً كان ضمن صبيان اليهود، وأنه كان يعرف العبرية.. فقد قال الفضل بن شاذان:

فأما سبّ بعضهم بعضاً وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية، فأكثر من أن يحصى، مثل قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه العول في الفرائض: إن شاء، أو قال من شاء، باهلته، إن الذي أحصى رمل عالج عدداً أعدل من أن يجعل في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً، هذان النصفان قد ذهبا بالمال فأين موضع الثلث؟! ومثل قول أُبيّ بن كعب في القرآن: لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.[2]

ورواه في الدرجات الرفيعة.[3]

وحسب هذه الشهادة وحدها يمكن تبرئة زيد من تهمة اليهودية، والقول بأنه كان أنصاريّاً قتل أبوه في حرب بُعاث، وأدخلته أُمّه النوار بنت مالك الخزرجية في (بيت المدراس) عند اليهود ليتعلم القراءة والكتابة، كما يضع بعض الناس أبناءهم في عصرنا في مدارس مسيحية أو يهودية.. لكن تبقي

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ١ / ٨٠.

(٢) تدوين القرآن: ٢٧٦.

(٣) الدرجات الرفيعة: ٢٢.

مسألة أن اليهود كانوا مجتمعاً مغلقاً لا يقبلون في مدرستهم أبناء العرب، ولم أجد رواية عن أيّ عربي أنه تعلّم القراءة والكتابة مع أبناء اليهود.

وتبقى أيضاً شهادة ابن مسعود الصّريحة التي تقول: «قيل لعبدالله: ألا تقرأ على قراءة زيد؟ قال: ما لي ولزيد ولقراءة زيد! لقد أخذت من فيّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليهودي له ذؤابتان!!

وإذا أخذنا بإجماع أئمّة الجرح والتعديل على توثيق ابن مسعود وتقواه.. فلابدّ أن نقول إن والد زيد يهودي، وأمه أنصارية، وقد نسب إلى الأنصار من جهة أمه وأخواله!! وهذا يفتح باب الشك في ادعاء زيد أن أباه قتل يوم بعاث، لأن اليهود لم يشاركوا فيه!

أقول:

وهنا كلمة لابدّ منها وهي:

إنه لو أطاع المسلمون نبيّهم صلّى الله عليه وآله وامتثلوا أمره بالرجوع إلى أهل بيته وعترته الطاهرين من بعده، والتمسّك بهم، والتعلّم منهم ـ كما في الأحاديث المتواترة، كحديث الثقلين وغيره ـ لأخذوا القرآن وعلومه من عين صافية. ولكن هل عَلِمَ الذي قال: «حسبنا كتاب الله»، ثمّ منع عن كتابة السُنّة، وسعى وراء عزل أهل البيت عن قيادة الأُمة، وحرمها من العلوم المودعة عندهم عليهم السّلام: بأنّ القرآن سيمزّق على المدى البعيد على يد «الوليد»، فلا يبقى كتاب ولا سُنّة ولا عترة؟!

إنّه قد يصعب على بعض الناس القبول بترتّب كلّ هذه الآثار بل تغيّر مصير أُمة بكاملها، على كلمة واحدة قالها قائلها!!

أبوموسى الأشعري

وأمّا أبوموسى الأشعري، وهو عبدالله بن قيس، قال ابن الأثير: مات بالكوفة وقيل بمكة سنة ٤٢.

فهذا طرفٌ من آرائه في القرآن وحالاته وأخباره:

قوله بنقصان القرآن

فقد أخرج مسلم وجماعة من الحفاظ أنه قال لقرّاء أهل البصرة:

وإنا كنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة، فأنسيتها. غير أني حفظت منها: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولايملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب».

وعنه أنه قال: وكنّا نقرأ سورة نشبّهها بإحدى المسبّحات أوّلها: سبحّ لله ما في السّماوات. فأنسيتها، غير أني حفظت منها: «يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تعملون فكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة».[1]

توقّف عمر عن قبول خبره

---

(١) صحيح مسلم ٣ / ١٠٠.

واشتهر توقف عمر عن قبول خبر أبي موسى في الإستيذان، وقد استدلّ به العلماء في مبحث خبر الواحد. ونكتفي هنا بكلام الحافظ ابن حجر إذ قال:

احتجّ من ردّ خبر الواحد بتوقّفه صلّى الله عليه وآله في قبول خبر ذي اليدين ... وبتوقف عمر في خبر أبي موسى في الإستيذان حتّى شهد له أبوسعيد ...

وأُجيب: بأنّ ذلك إنما وقع منهم إمّا عند الإرتياب، كما في قصة أبي موسى، فإنه أورد الخبر عند إنكار عمر ورجوعه بعد الثلاث وتوعّده، فأراد عمر الاستثبات خشية أنْ يكون دفع بذلك عن نفسه.[1]

إنحرافه عن أميرالمؤمنين

ولقد كان أبوموسى الأشعري من المنحرفين عن أميرالمؤمنين عليه السّلام، وهذا من الأُمور الثابتة، وقد ذكر بترجمته من الكتب المعروفة:

قال ابن عبدالبرّ:

ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان، ثمّ لمّا دفع أهل الكوفة سعيد ابن العاص ولّوا أباموسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أنْ يولّيه، فأقرّه، فلم يزل على الكوفة حتّى قتل عثمان، ثمّ كان منه بصفّين وفي التحكيم ما كان، وكان منحرفاً عن علي، لأنّه عزله ولم يستعمله، وغلبه أهل اليمن في إرساله في التحكيم.[2]

ترجمة ابن عبدالبر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ١٩٩.

(٢) الإستيعاب ٤ / ١٧٦٣ ـ ١٧٦٤، رقم ٣١٩٣.

وابن عبدالبر، المتوفّى سنة ٤٦٣، من أكابر الحفّاظ المعتمدين، وتراجمه في كتب القدماء والمتأخّرين تنبئ عن جلالة شأنه وعظمة قدره بين العلماء المشهورين:

ترجم له ابن خلّكان ووصفه بـ «إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلّق بهما».

ثمّ أورد عن أبي الوليد الباجي: «لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبدالبر في الحديث» وأنّه «أحفظ أهل المغرب» وعن أبي علي الغسّاني «ابن عبدالبر شيخنا... برع براعةً فاق فيها من تقدّمه من رجال الأندلس» ثمّ ذكر بعض تواليفه. وعن ابن حزم: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه» ... .[١]

وقال الذهبي بترجمته ما ملخّصه:

«ابن عبدالبر، الإمام العلاّمة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبوعمر، يوسف بن عبدالله، صاحب التصانيف الفائقة، طلب العلم وأدرك الكبار وطال عمره وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، فكان فقيهاً عابداً مجتهداً.

قال الحميري: أبوعمر فقيه حافظ مكثر ... وقال أبوعلي الغساني ...

قلت: كان إماماً ديّناً، ثقة، متقناً، علاّمة، متبحّراً، صاحب سنّة واتّباع، ممّن بلغ رتبة الأئمّة المجتهدين.

قال أبوالقاسم ابن بشكوال: ابن عبدالبر إمام عصره وواحد دهره، يكنّى أباعمر.

قال أبوعلي ابن سكّرة: سمعت أباالوليد الباجي يقول ...».[٢]

---

(١) وفيات الأعيان ٧ / ٦٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٥٣ ـ ١٥٧.

كلام حذيفة بن اليمان في أبي موسى

وذكر ابن عبدالبرّ بترجمة أبي موسى في موضع آخر من كتابه:

ولاّه عمر البصرة في حين عزل المغيرة عنها. [فلم يزل عليها] إلى صدر من خلافة عثمان، فعزله عثمان عنها وولاّها عبدالله بن عامر بن كريز، فنزل أبوموسى حينئذ الكوفة وسكنها، فلمّا دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولّوا أباموسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أنْ يولّيه، فأقرّه عثمان على الكوفة، إلى أنْ مات، وعزله علي رضي الله عنه عنها، فلم يزل واجداً على علي حتّى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روي فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له. ثمّ كان من أمره يوم الحكمين ما كان.[1]

إذنْ، فقد كان أبوموسى «منحرفاً» عن علي ... و«لم يزل واجداً» على الإمام عليه السّلام ... لكنْ ما هو كلام حذيفة فيه الذي «كره» ابن عبدالبر ذكره؟! وحذيفة صاحب سرّ رسول الله، وهو الذي كان يعرف المنافقين من الصّحابة، لا سيّما الذين أرادوا اغتيال النبي في العقبة ...

علي باب حطّة من خرج منه كان كافراً

وفي الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال:

علي باب حطّة، من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً.

أخرجه الدارقطني عن ابن عبّاس، وعنه ابن حجر المكّي في (الصواعق) والسيوطي في (الجامع الصغير).[2]

---

(١) الإستيعاب ٣ / ٩٧٩ ـ ٩٨٠، رقم ١٦٣٩.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٥، الجامع الصغير ٢ / ١٧٧، رقم ٥٥٩٢.

وكذا أخرجه الديلمي عن ابن عمر.[1]

كتم كلام حذيفة في أبي موسى

ثمّ إنّ عبدالبر كره أنْ يذكر كلام حذيفة بن اليمان في أبي موسى الأشعري، تستّراً عليه، إلاّ أنّ ما صرَّح به من كونه «منحرفاً عن علي» وأنّه «لم يزل واجداً» على الإمام عليه السّلام يكفي للتوصّل إلى كلام حذيفة، فإنّ الباحث اللبيب والمحقّق الخبير يفهم من تلك القرائن، وبالنظر إلى كون حذيفة عارفاً بالمنافقين، وأنّ كلامه مقبولٌ في التعريف بهم أنّ كلام حذيفة ليس إلاّ الإعلان عن كون أبي موسى من المنافقين ... وهذا ما كره ابن عبدالبر التصريح به مخالفةً منه لقوله تعالى: (**وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**).

مع أنّ كتابه (الإستيعاب) مشتمل على فضائح كثير من الأصحاب، وتكلّم بعضهم في البعض الآخر والإفصاح عن مثالبه:

كروايته خطبة عبدالله بن بديل في ذمّ معاوية وهجوه وتضليله ...[2]

وكروايته خطبة أميرالمؤمنين عليه السّلام، وفيها التصريح بأنّ عائشة وطلحة والزبير هم الذين ألّبوا على عثمان وقتلوه ...[3]

وكروايته أنّ معاوية هو الذي دسّ السمّ إلى الإمام الحسن السّبط عليه السّلام.[4]

وكروايته قتل معاوية حجر بن عدي ...[1]

---

(١) فردوس الأخبار ٣ / ٩٠، رقم ٣٩٩٨.

(٢) الإستيعاب ٣ / ٨٧٣، رقم ١٤٨١.

(٣) المصدر، ترجمة طلحة ٢ / ٧٦٧، رقم ١٢٨٠.

(٤) المصدر ١ / ٣٨٩، رقم ٥٥٥.

إلى غير ذلك من مخازي الصّحابة التي تظهر لمن تتبّع كتاب (الإستيعاب).

وإذا كان ابن عبدالبر يروي تلك الأخبار ويكره رواية تكلّم حذيفة في أبي موسى الأشعري ... فلابدّ وأنْ يكون كلامه فيه أعظم من تلك الكلمات، التي رواها بتراجم الصّحابة عن بعضهم في البعض الآخر ...

هذا كلّه، وقد اشتهر الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في كتب الفريقين في أنّ بغض علي نفاق، وعن غير واحد من صحابته: «ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم عليّ بن أبي طالب» وقد رواه ابن عبدالبر أيضاً بترجمة الإمام عليه السّلام ...

وبعد ثبوت انحراف أبي موسى عنه وبغضه له، لم يبق أي ريب وشك في

كون أبي موسى من المنافقين ... ولا تبقى حاجة إلى ذكر الشواهد على ذلك من كتب الحديث والتاريخ.

وإذا كان ابن عبدالبر يكره رواية الخبر، فقد رواه غير واحد من الأعلام، منهم ابن عساكر في (تاريخه)،[٢] رواه بإسناده عن الأعمش عن شقيق قال:

كنا مع حذيفة جلوساً، فدخل عبدالله وأبوموسى المسجد، فقال: أحدهما منافق. ثمّ قال: إن أشبه الناس هدياً ودلاًّ وسمتاً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبدالله.

من مشاهد انحراف أبي موسى عن علي

ومع ذلك نتعرّض لبعض الأخبار الشاهدة بانحراف الرجل عن أميرالمؤمنين عليه الصّلاة والسّلام:

---

(١) المصدر ١ / ٣٢٩، رقم ٤٨٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٢ / ٩٣، ترجمة عبدالله بن قيس وهو أبوموسى الأشعري.

ما كان بينه وبين الإمام الحسن وعمّار

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري بشرح البخاري):

قوله: بعث عليّ عمّار بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوفة. ذكر عمر بن شبة والطبري سبب ذلك بسندهما إلى ابن أبي ليلى قال: كان عليّ أقرّ أباموسى على إمرة الكوفة، فلمّا خرج من المدينة أرسل هاشم بن عتبة بن أبيوقاص إليه أن أنهض من قبلك من المسلمين، وكن من أعواني إلى الحق، فاستشار أبوموسى السائب بن مالك الأشعري فقال: اتّبع ما أمرك به. قال: إنّي لا أرى ذلك، وأخذ في تخذيل الناس عن النهوض، فكتب هاشم إلى علي بذلك

وبعث بكتابه مع حجل بن خليفة الطائي، فبعث عليٌّ عمّار بن ياسر والحسن بن علي يستفزّان النّاس، وأمّر قرظة بن كعب على الكوفة.[1]

وقال ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة):

وذكروا أنّ عليّاً لمّا نزل قريباً من الكوفة، بعث عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر إلى أبي موسى الأشعري، وكان أبوموسى عاملاً لعثمان على الكوفة، فبعثهما عليٌّ إليه وإلى أهل الكوفة يستفزّهم، فلمّا قدما عليه، قام عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر فدعوا النّاس إلى النصرة لعليّ، فلمّا أمسوا، دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى فقالوا: ما ترى؟ أنخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما أم لا؟ فقال أبوموسى: أمّا سبيل الآخرة ففي أن تلزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدّنيا وسبيل النار، فالخروج مع من أتاكم، فأطاعوه، فتبطأ النّاس على علي، وبلغ عمّاراً ومحمّداً ما أشار به أبوموسى على

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٨ ـ ٤٩.

أولئك الرهط، فأتياه فأغلظا له في القول، فقال أبوموسى: والله إنّ بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكما، ولئن أرادنا للقتال مالنا إلى قتال أحد من سبيل حتّى نفرغ من قتلة عثمان.

ثمّ خرج أبوموسى وصعد المنبر ثمّ قال: أيّها النّاس! إنّ أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله وبرسوله ممّن لم يصحبه، وإنّ لكم حقّاً عَلَيّ أُؤدّيه إليكم، إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، والقاعد خير من القائم، والقائم فيها خير من السّاعي، والسّاعي خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم حتّى

تنجلي هذه الفتنة.[1]

وأخرج البخاري:

حدّثنا بدل الُمحبَّر قال حدّثنا شعبة قال: أخبرني عمرو قال: سمعت أباوائل يقول: دخل أبوموسى وأبومسعود على عمّار حيث بعثه علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمّار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر، وكساهما حلّة حلّة، ثمّ راحوا إلى المسجد.

حدّثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة: كنت جالساً مع أبي مسعود وأبي موسى وعمّار، فقال أبومسعود: ما من أصحابك أحدٌ إلاّ لو شئت لقلت فيه، غيرك، وما رأيت منك شيئاً منذ صَحِبْتَ النبي صلّى الله عليه وسلّم أعيب عندي من استسراعك في هذا الأمر. قال عمّار: يا أبامسعود! وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئاً منذ صحبتما النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعيب عندي

(١) الإمامة والسياسة ١ / ٦٢.

من إبطائكما في هذا الأمر. فقال أبومسعود ـ وكان موسراً: يا غلام! هات حلّتين، فأعطى إحداهما أباموسى والأُخرى عمّاراً وقال: روحا فيه إلى الجمعة.[١]

وقال الحاكم:

أخبرنا عبدالرحمن بن الحسن القاضي بهمدان، حدّثنا إبراهيم بن الحسين، حدّثنا آدم بن أبي أياس، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبيوائل قال: دخل أبوموسى الأشعري وأبومسعود البدري على عمّار وهو يستنفر النّاس، فقالا له: ما رأينا منك أمراً منذ أسلمت أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر. فقال عمّار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر.[٢]

وأخرج أيضاً:

عن الشعبي قال: لمّا قتل عثمان وبويع لعلي رضي الله عنهما، خطب أبوموسى وهو على الكوفة، فنهى النّاس عن القتال والدخول في الفتنة، فعزله عليٌّ عن الكوفة من ذي قار، وبعث إليه عمّار بن ياسر والحسن بن علي فعزلاه.[٣]

كتاب الإمام إليه

وفي ما فعل أبوموسى ـ من الوقاحة والتجاسر والإفتراء والكذب ـ ما لا يخفى، ولا بأس لتوضيح شناعة موقفه بأنْ نقول:

أوّلاً: ذكر المسعودي ـ وعنه سبط ابن الجوزي ـ أنّه لمّا خذّل أبوموسى الناس، كتب الإمام عليه السّلام إليه:

---

(١) صحيح البخاري ٨ / ٩٧ ـ ٩٨، كتاب الفتن.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١٧.

(٣) المصدر.

إنعزل عن هذا الأمر مذموماً مدحوراً، فإنْ لم تفعل، فقد أمرت من يقطّعك إرباً إرباً، يا ابن الحائك، ما هذا أوّل هناتك، وإنّ لك لهنات وهنات ...

ثمّ بعث عليٌّ الحسن وعمّاراً إلى الكوفة، فالتقاهما أبوموسى، فقال له الحسن: لم ثبّطت القوم عنّا؟ فوالله ما أردنا إلاّ الإصلاح. فقال: صدقت، ولكنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: ستكون فتنة، يكون القاعد فيها خيراً من القائم، والماشي خيراً من الراكب. فغضب عمّار وسبّه.[١]

فلقد وصفه الإمام عليه السّلام بوصف أهل النّار، قال تعالى: (**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُومًا مَدْحُورًا**)[٢]وقال: (**لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً**)[٣] وقال: (**وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ فَتُلْقى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا**).[٤]

قال في (تفسير الجلالين):

«[**مذموماً**] ملوماً [**مدحوراً**] مطروداً عن الرحمة».[٥]

وفي كتاب (النهاية في غريب الحديث):

«في حديث عرفة: ما من يوم إبليس فيه أدحر ولا أدحق منه في يوم عرفة. الدحر: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال، والدحق: الطّرد والإبعاد».[١]

وفيه:

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٥٩، (بنحوه) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٧٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٢.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٩.

(٥) تفسير الجلالين: ٣٦٨.

وأصل اللّعن: الطرد والإبعاد من الله.[٢]

وقال الفخر الرازي بتفسير الآية: (**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ**):

قال القفّال رحمه الله: هذه الآية داخلة في معنى قوله (**وَكُلَّ إِنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ**) ومعناه، أنّ الكمال في الدّنيا قسمان، فمنهم من يريد بالذي يعمله الدنيا ومنافعها والرياسة فيها، فهذا يأنف من الإنقياد للأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، والدخول في طاعتهم والإجابة لدعوتهم، إشفاقاً من زوال الرياسة عنه، فهذا قد جعل طائر نفسه شؤماً، لأنّه في قبضة الله تعالى، فيؤتيه الله في الدنيا منها قدراً لا كما يشاء ذلك الإنسان، بل كما يشاء الله، إلاّ أنّ عاقبته جهنّم يدخله فيها فيصلاها مذموماً ملوماً مدحوراً منفيّاً مطروداً من رحمة الله تعالى.

وفي لفظ هذه الآية فوائد:

الفائدة الأُولى: إنّ العقاب عبارة عن مضرّة مقرونة بالإهانة والذمّ، بشرط أن تكون دائمة وخالية عن شوب المنفعة. فقوله: (**ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها**) إشارة إلى المضرّة العظيمة، وقوله: (**مَذْمُومًا**) إشارة إلى الإهانة والذم، وقوله: (**مَدْحُورًا**)إشارة إلى البعد والطرد عن رحمة الله، وهي تفيد كون تلك المضرّة خالية عن شوب النفع والرحمة، وتفيد كونها دائمة وخالية عن التبدّل بالراحة والخلاص».[٣]

وقال أبوالبركات النسفي بتفسيرها:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ١٠٣ «دحر».

(٢) المصدر ٤ / ٢٥٥.

(٣) تفسير الرازي ٢٠ / ١٧٨.

«(**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ**) لا ما يشاء (**لِمَنْ نُرِيدُ**) بدل من له بإعادة الجار، وهو بدل البعض من الكلّ، إذ الضمير يرجع إلى من، أي من كانت

العاجلة همّه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضّلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيّد المعجّل بمشيّته والمعجّل له بإرادته، وهكذا الحال، ترى كثيراً من هؤلاء يتمنّون ما يتمنّون ولا يعطون إلاّ بعضاً منه، وكثيراً منهم يتمنّون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع عليهم فقر الدّنيا وفقر الآخرة، وأمّا المؤمن التقي، فقد اختار غنى الآخرة، فإنْ أوتي حظّاً من الدنيا فبها، وإلاّ فربّما كان الفقر خيراً له (**ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ**) في الآخرة (**يَصْلاها**) يدخلها (**مَذْمُومًا**) ممقوتاً (**مَدْحُورًا**)».[1]

وقال البغوي:

«(**وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ**) خاطب النبي صلّى الله عليه وسلّم في هذه الآيات، والمراد منه الأُمّة (**فَتُلْقى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا**) مطروداً مبّعداً من كلّ خير».[2]

وقال الرازي بتفسير الآية: (**وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ فَتُلْقى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا**):

«ثمّ إنّه تعالى ذكر في الآية الأُولى: أنّ الشرك يوجب أن يكون صاحبه مذموماً مخذولاً، وذكر في الآية الأخيرة: أنّ الشرك يوجب أن يلقى صاحبه في جهنّم ملوماً مدحوراً، فاللّوم والخذلان يحصل في الدنيا، وإلقاؤه في جهنّم يحصل يوم القيامة.

ويجب علينا أن نذكر الفرق بين المذموم المخذول، وبين الملوم المدحور فنقول: أمّا الفرق بين المذموم وبين الملوم، فهو أن كونه مذموماً معناه أن يذكر له

أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر، فهذا معنى كونه مذموماً، وإذا ذكر له ذلك فبعد ذلك يقال له:

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل ٢ / ٢٨٢.

(٢) تفسير البغوي = معالم التنزيل ٣ / ١١٦.

لم فعلت مثل هذا الفعل؟ وما الذي حملك عليه؟ وما استفدت من هذا العمل إلاّ إلحاق الضرر بنفسك، وهذا هو اللّوم، فثبت أنّ أوّل الأمر هو أن يصير مذموماً، وآخره أن يصير ملوماً.

وأمّا الفرق بين المخذول وبين المدحور، فهو أنّ المخذول عبارة عن الضعيف، يقال: تخاذلت أعضاؤه أي ضعفت، وأمّا المدحور، فهو المطرود. والطرد عبارة عن الإستخفاف والإهانة، قال تعالى: (**وَيَخْلُدْ فيهِ مُهانًا**) فكونه مخذولاً عبارة عن ترك إعانته وتفويضه إلى نفسه. وكونه مدحوراً عبارة عن إهانته والإستخفاف به».[1]

تكلّم الإمام فيه

وأيضاً: فقد ورد أنّ الإمام عليه السّلام قال عن أبي موسى: «هو عندي غير مأمون، وقد هرب منّي» قال سبط ابن الجوزي في خبر التحكيم:

ولمّا فعل معاوية ما فعل قال: نبعث حكماً نرتضي به، وابعثوا أنتم حكماً ترضون به، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أباموسى الأشعري، فقال علي عليه السّلام: لا أرضى به، وهو عندي غير مأمون، وقد هرب منّي، وخذّل النّاس عنّي، ولكنْ هذا ابن عبّاس.[2]

وكما تكلّم الإمام عليه السّلام في أبي موسى بما تقدّم ونحوه، كذلك تكلّم في سعد بن أبيوقّاص، لتخلّفه عنه وتركه نصرته، قال الحاكم:

وأمّا ما ذكر من اعتزال سعد بن أبيوقّاص عن القتال، فحدّثناه أبوزكريّا يحيى ابن محمّد العنبري، ثنا إبراهيم بن أبي طالب، ثنا علي بن المنذر، ثنا ابن فضيل، ثنا مسلم الملائي، عن

---

(١) تفسير الرازي ٢٠ / ٢١٤.

(٢) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٩٣.

خيثمة بن عبدالرحمن قال: سمعت سعد بن مالك، وقال له رجل: إنّ عليّاً يقع فيك أنّك تخلَّفت عنه. فقال سعد: والله إنّه لرأي رأيته وأخطأ رأيي، إنّ علي بن أبي طالب أُعطي ثلاثاً، لأنْ أكون أُعطيت إحداهنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها:

لقد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم غدير خم بعد حمد الله والثناء عليه: هل تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين؟ قلنا: نعم. قال: اللهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه، وال من والاه وعاد من عاداه.

وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر، فقال: يا رسول الله، إنّي أرمد، فتفل في عينيه ودعا له، فلم يرمد حتّى قتل، وفتح عليه خيبر.

وأخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّه العبّاس وغيره من المسجد، فقال له العبّاس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليّاً؟! فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته، ولكنّ الله أخرجكم وأسكنه.[1]

ثانياً: إنّ سبّ عمّار بن ياسر أباموسى الأشعري دليل آخر على كفر أبي موسى، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال ـ كما في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ـ «سباب المسلم فسوق»،[2] فلا يجوز سبّ المسلم على الإطلاق، فكيف بالصّحابي، فلو كان لأبي موسى حظّ من الإسلام لَما جاز سبّه أصلاً.

شمول دعاء النبيّ يوم الغدير له

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١٦ ـ ١١٧، كتاب معرفة الصّحابة.

(٢) جامع الأصول ١٠ / ٦٧ و٧٦٠، رقم ٧٥٣٥ و٨٤٣٧.

ثالثاً: إنّ ترك أبي موسى نصرة الإمام عليه السّلام وتخذيله الناس عن القتال معه ونصرته، يُشمله قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي:

اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.

أخرجه الطبراني عن عمرو بن مرّة وزيد بن أرقم وحبشي بن جنادة مرفوعاً بلفظ:

اللهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه.[1]

وأخرجه الحاكم بإسناده عن جابر بن عبدالله يقول:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم [يقول يوم الحديبيّة] وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: هذا أمير البررة [و] قاتل الفجرة، منصور من نصره [و] مخذول من خذله. ثمّ مدّ بها صوته.

هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.[2]

ضلاله بحكم حديث الثقلين

رابعاً: لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

---

(١) المعجم الكبير ٤ / ١٧، رقم ٣٥١٤ و ٥ / ١٧١، رقم ٤٩٨٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٩، كتاب معرفة الصّحابة.

وهو حديث صادر عنه قطعاً ... وقد اعترف بذلك كبار أهل السنّة من القدماء والمتأخّرين، وحتّى الدهلوي صاحب (التحفة الإثنا عشريّة)، وأضاف أنّ كلّ عقيدة أو عمل مخالف للثقلين فهو باطل، ومن أنكرهما فهو ضالٌّ خارج من الدين، وهذه ترجمة كلامه في الباب الرابع من كتابه:

واعلم أنّه قد ثبت باتّفاق الفريقين أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وقد أفاد أنّ النبي قد دلّنا في معالم الدين وأحكام الشرع إلى هذين الأمرين العظيمين، فكلّ مذهب خالفهما في الأُمور الشرعيّة سواء في العقيدة أو العمل فهو باطل ولا اعتبار به، وكلّ من أنكرهما فهو ضالّ وخارج من الدّين.[1]

ولا شكّ أنّ أباموسى الأشعري قد خالف الثقلين، فكان من الخارجين عن الدين والداخلين في زمرة الضالّين الهالكين.

خامساً: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق.

وهو كذلك من الأحاديث الثابتة الصدور عنه عند الفريقين، وقد قال الدهلوي في (التحفة) في مقام الردّ على استدلال أصحابنا الإماميّة بهذا الحديث الشريف على الإمامة العامّة والولاية المطلقة لأميرالمؤمنين عليه السّلام ما تعريبه:

---

(١) التحفة الإثنا عشريّة: ١٣٠ الباب الرابع.

إنّ هذا الحديث لا يدلّ إلاّ على إناطة الفلاح والهداية بحبّهم واتّباعهم، وأنّ التخلّف عن ذلك موجب للهلاك.[1]

ومن الواضح: أنّ حال أبي موسى الأشعري ليس إلاّ التخلّف عن أهل البيت والمخالفة لهم، فيكون من الضالّين الهالكين.

سادساً: إنّه لم يكن تخلّف أبي موسى عن أهل البيت عليهم السّلام ومخالفته لهم في ترك النصرة وتخذيل النّاس فقط، بل تكلّم بكلمات كشف فيها عن نصبه وعناده لأهل البيت، بما لا يقبل الحمل والتأويل، فكان من الهالكين والخاسرين، وقد اعترف بذلك سائر العلماء من أهل السنّة حتّى المتعصّبون منهم...

معصيته لله وللرسول

سابعاً: لقد عصى أبوموسى أميرالمؤمنين عليه السّلام، ومن عصاه فقد عصى رسول الله، ومن عصى رسول الله فقد عصى الله تعالى ... وفي ذلك أحاديث

صحيحة عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني.

قال الحاكم:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.[2]

---

(١) التحفة الإثنا عشريّة الباب السابع: ٢١٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢١، كتاب معرفة الصّحابة.

ثامناً: إنّه قد فارق أبوموسى أميرالمؤمنين عليه السّلام بتركه نصرته والتخلّف عنه، وقد نصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أنّ من فارق عليّاً فقد فارق الله ورسوله.

أخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي: من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقني.[1]

تاسعاً: إنّ من الواضح أنّ أباموسى قد آذى بأفعاله وأقواله عليّاً أميرالمؤمنين، وهذا ممّا لا يرتاب فيه مرتاب ولا يشكّ فيه أحد من أُولي الألباب، وإيذاء علي إيذاء رسول الله، وإيذاؤه يوجب الدخول في النّار.

أخرج الحاكم بإسناده عن عمرو بن شاس الأسلمي، قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث ـ :

يا عمرو، أما والله لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله أن أُوذيك يا رسول الله! قال:

بلى، من آذى عليّاً فقد آذاني.

قال الحاكم:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.[2]

العاشر: لقد خالف أبوموسى رسول الله، وعصى أوامره صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقتال مع أميرالمؤمنين، في حروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين:

أخرج الحاكم بإسناده أنّ أباأيّوب الأنصاري قال في زمان عمر بن الخطّاب:

---

(١) المصدر ٣ / ١٤٦، كتاب معرفة الصّحابة.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٢، كتاب معرفة الصّحابة.

أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.[١]

وأخرج عنه أنّه قال:

سمعت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، بالطرقات والنهروانات وبالسعفات، قال أبوأيّوب: قلت: يا رسول الله، مع من نقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: مع علي بن أبي طالب.[٢]

وأخرج البغوي عن ابن مسعود قال:

خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأتى منزل أُمّ سلمة، فجاء علي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا أُم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي.[٣]

وروى المتقي حديث ابن مسعود المذكور عن الحاكم في الأربعين وابن عساكر.[٤]

وروى عن ابن عساكر عن زيد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن جدّه عن علي قال:

أمرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.[٥]

وأوضح ابن طلحة الشافعي معنى الحديث ـ بعد أن رواه عن البغوي عن ابن مسعود ـ بقوله:

---

(١) المصدر ٣ / ١٣٩، كتاب معرفة الصّحابة.
(٢) المصدر ٣ / ١٤٠، كتاب معرفة الصّحابة.
(٣) شرح السنّة ١٠ / ٢٣٥، كتاب قتال أهل البغي، الباب ١.
(٤) كنز العمّال ١٣ / ١١٠، رقم ٣٦٣٦١.
(٥) المصدر ١٣ / ١١٢ ـ ١١٣، رقم ٣٦٣٦٧.

ذكر في هذا الحديث فرقاً ثلاثةً، صرّح بأنّ عليّاً عليه السّلام يقاتلهم من بعده، وهم الناكثون والقاسطون والمارقون، وهذه الصفات التي ذكرها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد سمّاهم بها، مشيراً إلى أن وجود كلّ صفة منها في الفرقة المختصّة بها علّة لقتالهم مسلّطة عليه. وهؤلاء الناكثون هم الناقضون عقد بيعتهم الموجبة عليهم الطاعة والمتابعة لإمامهم الذي بايعوه محقّاً، فإذا نقضوا ذلك وصدفوا عن طاعة إمامهم، وخرجوا عن حكمه، وأخذوا في قتاله بغياً وعناداً، كانوا ناكثين باغين، فيتعيَّن قتالهم، كما اعتمده طائفة. ممّن تابع عليّاً عليه السّلام وبايعه ثمّ نقض عهده وخرج عليه وهم أصحاب واقعة الجمل فقاتلهم علي عليه السّلام، فهم الناكثون.[1]

حديث خاصف النعل

هذا، وقد وردت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أحاديث كثيرة ـ غير ما ذكر في كون علي عليه السّلام مأموراً بالقتال مع هؤلاء ومصيباً في حروبه...

منها: حديث خاصف النعل... وقد أخرجه من كبار الأئمّة والحفّاظ:

أخرج الحاكم:

عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فانقطعت نعله، فتخلّف عليّ يصلحها، فمشى قليلاً ثمّ قال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم ـ وفيهم أبوبكر وعمر قال أبوبكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني عليّاً فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنّه قد كان سمعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

---

(١) مطالب السئول في مناقب آل الرسول: ١٣٩ ـ ١٤٠.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.[١]

وترجم ابن الأثير «عبدالرحمن بن بشير» فأسند عنه قال:

كنّا جلوساً عند النبي صلّى الله عليه وسلّم إذ قال: ليضربنّكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله، فقال أبوبكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، وكان علي يخصف نعل النبي صلّى الله عليه وسلّم. أخرجه الثلاثة.[٢]

وأخرج النسائي بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال:

كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله، فرمى بها إلى علي رضي الله عنه فقال: إنّ منكم من يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. قال أبوبكر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل.[٣]

ورواه أحمد في الفضائل:

عن أبي سعيد الخدري: كنّا جلوساً في المسجد، فخرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلي في بيت فاطمة، فانقطع شسع نعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأعطاه عليّاً يصلحها، ثمّ جاء فقام علينا فقال ... .[٤]

وأورد العلاّمة الحلّي هذا الحديث في (نهج الحق) محتجّاً به، فقال ابن روزبهان عند الجواب: «قد صحّ هذا الحديث».[١]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٣، كتاب معرفة الصّحابة.

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ٢٨٢.

(٣) خصائص أميرالمؤمنين عليه السّلام: ١٣١.

(٤) فضائل الصحابة ٢ / ٦٣٧، رقم ١٠٨٣.

ورواه الذهبي في (المعجم المختص) بترجمة «عبدالله بن محمّد بن أحمد بن المطري» بإسناد فيه جماعة من الأعلام الحفّاظ ... .

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ونحن في المسجد في نحو سبعين من أصحابه كأنّ على رؤوسنا الطير فقال: إنّ رجلاً منكم يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتهم على تنزيله، فقال أبوبكر: أنا؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: هو خاصف النعل بالحجرة. فخرج علينا علي من الحجرة وفي يده نعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلحها أو يخصفها.[٢]

وهو في (كنز العمّال) عن أبي سعيد باللّفظ المذكور عن ابن أبي شيبة في المصنّف، وأحمد في المسند، وأبي يعلى في المسند، وابن حبّان في الصحيح، والحاكم في المستدرك، وأبي نعيم في الحلية، والضياء في المختارة.[٣]

وكذلك البدخشي، رواه عن الجماعة والبغوي في شرح السنّة، عن أبي سعيد الخدري، وأضاف:

وأخرج الحافظ أبوعلي سعيد بن عثمان ابن السكن البغدادي في صحاحه، عن الأخضر الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: أنا أُقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله.[٤]

دلّ هذا الحديث على أنّ قتال أميرالمؤمنين عليه السّلام على تأويل القرآن بعد حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إنّما يعدّ من المناقب المختصّة به، ومن خصائصه الجليلة التي قد تمنّاها أبوبكر

---

(١) أُنظر: دلائل الصدق لنهج الحق ٦ / ١٥٤.

(٢) المعجم المختص للذهبي: ١٢٦.

(٣) كنز العمّال ١٣ / ١٠٧ ـ ١٠٨، رقم ٣٦٣٥١.

(٤) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: مخطوط.

وعمر وغيرهما من الصّحابة ... فكيف يجوز لأبي موسى الأشعري أو غيره أن يطعن في قتاله عليه السّلام، وحروبه التي خاضها ضدّ الناكثين والقاسطين والمارقين؟ وكيف يجوز لأحد أن يسعى في حطّ مرتبة هذه الفضيلة والشرف العظيم الذي بشّر به رسول الله؟ وكيف يجوز التعبير عن هذا القتال بأنّه كان للدنيا؟

هذا، ولا يخفى أنّ صاحب (التحفة) قد روى هذا الحديث، وأورده في باب الإمامة، مع إسقاط تمنّي أبي بكر وعمر، وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لهما: لا![1]

الحادي عشر: لقد خالف أبوموسى الأشعري النصوص الصريحة الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أنّ الحقّ مع علي وأنّه لا يفارقه أبداً.

وقد أخرج هذه الأحاديث كبار الأئمّة الحفّاظ بأسانيدهم:

أخرج الترمذي عن علي كرّم الله وجهه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: رحم الله عليّاً، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار.[2]

وأخرج أبويعلى والضياء عن أبي سعيد رضي الله عنه:

أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا; يعني عليّاً.[3]

وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال:

الحق مع علي، يزول معه حيث ما زال.[4]

---

(١) التحفة الاثنا عشرية: ٢١٩ الباب السابع.

(٢) سنن الترمذي ٥ / ٢٩٧، رقم ٣٧٩٨.

(٣) مسند أبي يعلى ٢ / ٣١٨، رقم ٧٨.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب عليه السّلام وما نزل من القرآن في علي عليه السّلام: ١١٥.

وفي رواية أُخرى عنها:

عليّ مع الحقّ والحقّ معه.[١]

وأخرج الطبراني في الكبير، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يكون بين الناس فرقة واختلاف، فيكون هذا وأصحابه على الحق ... عرفنا أن ذلك الرجل علي رضي الله عنه.[٢]

وأخرج ابن عساكر، عن أبي ليلى الغفاري رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:

سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل.[٣]

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة رضي الله عنها:

أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة، فقال لها أخوها محمّد: أُنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: الحقّ لن يزال مع علي وعليّ مع الحق لن يختلفا ولن يتفرقا؟ قالت: نعم.[٤]

وأخرج عن أبي موسى الأشعري قال:

أشهد أنّ الحقّ مع عليّ ولكن مالت الدنيا بأهلها، ولقد سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول له: يا علي أنت مع الحق والحق بعدي معك.[١]

---

(١) المصدر: ١٧١.

(٢) المعجم الكبير ١٩ / ١٤٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٤٥٠.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب عليه السّلام وما نزل من القرآن في علي عليه السّلام: ١٦٤.

وأخرج عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت:

كان عليّ على الحق، من اتّبعه اتّبع الحق ومن تركه ترك الحق، عهداً معهوداً قبل يومه هذا.[٢]

وأخرج عن شهر بن حوشب قال:

كنت عند أُم سلمة رضي الله عنها، فسلّم رجل، فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبوثابت مولى أبي ذر. قالت: مرحباً بأبي ثابت أُدخل، فدخل، فرحّبت به وقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: مع علي بن أبي طالب عليه السّلام. قالت: وفّقت. والذي نفس أُم سلمة بيده لسمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض». ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبدالله بن أبي أُميّة، وأمرتهما أن يقاتلا مع عليّ من قاتله، ولولا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمرنا أن نقرّ في حجالنا وفي بيوتنا، لخرجت حتّى أقف في صفّ عليّ.[٣]

وأخرج عن عليّ كرّم الله وجهه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا علي! ... إنّ الحقّ معك والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك.[٤]

وأخرج عن عبيدالله بن عبدالله الكندي قال:

---

(١) المصدر: ١١٥.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السّلام وما نزل من القرآن في علي عليه السّلام: ١١٥.

(٣) المصدر: ١١٨.

(٤) كفاية الطالب: ٢٦٥.

حجّ معاوية، فأتى المدينة وأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم متوافرون،

فجلس في حلقة بين عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر، فضرب بيده على فخذ ابن عبّاس ثمّ قال:

أما كنت أحقّ وأولى بالأمر من ابن عمّك؟

قال ابن عبّاس: وبم؟

قال: لأنّي ابن عمّ الخليفة المقتول ظلماً.

قال: هذا ـ يعني ابن عمر ـ أولى بالأمر منك، لأنّ أباهذا قتل قبل ابن عمّك.

قال: فانصاع عن ابن عبّاس وأقبل على سعد، قال:

وأنت يا سعد الذي لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟

قال سعد: إنّي لمّا رأيت الظلمة قد غشيت الأرض، قلت لبعيري هخ، فأنخته حتّى إذا أسفرت مضيت.

قال: والله لقد قرأت المصحف يوماً بين الدفّتين ما وجدت فيه هخ.

فقال: أمّا إذا أبيت، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لعلي: أنت مع الحق والحق معك.

قال: لتجيئنّي بمن معك أو لأفعلنّ؟

قال: أُم سلمة.

قال: فقام وقاموا معه حتّى دخل على أُم سلمة.

قال: فبدأ معاوية فتكلّم فقال: يا أُم المؤمنين، إنّ الكذّابة قد كثرت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعده، فلا يزال قائل قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما لم يقل، وإنّ سعداً روى حديثاً زعم أنّك سمعته معه.

قالت: ما هو؟

قال: زعم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعلي: أنت مع الحق والحق معك.

قالت: صدق، في بيتي قاله.

فأقبل على سعد وقال: الآن ما ألوم ما كنت عندي، والله لو سمعت هذا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما زلت خادماً لعلي حتّى أموت.[1]

وأخرج الطبراني في الأوسط والصغير عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض.[1]

أقول:

دلّت هذه الأحاديث المتكثّرة على أنّ الحقّ ما فارق عليّاً عليه السّلام ولا لحظةً من حياته المباركة، وأنّ حروبه كلّها كانت على الحق، وأنّ من تخلّف عنه فقد فارق الحق وكان على الباطل ... .

وقد خالف أبوموسى مقتضى هذه الأحاديث طلباً للحطام ومخالفة للإمام عليه السّلام، ومن العجب أنّ أباموسى نفسه أيضاً من رواة هذا المعنى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما تقدّم ...

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السّلام وما نزل من القرآن في علي عليه السّلام: ١١٦ ـ ١١٧.

فما عذره عند الله ورسوله ممّا صنع؟ بل الأشنع من ذلك تخذيله الناس عن الإمام ومنعه إيّاهم من نصرته؟!

وأمّا ما اعتذر به من أنّه سمع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: ستكون فتنة... فيبطله الأحاديث المتقدّمة، لا سيّما وأنّه من الرواة لها ...

وأيضاً، فقد أبطله وردّ عليه الصحابي العظيم عمّار بن ياسر، فيما أخرجه أبويعلى وابن عساكر، والمتقي الهندي عنهما:

عن أبي مريم قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: يا أباموسى، أُنشدك الله، ألم تسمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار؟» وأنا سائلك عن حديث، فإنْ صدقت وإلاّ بعثت عليك من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من يقررك به، أُنشدك الله، أليس إنّما عناك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنت نفسك فقال: إنّها ستكون فتنة بين أُمّتي، أنت يا أباموسى فيها نائماً خير منك قاعداً، وقاعداً خير منك قائماً، وقائماً خيرٌ منك ماشياً، فخصّك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يعمّ النّاس؟ فخرج أبوموسى ولم يرد عليه شيئاً. ع، كر; أي: رواه أبويعلى وابن عساكر.[٢]

قصّة التحكيم

وذاك موقف آخر من مواقف بغضه وعناده لأميرالمؤمنين عليه السّلام وتخلّفه عن الحق وسقوطه في دركات الجحيم:

---

(١) المعجم الأوسط ٥ / ١٣٥، المعجم الصغير ١ / ٢٥٥.

(٢) كنز العمّال ١١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤، رقم ٣١٤٩٨.

روى سبط ابن الجوزي في قضيّة التحكيم:

فقال عمرو يعني لأبي موسى: قد أردتك أن تبايع معاوية فأبيت، فهلمّ بنا نخلع عليّاً ومعاوية، ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون من شاؤوا. وقيل: إنّ الذي ابتدأ بذلك أبوموسى، فقال عمرو: نعم ما رأيت، فأخبر النّاس إنّا قد اتفقنا على أمر فيه صلاح هذه الأُمّة. ثمّ قال: يا أباموسى، قم فتكلّم. فقال أبوموسى: قم أنت. فقال: أنت صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا يسعني الكلام قبلك. فقال عبدالله بن عبّاس: ويحك يا عبدالله بن قيس، والله إنّي لأظنّ ابن النابغة قد خدعك وكان أبوموسى رجلاً مغفّلاً فقال: إنّا قد اتفقنا، فقال: أيّها النّاس إنّا نظرنا في هذا الأمر، فلم نر أصلح للأُمّة من خلع عليّ ومعاوية، ونستقبل الأُمّة بهذا الأمر فيولّوا عليهم من أحبّوا، وإنّي قد خلعتهما، ثمّ تنحّى.[1]

وقال اليافعي في (مرآة الجنان) في وقائع سنة سبع وثلاثين:

روي أنّه اجتمع في رمضان أبوموسى الأشعري ومن معه من الوجوه وعمرو بن العاص ومن معه كذلك بدومة الجندل للتحكيم، فخلا عمرو بأبي موسى وخدعه وقال له: تكلّم قبلي، فأنت أفضل وأكبر سنّاً منّي، وأرى أن تخلع عليّاً ومعاوية، ويختار المسلمون لهم رجلاً يجتمعون عليه، فوافقه على هذا ولم يشعر بخدعه، فلمّا خرجا وتكلّم أبوموسى وحكم بخلعهما، قام عمرو بن العاص وقال: أمّا بعد; فإنّ أباموسى قد خلع عليّاً كما سمعتم، وقد وافقته على خلعه، وولّيت معاوية. وقيل: إنّهما اتفقا

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٩٧.

على أن يصعد أبوموسى على المنبر وينادي: يا معشر المسلمين، اشهدوا عليَّ أنّي قد خلعت عليّاً من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا، ففعل ذلك، وأخرج خاتمه من أصبعه ورمى به إليهم.[1]

وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتاب (الإمامة والسياسة):

ثمّ إنّ عمراً غدا على أبي موسى بالغد وجماعة الشهود فقال: يا أباموسى، ناشدتك الله تعالى من أحقّ بهذا الأمر، من وفى أو من غدر؟

قال أبوموسى: من وفى.

قال: ناشدتك بالله، ما تقول في عثمان؟

قال أبوموسى: قتل [عثمان] مظلوماً.

قال عمرو: فما الحكم فيمن قتله؟

قال أبوموسى: يقتل بكتاب الله.

قال: فمن يقتله؟

قال: أولياء عثمان.

قال: فإنّ الله يقول في كتابه العزيز: (**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانًا**).

قال: فهل تعلم أنّ معاوية من أولياء عثمان؟

قال: نعم.

قال عمرو للقوم: إشهدوا.

قال أبوموسى للقوم: اشهدوا على ما يقول عمرو.

ثمّ قال أبوموسى لعمرو: قم يا عمرو، فقل وصرّح بما أجمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه.

---

(١) مرآة الجنان ١ / ٨٦ ـ ٨٧.

فقال عمرو: سبحان الله! أقوم قبلك، وقد قدّمك الله قبلي في الإيمان والهجرة، وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله، ووافد رسول الله إليهم، وبك هداهم الله وعرّفهم شرائع دينه وسنّة نبيّه، وصاحب مغانم أبي بكر وعمر؟ ولكن أنت قم فقل، ثمّ أقوم فأقول.

فقام أبوموسى، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّ خير النّاس للنّاس خيرهم لنفسه، وإنّي لا أهلك ديني بصلاح غيري، إنّ هذه الفتنة قد أكلت العرب، وإنّي [قد] رأيت وعمرو أن نخلع عليّاً ومعاوية، ونجعلها لعبدالله بن عمر، فإنّه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً.[1]

وقال نور الدين علي بن محمّد الصبّاغ الفقيه المالكي:[2]

ولمّا راود عمرو بن العاص أباموسى على معاوية وعلى ابنه عبدالله فأبى أبوموسى منه، راود أبوموسى عمراً على تولية الخلافة لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فأبى عمرو منه، ثمّ قال له: هات رأياً غير هذا.

فقال أبوموسى: أرى أن نخلع هذين الرجلين يعني عليّاً ومعاوية ونجعل الأمر شورى، فيختار المسلمون من أحبّوه.

فقال عمرو: الرأي ما رأيت.

فأقبلا على النّاس بوجوههما، وهم مجتمعون ينظرون ما يتفقان عليه.

فقال عمرو: تكلّم يا أباموسى، وأخبرهم أنّ رأينا اتفق.

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧.

(٢) توجد ترجمته في الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع ٣ / ٢٨٣، رقم ٩٥٨.

فقال أبوموسى: أيّها النّاس، إنّ رأينا قد اتفق على أمر، نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأُمّة ويلمّ شعثها ويجمع كلمتها.

فقال عمرو: صدق أبوموسى وبرّ فيما قال، فتقدّم يا أباموسى فتكلّم.

فقام إليه عبدالله بن عبّاس وقال له: يا أباموسى، إن كنت وافقته على أمر فقدّمه يتكلّم به قبلك، فإنّي أخشى من خديعته لك، وإنّي لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في النّاس خالفك.

فقال أبوموسى: قد توافقنا وتراضينا، وما ثمّ مخالفة أبداً.

وكان أبوموسى رجلاً سليم القلب، فتقدّم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس! إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمّة، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمر قد اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، وتستقبل هذه الأُمّة هذا الأمر بأنفسها، فيولّوا عليهم من أحبّوا واختاروا، وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً لذلك.[1]

وفي (تاريخ الخميس):

ولمّا سئم الفريقان القتال تداعيا إلى الحكومة، فرضي عليّ وأهل الكوفة بأبي موسى الأشعري، ورضي معاوية وأهل الشام بعمرو بن العاص، فاجتمع الحكمان بدومة الجندل، واتفقا على أن يخلعاهما معاً، ويختارا للمسلمين خليفة رضوا به، وقد عيّن للخلافة الحكمان يومئذ عبدالله بن

---

(١) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة ١ / ٥١٤ ـ ٥١٦.

عمر بن الخطّاب، كذا في دول الإسلام، ثمّ اجتمعا بالنّاس، وحضر معاوية ولم يحضر عليّ، فبدأ أبوموسى وخلع عليّاً، ثمّ قام عمرو وقال: قد خلعت عليّاً كما خلعه، وأثبتُّ خلافة معاوية.[١]

تكلّم الإمام في أبي موسى بعد التحكيم

أمّا الإمام عليه السّلام، فلمّا بلغه ما صنعه أبوموسى خطب قائلاً:

الحمد لله وإنْ أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله. أمّا بعد، فإنّ المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة، وكنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري فأبيتم، ونحلتكم رأيي فما ألويتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرج اللّوى *** فلم تبيّنوا الرشد إلاّ ضحى الغد

أمّا بعد، فإنّ هذين الرجلين الذين قد اخترتموهما حكمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة ولا سنّة مضيئة، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشدا، استعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام.[٢]

وفي رواية عن الشعبي:

... وكلاهما لم يرشدا، فبرئا من الله ورسوله وصالح المؤمنين، فاستعدّوا للجهاد ... .[٣]

أقول:

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٢٧٧.

(٢) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة ١ / ٥١٩ ـ ٥٢٠.

(٣) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٩٩.

وكفى بهذا شرفاً وفخاراً لأهل السنّة!! حيث جعلوا هذا الملوم المذموم، الخائن الفاسق، النابذ لحكم القرآن، المحيي ما أماته والمميت ما أحياه، والتابع لهواه المردي والتارك لهداه المنجي، والحاكم بغير حجّة، والقاضي بغير سنّة، والبريء من الله ورسوله وصالح المؤمنين، والتابع لإغواء الشيطان الرجيم اللّعين، إماماً وملجأً وسنداً وكهفاً ومرجعاً ومعتمداً!!

وفي كلام له عليه السّلام مخاطباً الخوارج:

أيّها العصابة التي أخرجها عداوة المراء والحجاج، وصدّهم عن الحقّ اتّباع الهوى واللّجاج، إنّ أنفسكم الأمّارة بالسوء سوّلت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم إنّما فعلوه مكيدة، فأبيتم علَيَّ إباء المخالفين، وعندتم عليَّ عناد العاصين، حتّى صرفت رأيي إلى رأيكم، وإنّي معاشرهم ـ والله ـ صغار الهام سفهاء الأحلام، فأجمع رؤساؤكم وكبراؤكم أنْ اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّيانه، فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه، فبيّنوا لنا بم تستحلّون قتالنا والخروج عن جماعتنا، ثمّ تستعرضون الناس تضربون أعناقهم، إنّ هذا لهو الخسران المبين.[1]

وروى أبوالفرج ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) كتاب الإمام إلى الخوارج:

أمّا بعد، فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين، قد خالفا كتاب الله واتّبعا أهواءهما، ونحن على الأمر الأوّل.[2]

لعن النبي أباموسى الأشعري

وفي حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه:

---

(١) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة ١ / ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٢) تلبيس إبليس: ٨٤.

عن أبي يحيى حكيم قال: كنت جالساً مع عمّار، فجاء أبوموسى، فقال: مالي ولك! قال: ألست أخاك؟

قال: ما أدري، إلاّ أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يلعنك ليلة الجمل.

قال: إنّه قد استغفر لي.

قال عمّار: قد شهدت اللّعن ولم أشهد الإستغفار.[1]

أقول:

ومراده من «ليلة الجمل» هي ليلة «العقبة» حيث أراد أبوموسى وأبوبكر وعمر وجماعة معهم اغتيال رسول الله صلّى الله عليه وآله بتنفير ناقته، فعرفهم عمّار وحذيفة، فقال عمّار في أبي موسى هذه الكلمة، وقال حذيفة كلمته التي كره ابن عبدالبرّ ذكرها، وقد أوردناها هناك.

ترجمة ابن عساكر

وابن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) المتوفّى سنة ٥٧١ وصفه الذهبي

بـ «الإمام العلاّمة الحافظ الكبير المجوّد، محدّث الشام، ثقة الدين» ثمّ قال: «كان فهماً حافظاً متقناً ذكيّاً بصيراً بهذا الشأن، لا يلحق شأوه، ولا يشقّ غباره، ولا كان له نظير في زمانه» ثمّ أطال الكلام في ترجمته، وذكر كلمات الأعلام في مدحه وثقته.[1]

ثمّ إنّ هذا الحديث، وإنْ كذّبه ابن عدي وتبعه ابن الجوزي فأدرجه في (الموضوعات)، إلاّ أنّ السيوطي ردّ عليهما القول بوضعه، وأثبت وثاقة راويه، حيث قال في (اللآلي المصنوعة):

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٢ / ٩٣.

ابن عدي، ثنا أحمد بن الحسين الصوفي، ثنا محمّد بن علي بن خلف العطّار، ثنا حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن عمران بن ظبيان، عن حكيم أبي يحيى قال: كنت جالساً مع عمّار، فجاء أبوموسى، فقال له عمّار: إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يلعنك ليلة الجمل. قال: إنّه استغفر لي. قال عمّار: قد شهدت اللّعن ولم أشهد الإستغفار.

موضوع. قال ابن عدي: والبلاء من العطّار لا من حسين.

قلت: العطّار وثّقه الخطيب في تاريخه.[٢]

وقال ابن حجر في (لسان الميزان) بترجمة محمّد بن عليّ العطّار:

قال الخطيب: قال محمّد بن المنصور: كان ثقة مأموناً حسن النقل.[٣]

فثبت كفر أبي موسى الأشعري على لسان النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قنوت علي بالدعاء على أبي موسى في جماعة

هذا، وقد كان أميرالمؤمنين عليه السّلام يقنت في صلاته بالدعاء على جماعة فيهم أبوموسى الأشعري ... روى ذلك ابن أبي شيبة، كما في (كنز العمّال):

عن عبدالرحمن بن معقل قال: صلّيت مع علي صلاة الغداة، فقنت فقال في قنوته: اللهمّ عليك بمعاوية وأشياعه، وعمرو بن العاص وأشياعه،... وعبدالله بن قيس وأشياعه. ش.[٤]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٥٤ ـ ٥٧١، تذكرة الحفّاظ ٤ / ١٣٢٨ ـ ١٣٣٤، وتوجد ترجمته في سائر كتب التاريخ والرجال.

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٣٩١.

(٣) لسان الميزان ٥ / ٢٩٠، رقم ٩٨٨.

(٤) كنز العمّال ٨ / ٨٢، رقم ٢١٩٨٩.

تنبيه حول كتاب الإمامة والسياسة

قد يحاول بعض المكابرين التشكيك في نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قتيبة، بغية التخلّص من استدلال الإماميّة بأخبار هذا الكتاب واحتجاجهم بما روي فيه من الحقائق التاريخيّة، التي طالما حاول المؤرّخون والمحدّثون المتعصّبون من أهل السنّة كتمها وعدم نقلها.

فكان من اللاّزم علينا التأكيد على أنّ الكتاب المذكور هو تأليف ابن قتيبة المؤرخ المعروف والأديب الشهير ... .

ترجمة ابن قتيبة[1]

وهو: أبومحمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، النحوي اللّغوي المؤرّخ، صاحب التصانيف الكثيرة المتنوّعة، والمتوفّى سنة ٢٧٦ عند الأكثر.

قال ابن خلّكان: كان فاضلاً ثقةً.

وكذا قال اليافعي.

وقال الخطيب: كان ثقةً ديّناً فاضلاً.

وكذا قال ابن الأثير.

وقال الذهبي: صدوق، ووصفه في موضع آخر بـ «الإمام الورع».

وكذا قال ابن حجر.

---

(١) وفيات الأعيان ١ / ٢٧٩، مرآة الجنان ٢ / ١٣٨، سنة ٢٧٦، لسان الميزان ٣ / ٣٥٧ ـ ٣٥٩، سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٠٨، رقم ٩٣.

وهذا الكتاب لابن قتيبة المذكور قطعاً، فلقد نقل عنه غير واحد من أعلام أهل السنّة في مختلف القرون في كتبهم نصوصاً في موضوعات مختلفة هي موجودة في كتاب (الإمامة والسياسة):

١ـ يقول ابن العربي المالكي المتوفّى سنة ٥٤٣ في كتابه (العواصم من القواصم) الذي شحنه بغضاً وحقداً لأهل البيت عليهم السّلام وعناداً للحق وأهله:

ومن أشدّ شيء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال. فأمّا الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصّحابة رسماً في كتاب الإمامة والسياسة، إنْ صحّ جميع ما فيه.[١]

٢ـ ويقول أبوالحجّاج يوسف بن محمّد البلوي الأندلسي المالكي المتوفّى سنة ٦٠٤[٢] في كتابه (ألف باء):

ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: أنّه لمّا قدم على الحجاج سعيد بن جبير قال له: ما اسمك؟ قال: أنا سعيد بن جبير. فقال الحجاج: أنت شقي بن كسير. قال سعيد: أُمّي أعلم باسمي ... .[٣]

٣ـ ويقول تقي الدين الفاسي المكي المتوفّى سنة ٨٣٢، في ذكر الولاة على مكّة المكرّمة:

مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي. أمير مكّة. ذكر ولايته عليها ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، لأنّه قال: ذكروا أنّ مسلمة بن عبدالملك كان والياً على أهل مكّة، فبينا هو يخطب على المنبر، إذ أقبل خالد بن عبدالله القسري ... .[١]

---

(١) العواصم من القواصم: ٢٤٨.

(٢) توجد ترجمته في معجم المؤلّفين ١٣ / ٣٣٠ وذكر كتابه في كشف الظنون ١ / ١٥٠.

(٣) كتاب ألف باء: ٤٧٨.

٤ـ وكذا يقول عمر بن فهد المكي المتوفّى سنة ٨٨٥، في ذكر الولاة على مكّة كذلك، لأنّه لم يذكر ولاية مسلمة بن عبدالملك عليها غير ابن قتيبة في كتابه، كما هو ظاهر عبارة التقي الفاسي المتقدّمة، فقد اعتمد ابن فهد أيضاً على نقل ابن قتيبة في الإمامة والسياسة فقال:

وقال أبومحمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة: كان مسلمة بن عبدالملك بن مروان والياً على أهل مكّة ... .[٢]

٥ـ ويقول ابن حجر المكي صاحب (الصواعق) متضجّراً من نقل ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة ما شجر بين الصّحابة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ويعترض عليه تبعاً لابن العربي المالكي روايته لمثل هذه الأُمور:

مع تآليف صدرت من بعض المحدّثين كابن قتيبة، مع جلالته القاضية بأنّه كان ينبغي له أن لا يذكر تلك الظواهر، فإنْ أبى إلاّ أن يذكرها، فليبيّن جريانها على قواعد أهل السنّة ... .[٣]

هذا، وقد نقل عن كتاب (الإمامة والسياسة) مع نسبته إلى ابن قتيبة، جماعة آخرون من أعلام القوم:

كابن خلدون في: تاريخه المعروف ... ٢ / ١٦٦.

وأبي عبدالله محمّد بن علي التوزري المصري في كتابه: صلة السمط وسمة المرط في الأدب والتاريخ،[١] في الفصل الثاني من الباب ٣٤.

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٦ / ٧٢.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى حوادث سنة ٩٣.

(٣) تطهير الجنان واللسان: ٧٢.

وشاه سلامة الله البدايوني ـ أحد علماء الهند ـ في كتابه: معركة الآراء: ١٢٦.

وذكر حيدر علي الفيض آبادي في كتابه: منتهى الكلام في الردّ على الشيعة: أنّهم ـ أي الشيعة ـ يعتمدون على كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة إعتمادهم على القرآن الكريم ... !!

فنقول: والعياذ بالله من هذا الكلام ... فالإماميّة إنّما تستند إلى هذا الكتاب لكونه من مؤلّفات أحد أعلام أهل السنّة المنحرفين عن أهل البيت عليهم السّلام، ومن باب الإلزام والإحتجاج، ولا تقول الشيعة بصحّة كلّ ما فيه من الأخبار، بل شأنه شأن سائر الكتب، فيه الحق والباطل، فكيف يقاس بالقرآن الكريم الذي (**لا يَأْتيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**).[1]

هذا، وقد نسب كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قتيبة، جلّ المؤلّفين المعاصرين أمثال:

فريد وجدي في: دائرة المعارف.

وعمر رضا كحّالة في: معجم المؤلفين.

وإلياس سركيس في: معجم المطبوعات العربيّة.

وجرجي زيدان في: تاريخ آداب اللغة العربيّة.

وهاهو كتاب (الإمامة والسياسة) مطبوع ـ بتحقيق غير واحد من المحقّقين ـ طبعات عديدة في بلاد مختلفة، قال جرجي زيدان: ومنه نسخ خطيّة في مكتبات باريس ولندن.

أقول:

ومنه نسخة نفيسة جدّاً ترجع إلى القرن الثالث أو الرابع في مكتبة المجلس بطهران، وعليها ختم بعض الحفّاظ.

---

(١) أُنظر: معجم المؤلفين ١١ / ٥٧.

عبدالله بن الزبير

وأمّا عبدالله بن الزبير بن العوّام...

فقوادحه تفوق الحصر والعدّ، ونحن نتعرّض لبعضها مع الإختصار ...

أوّل شهادة زور في الإسلام

إنّ أوّل ما نذكره من مطاعن الرجل وقبائحه: كذبه وإقامته شهادة زور في قضيّة كلاب الحوأب، وذلك أنّه لمّا وصلت عائشة ـ في مسيرها إلى البصرة تقود الجيوش من أجل قتال علي عليه السّلام ـ إلى منطقة الحوأب ونبحتها كلابها، تذكّرت قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأرادت الرجوع إلى الحجاز، فرأى ابن الزّبير أنّها إنْ رجعت انكسر جيشهم وخسروا المعركة، فجاء وحلف بأنّ هذا المكان يس الحوأب، وأقام شهوداً على ذلك أيضاً، فكانت أوّل شهادة زور في الإسلام، وقد قال رسول الله: من سنّ سنّةً سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ... وهكذا انخدعت عائشة وواصلت سيرها، ووقعت الحرب وأُريقت الدماء وهتكت الأعراض ... كما هو مثبت في كتب التاريخ ...

ونحن نكتفي هنا بإيراد بعض الأخبار في كذب ابن الزبير وشهادته الكاذبة:

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٤٢.

قال السّمعاني:[1]

وورد في حديث عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لنساءه: ليت شعري أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب، وقيل: الأحمر، تنبحها كلاب الحوأب.

وروى إسماعيل بن أبي خالد كذلك، عن قيس بن أبي حازم عن عائشة: أنّها مرّت بماء، فنبحتها كلاب الحوأب، فسألت عن الماء، فقالوا: هذا ماء الحوأب، والقصّة في ذلك:

أنّ طلحة والزبير بعد قتل عثمان وبيعة علي، خرجا إلى مكّة، وكانت عائشة حاجّة تلك السنة، بسبب اجتماع أهل الفساد والعيث من البلاد بالمدينة لقتل عثمان، خرجت عائشة هاربة من الفتنة، فلمّا لحقها طلحة والزبير حملاها إلى البصرة في طلب دم عثمان من علي رضي الله عنه، وكان ابن الزبير عبدالله ابن أُختها أسماء ذات النطاقين، فلمّا وصلت عائشة رضي الله عنها معهم إلى هذا الماء نبحت الكلاب عليها، فسألت عن الماء واسمه، فقيل لها: الحوأب، فتذكّرت قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: أيّتكنّ ينبح عليها كلاب الحوأب، فتوقّفت وعزمت على الرجوع، فدخل عليها ابن أُختها ابن الزبير وقال: ليس هذا ماء الحوأب، حتّى قيل أنّه حلف على ذلك وكفّر عن يمينه. والله أعلم، ويمّمت عائشة إلى البصرة وكانت وقعة الجمل المعروفة.[2]

وقال قاضي القضاة محبّ الدين أبوالوليد محمّد بن محمّد بن الشحنة الحنفي الحلبي:[3]

---

(١) قال الذهبي: «الإمام الحافظ الكبير الأوحد الثقة، محدّث خراسان، أبوسعد عبدالكريم ... السمعاني ...» وأرخ وفاته بسنة ٥٦٢. سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٥٦، رقم ٢٩٢.

(٢) الأنساب ٢ / ٢٨٦.

(٣) توجد ترجمته في: الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع ١٠ / ٣ وشذرات الذهب ٧ / ١١٣ ـ ١١٤.

في سنة ست وثلاثين: أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى البلاد عمّاله، فبعث عمارة بن شهاب إلى الكوفة، وكان من المهاجرين، وولّى عثمان بن حنيف الأنصاري البصرة، وعبيدالله بن عبّاس اليمن، وقيس بن سعد الأنصاري مصر، وسهل ابن حنيف الأنصاري الشام، فرجع من الطريق لمّا سمع بعصيان معاوية، وكذلك عمارة لقيه طلحة بن خويلد الذي كان ادّعى النبوّة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقال له: إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأبي موسى الأشعري، فرجع، ولمّا وصل عبيدالله إلى اليمن خرج الذي كان بها من قبل عثمان ـ وهو يعلى بن منبّه ـ بما بها من الأموال إلى مكّة، وصار مع عائشة وطلحة والزبير، وجمعوا جمعاً عظيماً وقصدوا البصرة، ولم يوافقهم عبدالله بن عمر، وأعطى يعلى بن منبّه لعائشة رضي الله عنها جملاً كان اشتراه بمائة دينار اسمه عسكر، وقيل بثمانين، وركبته، ومرّوا بمكان اسمه الحوأب، فنبحتهم كلابه.

فقالت عائشة: أيّ ماء هذا؟

فقيل لها: هذا ماء الحوأب، فصرخت وقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول ـ وعنده نساؤه ـ : ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب، ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردّوني، فأقاموا يوماً وليلة.

فقال لها عبدالله بن الزبير: إنّه كذب، ليس هذا ماء الحوأب.

ولم يزل بها وهي تمتنع، فقال: النجا النجا، فقد أدرككم علي.

فارتحلوا فوصلوا البصرة.[1]

وقال ابن قتيبة في كتاب (الإمامة والسياسة):

فلمّا انتهوا إلى ماء الحوأب في بعض الطريق ومعهم عائشة، نبحها كلاب الحوأب، فقالت لمحمّد بن طلحة: أيّ ماء هذا؟ قال: هذا ماء الحوأب. فقالت: ما أراني إلاّ راجعة. قال: ولِمَ؟ قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لنسائه: كأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب، وإيّاك أن تكوني هي أنت يا حميراء، فقال لها محمّد بن طلحة: تقدّمي ـ رحمك الله ـ ودعي هذا القول.

وأتى عبدالله بن الزبير، فحلف لها بالله لقد خلّفته أوّل الليل، وأتاها ببيّنة زور من الأعراب، فشهدوا بذلك.[٢]

قبائح ابن الزبير في هذه القصّة

وقد ارتكب ابن الزبير في هذه القصّة قبائح عديدة، تكفي الواحدة منها للعنه والطعن فيه، فكيف إذا اجتمع الجميع في الواقع واتّسع الفتق على الراقع؟

١ ـ إنّه ارتكب الكذب، إذ قال لعائشة: إنّ هذا المكان ليس «الحوأب».

٢ ـ وقد حلف على ذلك كاذباً.

٣ ـ وأقام شهود الزور على كذبه.

٤ ـ وجعل يقول: النجاء النجاء، فقد أدرككم علي.

٥ ـ وكان السبب في تلك المفسدة الكبيرة التي قاموا بها وأراقوا الدماء فيها.

هذا، وقد جاء في بعض الأخبار مشاركة طلحة والزبير في إقامة تلك الشهادة الكاذبة والآثمة:

قال سبط ابن الجوزي: قال ابن جرير في تاريخه:

---

(١) روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر، حوادث سنة ٣٦.

(٢) الإمامة والسياسة: ٨٢.

... فمرَّت على ماء يقال له الحوأب، فنبحتها كلابه، فقالت: ما هذا المكان؟ فقال لها سائق الجمل العرني: هذا الحوأب، فاسترجعت وصرخت بأعلى صوتها، ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثمّ قالت: أنا ـ والله ـ صاحبة كلاب الحوأب، ردّوني إلى حرم الله ورسوله ـ قالتها ثلاثاً ـ

قال ابن سعد ـ فيما حكاه عن هشام بن محمّد الكلبي ـ استرجعت وذكرت قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كيف بك إذا نبحتك كلاب الحوأب؟

فقال لها طلحة والزبير: ما هذا الحوأب، وقد غلط العرني. ثمّ أحضروا خمسين رجلاً فشهدوا معهما على ذلك وحلفوا.

قال الشعبي: فهي أوّل شهادة زور أُقيمت في الإسلام.(١)

خروجه لقتال الإمام

ولا خلاف في أنّ عبدالله بن الزبير من الخارجين على الإمام، والمبادرين لمحاربة أميرالمؤمنين عليه السّلام، وهذا من أعظم معاصيه وأقبح مخازيه، وقد أفادت الأحاديث النبويّة الثابتة بأنّ قتال الإمام عليه السّلام كفر، لأنّ قتال المسلم أشنع وأقبح من سبابه، وإذا كان سبّ أميرالمؤمنين كفراً، فمحاربته وقتاله كفر، بالأولويّة القطعيّة.

أمّا الدليل على أنّ المحاربة والقتال أشدّ من السبّ، فقد أخرج البخاري في كتاب الإيمان بإسناده عن عبدالله:

إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.(٢)

وفي كتاب الفتن بإسناده:

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٦٨. وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٥.

(٢) صحيح البخاري ١ / ١٧ ـ ١٨، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عملُهُ ... .

قال عبدالله: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.[1]

وفي كتاب الأدب، بإسناده عن عبدالله قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.[2]

وقال المنذري في (الترغيب والترهيب):

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.

رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.[3]

فقال ابن حجر في شرحه:

لمّا كان القتال أشدّ من السباب، لأنّه مفض إلى إزهاق الروح، عبّر عنه بلفظ أشدّ من لفظ الفسق، وهو الكفر.[4]

وأمّا الدليل على أنّ سبّ علي عليه السّلام كفر، فالأحاديث الصحيحة الثابتة:

أخرج الحاكم:

أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدّثنا محمّد بن سعد العوفي، حدّثنا يحيى بن أبي بكر، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبدالله الجدلي قال: دخلت على أُم سلمة رضي الله عنها فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيكم؟ فقلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها.

---

(١) المصدر ٨ / ٩١، كتاب الفتن، باب قول النبي صلّى الله عليه وآله: لا ترجعوا بعدي كفّاراً ... .

(٢) المصدر ٧ / ٨٤، كتاب الأدب، باب ما يُنهى من السّباب واللعن.

(٣) الترغيب والترهيب ٣ / ٣١١، رقم ٤٢٠٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ١٠٣.

فقالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقد رواه بكير بن عثمان البجلي، عن أبي إسحاق بزيادة ألفاظ: حدّثنا أبوجعفر أحمد بن عبيد الحافظ بهمدان، حدّثنا أحمد بن موسى بن إسحاق التميمي، حدّثنا جندل بن والق، حدّثنا بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت أباإسحاق التميمي يقول: سمعت أباعبدالله الجدلي يقول: حججت ـ وأنا غلام ـ فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد فأتبعتهم، فدخلوا على أُم سلمة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم، فسمعتها تقول: يا شبث بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبّيك يا أُمّاه. قالت: يسبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ناديكم؟! قال: وأنّى ذلك. قالت: فعليّ بن أبي طالب. قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى.[1]

وأخرج الحاكم:

أخبرني محمّد بن أحمد بن تميم القنطري، حدّثنا أبوقلابة الرقاشي، حدّثنا أبوعاصم، عن عبدالله بن مؤمّل، حدّثني أبوبكر بن عبيدالله بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام، فسبّ عليّاً عند ابن عبّاس، فحصبه ابن عبّاس فقال: يا عدوّ الله، آذيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إِنَّ الَّذينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذابًا مُهينًا**) لو كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيّاً لآذيته. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.[2]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢١، كتاب معرفة الصّحابة.

(٢) المصدر ٣ / ١٢١ ـ ١٢٢، كتاب معرفة الصّحابة.

وما ذكره بعض المتكلّمين المتعصّبين في الدفاع عن أصحاب الجمل الناكثين، من أنّهم ما كانوا يقصدون المحاربة، ووقوع الحرب كان بلا إرادة من الطرفين، فإنكار للبداهة، وتخديع للعوام، ويكفينا في هذا المقام كلام ابن عبّاس في جواب ابن الزبير، وإفحامه له، وذلك ما رواه ابن عبدربّه في كتابه (العقد) حيث قال:

قال ابن الزبير لعبدالله بن عبّاس: قاتلت أُم المؤمنين وحواريَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأفتيت بتزويج المتعة.

فقال: أمّا أُم المؤمنين، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك، وبنا سمّيت أُمّ المؤمنين، فكنّا لها خير بنين، فتجاوز الله عنها. وقاتلت أنت وأبوك عليّاً، فإن كان عليّ مؤمناً، فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين، وإنْ كان علي كافراً فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف. وأمّا المتعة فإنّي سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رخّص فيها، فأفتيت بها، ثمّ عمر نهى عنها. وأوّل مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير.[1]

ترجمة ابن عبد ربّه

وقد ترجم كبار العلماء لابن عبدربّه الأندلسي، وأثنوا عليه الثناء الجميل:

قال ابن ماكولا:

أحمد بن محمّد بن عبد ربّه ... أندلسي مشهور بالعلم والأدب والشعر، وهو صاحب كتاب العقد في الأخبار، وشعره كثير جدّاً، وهو مجيد.[2]

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) إكمال الكمال ٦ / ٣٦.

وقال اليافعي:

كان رأس العلماء المكثرين [من المحفوظات] والإطّلاع على أخبار النّاس.[1]

وقال ابن خلّكان:

كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والإطّلاع على أخبار الناس، وصنّف كتابه العقد، وهو من الكتب الممتعة، حوى من كلّ شيء.[2]

وقال السيوطي:

قال ابن الفرضي: عالم الأندلس بالأخبار والأشعار وأديبها وشاعرها، كتب الناس تصنيفه وشعره، سمع من بقي بن مخلّد وابن وضّاح والخشني. مات يوم الأحد لثنتي عشرة بقيت من جمادى الأُولى، سنة ٣٢٨ وهو ابن ٨١ سنة وثمانية أشهر.[3]

وقال الذهبي:

الأديب الأخباري العلاّمة، مصنّف العقد ... .[4]

بل إنّ فساد التأويل المذكور يتّضح من كلام ابن الزبير أيضاً، إذ لو كان وقوع الحرب غير مقصود من الطرفين، لَما سأل ابن عبّاس عن السبب لحربه عائشة وأشياعها ...

على أنّ هذا السؤال من أحسن الشواهد على أنْ لاحياء لابن الزبير، إذْ يسأل ابن عبّاس عن الدليل على كونه مع أميرالمؤمنين الذي يدور معه الحقّ حيثما دار!!

---

(١) مرآة الجنان ٢ / ٢٢٢، حوادث سنة ٣٢٨.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ١١٠، رقم ٤٦.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ١ / ٣٧١، رقم ٧٢٧.

(٤) العبر في خبر من غبر ٢ / ٢١٧ ـ ٢١٨.

كان عمر يرى الزبير وأصحابه مفسدين

ومن كلام لعمر بن الخطّاب مع الزبير أيضاً يتّضح منه أنّ أهل الجمل إنّما خرجوا للإفساد، وأنّه لا يوجد أيّ محمل صحيح لخروجهم إلى البصرة ضدّ أميرالمؤمنين عليه السّلام:

أخرج الحاكم في (المستدرك):

حدّثنا أبوعلي الحافظ، حدّثنا الهيثم بن خلف الدوري، حدّثنا إسماعيل بن موسى السدّي، حدّثنا عبدالسّلام بن حرب، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: جاء الزبير إلى عمر بن الخطّاب يستأذنه في الغزو، فقال عمر: إجلس في بيتك، فقد غزوت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال: فردّد ذلك عليه، فقال له عمر في الثالثة ـ أو التي تليها ـ أُقعد في بيتك، فوالله إنّي لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.[1]

كلامٌ لابن طلحة الشافعي

وهكذا يبطل الإعتذار لأهل الجمل بوجه من الوجوه، بما ذكره الفقيه محمّد بن طلحة الشّافعي، في هذا المقام، وهذا نصّ كلامه بطوله ضمن بيان وقائع شجاعة أميرالمؤمنين عليه السّلام:

فمنها: وقعة الجمل، فإنّ المجتمعين لها رفضوا عليّاً عليه السّلام ونقضوا بيعته ونكثوا عهده وغدروا به، وخرجوا عليه، وجمعوا النّاس لقتاله، مستخفّين بعقد بيعته التي لزمهم فرض حكمها، مسفّين إلى إثارة فتنة عامّة باؤوا بإثمها، لم ير إلاّ مقاتلتهم على إسراع نكثهم لبيعته، ومقابلتهم على الإقلاع عن مكثهم على الوفاء لله تعالى بطاعته.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١٩ ـ ١٢٠، كتاب معرفة الصّحابة.

وكان من الدّاخلين في البيعة أوّلاً، الملتزمين بها، ثمّ من المحرّضين ثانياً على نكثها ونقضها، طلحة والزبير، فأخرجا عائشة وجمعها ممّن استجاب لهما، وخرجوا إلى البصرة، ونصبوا لعليّ حبائل الغوائل وألّبوا عليه مطيعيهم، من الرامح والنابل، مظهرين المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، مع علمهما في الباطن أنّ عليّاً ليس بالقاتل، فلمّا رحل من المدينة طالباً إلى البصرة وقرب منها، كتب إلى طلحة والزبير يقول:

أمّا بعد; فقد علمتما أنّي لم أرد النّاس حتّى أرادوني، ولم أُبايعهم حتّى أكرهوني، وأنتما ممّن أرادوا بيعتي وبايعوا، ولم تبايعا لسلطان غالب ولا لغرض حاضر، فإن كنتما بايعتما طائعين، فتوبا إلى الله عزّ وجلّ عمّا أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية. وأنت ـ يا زبير ـ فارس قريش، وأنت ـ يا طلحة ـ شيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به. وأمّا قولكما إنّني قتلت عثمان ابن عفّان، فبيني وبينكما من تخلف عنّي وعنكما من أهل المدينة، ثمّ يلزم كلّ امرئ بقدر ما احتمل، وهؤلاء بنو عثمان ـ إن قُتل مظلوماً كما تقولان ـ أولياؤه، وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي، وأخرجتما أُمّكما من بيتها الذي أمرها الله عزّ وجلّ أن تقرّ فيه، والله حسبكما، والسّلام.

وكتب إلى عائشة:

أمّا بعد، فإنّك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثمّ تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين الناس، فخبّريني ما للنساء وقود العساكر؟ وزعمت أنّك طالبة بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أُميّة، وأنت امرأة من بني تيم بن مرّة،

ولعمري، إنّ الذي عرّضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان، وما غضبت حتّى أغضبت، ولا هجت حتّى هيّجت، فاتقي الله يا عائشة، وارجعي إلى منزلك، واسبلي عليك سترك، والسّلام.

فجاء الجواب إليه:

يا ابن أبي طالب، جلّ الأمر عن العتاب، ولن ندخل في طاعتك، فاقض ما أنت قاض، والسّلام.

ثمّ تراءى الجمعان، وقرب كلّ من الآخر، ورأى علي عليه السّلام تصميم عزم أولئك على قتاله، فجمع أصحابه ولم يترك منهم أحداً، وخطبهم خطبة بليغة منها:

واعلموا أيّها النّاس، أنّي قد تأنّيت هؤلاء القوم وراقبتهم وناشدتهم، كيما يرجعوا ويرتدعوا، فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إليّ أن أثبت للجلاد وأبرز للطعان، وقد كنت وما أُهدّد بالحرب ولا أدعى إليها، وقد أنصف القارّة من راماها، ولعمري، لئن أبرقوا وأرعدوا ورأوا نكايتي، فأنا أبوالحسن الذي فللت حدّهم وفرّقت جماعتهم، فبذلك القلب ألقى عدوّي وأنا على بيّنة من ربّي لما وعدني من النصر والظفر، وإنّي لعلى غير شبهة من أمري، ألا، وإنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يقتل يمت، وإنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون علَيّ من ميتة على الفراش.

ثمّ رفع يده إلى السّماء وهو يقول:

اللهمّ، إنّ طلحة بن عبيدالله أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثمّ نكث بيعتي، اللهمّ فعاجله ولا تمهله، اللهمّ وإنّ الزبير بن العوام قطع قرابتي، ونكث عهدي، وظاهر عدوّي، ونصب الحرب لي وهو يعلم أنّه ظالم، اللهمّ فاكفنيه كيف شئت وأنّى شئت.

ثمّ تقارب النّاس للقتال، وتعبّؤوا متسلّحين لابسين دروعهم، متأهّبين لذلك، هذا كلّه، وعليٌّ بين الصفّين عليه قميص ورداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على بغلة رسول الله الشهباء، فلمّا رأى أنّه لم يبق إلاّ التصافح بالصّفاح والتناطح بالرماح، صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام، فليخرج إليّ؟

فقال النّاس: يا أميرالمؤمنين! أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر، وهو مدجّج في الحديد؟!

فقال عليٌّ: ليس علَيّ منه بأس.

ثمّ نادى الثانية: أين الزبير بن العوّام، فليخرج إليّ.

فخرج إليه الزبير [وقال: يا علي، أنا آمن من سيفك؟

فقال عليٌّ: أنت آمن].

فدنا منه حتّى واقفه، فقال له عليٌّ: يا أباعبدالله! ما حملك على ما صنعت؟

فقال الزبير: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان.

فقال له علي: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك.

ولكن أُنشدك الله الذي لا إله إلاّ هو، الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، أما تذكر يوم قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا زبير أتحبُّ عليّاً؟ قلت: وما يمنعني من حبّه وهو ابن خالي. فقال لك: أمّا أنت فستخرج عليه يوماً وأنت ظالم له؟

فقال الزبير: اللهمّ بلى قد كان ذلك.

فقال عليٌّ: فأُنشدك بالله الذي أنزل الفرقان على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، أما تذكر يوم جاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلّمت عليه، فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً، فقال لك النبي صلّى الله عليه وسلّم: مهلاً يا زبير، فليس به زهو، ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له.

فقال الزبير: اللهمّ بلى، ولكن أنسيت، فأمّا إذ ذكّرتني ذلك لأنصرفنّ عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثمّ رجع الزبير إلى عائشة فقالت: ما ورائك يا أباعبدالله؟

فقال الزبير: [والله] ورائي أنّني ما وقفت موقفاً قطّ، ولا شهدت مشهداً في شرك ولا إسلام إلاّ ولي فيه بصيرة، وإنّي اليوم لعلى شكّ من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي.

ثمّ شقّ الصفوف وخرج من بينهم، فنزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو ابن جرموز المجاشعي وضيّفه، فلمّا نام قام إليه، فقتله، فنفذت دعوة علي فيه في عاجلته.

وأمّا طلحة، فجاءه سهم ـ وهو قائم للقتال ـ من مروان، فقتله.

ثمّ التحم القتال، واتّصلت الحرب وكثر القتل والجرح. ثمّ تقدّم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبدالله، فجعل يجول بين الصفوف وهو يقول: أين أبوالحسن؟ ويرتجز، فخرج إليه عليٌّ عليه السّلام، وشدّ عليه بالسيف وضربه ضربة أسقط بها عاتقه، فسقط قتيلاً، فوقف عليه عليٌّ وقال: قد رأيت

أباالحسن فكيف وجدته؟ ثمّ لم يزل القتل يؤجّج ناره والجمل يفنى أنصاره، حتّى خرج رجل مدجّج في السّلاح، يظهر بأساً ويروم مراساً، ويعرّض بعليٍّ عليه السّلام حتّى قال:

أضربكم ولو أرى عليّاً *** عمّمته أبيض مشرفيّا

فخرج إليه عليٌّ عليه السّلام متنكّراً وحمل عليه، فضربه ضربة على وجهه، فرمى بنصف قحف رأسه، ثمّ انصرف.

فسمع صائحاً من ورائه، فالتفت فرأى ابن خلف الخزاعي من أصحاب الجمل، فقال: هل لك يا علي في المبارزة؟ فقال علي: ما أكره ذلك، ولكن ويحك يا ابن خلف، ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال له ابن خلف: ذرني يا ابن أبي طالب من مدحك نفسك، وادن منّي لترى أيّنا يقتل صاحبه، فثنى عليٌّ عنان فرسه إليه، فبدره ابن خلف بضربة فأخذها عليٌّ في جحظته، ثمّ عطف عليه بضربة أطار بها يمينه، ثمّ ثنّى بأُخرى أطار بها قحف رأسه.

ثمّ استعرت الحرب حتّى عقر الجمل فسقط، وقد احمرّت البيداء بالدماء وخذل الجمل وحزبه، وقامت النوادب بالبصرة على القتلى، وكان عدّة من قُتل من جند الجمل ستّة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً، وكان جملتهم ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقُتِل من أصحاب عليٍّ ألف رجل وسبعون رجلاً، وكان عدّتهم عشرين ألفاً.

وفي مقابلة عليٍّ عليه السّلام ثلاثين ألفاً بعشرين ومقاتلتهم حتّى يقتل منهم أكثر من نصفهم ولم يقتل من أصحابه غير عشرهم، حجّة واضحة تشهد بشجاعته وتسجل بشهامته.

وإذا تأمّل الناظر البصير ونظر المتأمّل الخبير فيما صدر من عليٍّ من أقواله وأفعاله، علم علماً لا يرتاب فيه: أنّه عليه السّلام يخوض لجج الحروب، وينغمس في غمرات الموت، ويصادم ظباء الصوارم، ويغمد مصلت سيفه في لباب الكماة ونحور الأبطال، ولا يحمل لذلك عباً ولا يبالي به.

ولمّا انقضت وقعة الجمل، وندمت عائشة على ما كان، ورحلت إلى المدينة وسكنت النائرة، ورحل عليّ إلى الكوفة، قام إليه أبوبردة بن عوف الأزدي فقال: يا أميرالمؤمنين أرأيت القتلى الذين قتلوا حول الجمل، بماذا قتلوا؟

فقال علي عليه السّلام: قتلوا بما قتلوا من شيعتي وعمّالي بلا ذنب كان منهم إليهم، ثمّ صرت إليهم وأمرتهم أن يدفعوا إليّ قتلة أصحابي، فأبوا علَيّ وقاتلوني، وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من أصحابي من المسلمين، أفي شكّ أنت من ذلك يا أخا الأزد؟

فقال: الآن استبان لي خطاؤهم وأنّك أنت المحقّ المصيب.[1]

أقول:

والنقاط المستفادة من هذا الكلام:

١ ـ قوله: «فإنّ المجتمعين» ظاهر الدلالة في أنّ أصحاب الجمل قد رفضوا اتّباع الإمام عليه السّلام ونكثوا العهد ونقضوا البيعة معه وغدروه.

٢ ـ كتابه عليه السّلام، إلى طلحة والزبير، فيه دلالة على أنّ طاعته كانت واجبةً في أعناق القوم.

٣ ـ إنّهما كانا يتّهمان عليّاً عليه السّلام بقتل عثمان ... وهذا كذب عليه.

---

(١) مطالب السئول في مناقب آل الرسول: ٢١١ ـ ٢١٧.

٤ ـ قول الإمام: «وهؤلاء بنوا عثمان ...» يفيد أوّلاً: أنّ الإمام كان لا يرى عثمان مظلوماً، وأن طلحة والزبير وأمثالهما ليس لهم أن يطلبوا بدم عثمان ثانياً.

٥ ـ إنّه قد أنّب الرجلين على إخراجهما عائشة من بيتها، لأنّه مناف لما أمر به الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٦ ـ وقد دعا عليهما بقوله: «الله حسبكما» وحسبهما دعاء الإمام عليهما.

٧ ـ وكذا في كتابه إلى عائشة، فقد دلّ على أنّ خروجها من بيتها كان معصيةً لله ورسوله، وأنّه لا مجوّز له أصلاً، ولا وجه لطلبها بدم عثمان أبداً.

٨ ـ وقد ذكر أنّ ذنب المخرجين لها من بيتها أكبر من ذنب قتل عثمان، وإذا كان قتلة عثمان كفرة ـ كما في (التحفة الإثنا عشريّة) وغيرها ـ فالمخرجون لها كفّار بالأولويّة.

٩ ـ وأشار بقوله: «وما غضبت حتّى أغضبت ...» إلى أنّها قد أغضبت بفعلها رسول الله، ومن أغضب رسول الله فقد أغضب الله، كما في الحديث الشريف عنه صلّى الله عليه وآله عند الفريقين.

١٠ ـ وقوله: «فاتّقي الله يا عائشة» ظاهر في ارتكابها أمراً محرّماً ومعصية واضحة.

١١ ـ وقوله لها: «وارجعي إلى منزلك ...» دليل صريحٌ على أنّها هاتكة لسترها.

١٢ ـ وما كتبته إلى الإمام عليه السّلام خروجٌ عن حكم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بوجوب إطاعة أميرالمؤمنين والكون معه، بالأحاديث الصحيحة الثابتة المتّفق عليها، من حديث الثقلين وغيره ... فتكون بمخالفتها لذلك من الضالّين الهالكين ... .

١٣ ـ وصريح كلام ابن طلحة أنّ أهل الجمل جاءوا مصمّمين على قتال الإمام ومحاربته، فبطل ما تفوّه به صاحب (التحفة) وغيره من أنّه لم يقصد الطرفان تسعير نار هذه الحرب.

١٤ ـ والإمام عليه السّلام خطب القوم ووعظهم، لعلّهم يرجعون عن ضلالتهم ويقلعون من كفرهم وعنادهم ... لكنّهم تمادوا في غيّهم، وأصرّوا على باطلهم، فدعا الإمام عليه السّلام على طلحة والزبير، وكان دعاؤه عند الله مستجاباً، فأعقبهما في الدنيا خسراناً وفي الآخرة عذاباً.

١٥ ـ وقد تبيّن ممّا دار بين الإمام والزبير بن العوام، أنّ الزّبير كان يتعلّل بالطلب بدم عثمان، ويتذرّع بذلك كاذباً، إذ ذكّره عليه السّلام بكلام رسول الله، ولم يجد مناصاً من الإذعان والرجوع ...

وبعد هذا التنبّه يأتي هذا السؤال: هل أعلم الزبير عائشة وسائر أهل الجمل بما نبّهه الإمام عليه السّلام به أو لا؟ فإن كان قد أعلمهم بذلك فلم ينفعهم النصح، كان ذلك دليلاً آخر على كفرهم، لمحاربتهم الإمام مع العلم بكونهم ظالمين له، وإنْ لم يكن أعلمهم بالحق الذي ذكّره الإمام به، كان من الكاتمين للحقّ المُخفين له.

عبدالله بن الزبير يحاول إقناع أبيه

ولكن عبدالله بن الزبير حاول إقناع أبيه بالبقاء في المعركة واستمرار المحاربة والمشاركة في البغي والعدوان، قال سبط ابن الجوزي:

ثمّ التقوا منتصف جمادى الأُولى من هذه السنة ـ يعني سنة ست وثلاثين ـ فلمّا تراءى الجمعان، خرج الزبير على فرس وعليه سلاحه، وخرج طلحة، فخرج إليهما عليّ ودنا منهما وعليه قبا طاق، حتّى اختلفت أعنّة خيلهم، فقال لهما علي: لعمري، لقد أعددتما خيلاً وسلاحاً، فهل أعددتما عند الله عذراً؟ فاتّقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرّم دمكما؟

فقال طلحة: ألّبت الناس على عثمان.

فقال: لعن الله من ألّب النّاس على عثمان، وأين أنت يا طلحة ودم عثمان؟

وأنت يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بني غنم، فنظر إليّ فضحك صلّى الله عليه وسلّم وضحكت إليه صلّى الله عليه وسلّم، فقلتَ: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّه ليس بمزهو، ولتقاتلنّه وأنت ظالم له.

وفي رواية: أتذكر يوم لقيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بني بياضة وهو راكب على حمار، وذكّره.

فقال الزبير: اللهمّ نعم، ولو ذكرت هذا ما خرجت من المدينة، ووالله لا أُقاتلك أبداً.

وفي رواية: فقال الزبير: فما الذي أصنع وقد التقتا حلقتا البطان، ورجوعي علَيّ عار؟

فقال له عليٌّ: إرجع بالعار ولا تجمع بين العار والنّار.

فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نار مؤجّجة *** أنّى يقوم لها خلق من الطّين

نادى عليٌّ بأمر لست أجهله *** عار لعمرك في الدّنيا وفي الدّين

فقلت حسبك من لوم أباحسن *** فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

وهذا من جملة أبيات الزبير قالها لمّا خرج من العسكر، وأوّلها:

ترك الأُمور التي يخشى عواقبها *** لله أجمل في الدنيا وفي الدين

أخال طلحة وسط القوم منجدلاً *** ركن الضعيف ومأوى كلّ مسكين

قد كنت أنصره حيناً وينصرني *** في النائبات ويرمي من يراميني

حتّى ابتليت بأمر ضاق مصدره *** فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

ثمّ انصرف طلحة والزبير، فقال عليٌّ لأصحابه: أمّا الزبير، فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم، ثمّ عاد الزبير إلى عائشة وقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت عقلي إلاّ وأنا أعرف أمري، إلاّ هذا.

قالت له: فما تريد أن تصنع؟

قال: أذهب وأدعهم.

فقال له عبدالله ولده: جمعت هذين الفريقين، حتّى إذا جدّ بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب، أحسست برايات ابن أبي طالب فرأيت الموت الأحمر منها أو من تحتها، تحملها فتية أنجاد سيوفهم حداد.

فغضب الزبير وقال: ويحك قد حلفت أن لا أُقاتله.

فقال: كفّر عن يمينك.

فدعا غلاماً له يقال له مكحول فأعتقه.

فقال عبدالرحمن بن سليمان التميمي:

لم أر كاليوم أخا خوان *** أعجب من مكفّر الأيمان

بالعتق في معصية الرحمن

وقال آخر:

يعتق مكحولاً لصون دينه *** كفّارة لله عن يمينه

والنكث قد لاح على جبينه

وفي رواية: إنّ الزبير ـ لمّا قال له ابنه ذلك ـ غضب، فقال له ابنه: والله لقد فضحتنا فضيحة لا نغسل منها رؤوسنا أبداً. فحمل الزبير حملة منكرة.[1]

إنتهى بقدر الضرورة.

وفي هذه العبارة أيضاً فوائد كثيرة لا تخفى على من تأمّل فيها، فلا الإعتذار بأنّ الطرفين ما كانا قاصدين لاشتعال الحرب ينفع، ولا الإعتذار للزبير بنسيان ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم له من قبل ...

لكن العجيب جدّاً: إصرار عبدالله على الحرب، فإنّه لم يرتدع عنها بما ارتدع به أبوه، وهو كلام رسول الله الذي ذكّره الإمام به، بل جعل يؤنّب أباه ويحاول أن يعيده إلى القتال ويغريه إلى الحرب.

كلام الإمام في عبدالله بن الزبير

وهكذا كان عبدالله يسعى في البغض والعداء لأميرالمؤمنين عليه السّلام، حتّى أنّه حاول جاهداً لأنْ يورّط أباه بعد أنْ اختار الإنعزال، واعترض عليه قائلاً: «لقد فضحتنا فضيحةً لا نغسل منها رؤوسنا أبداً» ...

والذي يظهر من كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ المروي في كتب الفريقين ـ أنّ عبدالله هو السبب في مفارقة الزبير لأهل البيت عليهم السّلام ...

روى سبط ابن الجوزي قال:

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٧١ ـ ٧٢.

وفي رواية: إنّ عليّاً رضي الله عنه لمّا التقى بالزبير قال له: كنّا نعدّك من خيار بني عبدالمطّلب، حتّى بلغ ابنك السوء ففرّق بيننا وبينك، أليس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لك كذا وكذا. وذكر الحديث.[١]

وروى ابن الأثير:

وكان عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ يقول: ما زال الزبير منّا أهل البيت حتّى نشأ له عبدالله.[٢]

وروى ابن عبدالبر:

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ما زال الزبير يعدُّ منّا ـ أهل البيت ـ حتّى نشأ عبدالله.[٣]

بين عبدالله بن الزبير والإمام الحسين

ومن دلائل حبّه للدنيا وشدّة عداوته لأهل البيت الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام: موقفه مع الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي في مكّة المكرّمة، وهذا من القضايا التاريخيّة الثابتة:

قال ابن فهد المكّي في (إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى):

وفيها خرج الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من المدينة إلى مكّة، فلقيه عبدالله بن مطيع فقال: جعلت فداك أين تريد؟ فقال: فأمّا الآن فمكّة وأمّا بعد، فإنّي مستخير الله تعالى، قال: خار الله لك وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكّة فإيّاك أن تقرب الكوفة فإنّها بلدة مشئومة، بها قُتِل أبوك وخُذِل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، ألزم الحرم فإنّك سيّد العرب لا يعدل بك

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ١٦٢.

(٣) الإستيعاب ٣ / ٩٠٦، رقم ١٥٣٥.

أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كلّ جانب، لا تفارق الحرم فداك عمّي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقّنّ بعدك.

فأقبل حتّى نزل مكّة وأهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها عامّة النّهار ويطوف، ويأتي الحسين فيمن يأتيه، ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، لأنّ أهل الحجاز لا يبايعونه مادام الحسين بالبلد.

وراسل أهل الكوفة الحسين في المسير إليهم، فلمّا أراد المسير إلى الكوفة أتاه عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فقال له: إنّي أتيتك لحاجة أُريد أذكرها نصيحة لك، فإن كنت ترى أنّك مستنصحي قلتها وأدّيت ما علَيّ من الحقّ فيها، وإن ظننت أنّك لا تستنصحني كففت عمّا أُريد.

فقال: قل، فوالله ما أستغشّك وما أظنّك بشيء من الهوى.

قال له: قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّي مشفق عليك أن تأتي بلداً فيها عمّاله وأُمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما النّاس عبيد الدنيار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه.

فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح.

وأتاه عبدالله بن عبّاس رضي الله عنهما فقال له: قد أُرجف النّاس أنّك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟

فقال له: قد أجمعت السير في أحد يوميّ هذين، إن شاء الله تعالى.

فقال له ابن عبّاس رضي الله عنهما: فإنّي أُعيذك بالله من ذلك، أخبرني أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا فعلوا فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم، وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمّاله تجبى بلاده، فإنّما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك، ويستنفروا إليك ويكونوا أشدّ النّاس عليك.

فقال الحسين: إنّي أستخير الله وأنظر ما يكون.

فخرج ابن عبّاس.

وأتاه ابن الزبير، فحدّثه ساعة ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنّا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم، خبّرني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين رضي الله عنه: لقد حدّثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف النّاس، وأستخير الله تعالى.

فقال ابن الزبير: أمّا لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها.

ثمّ خشي أن يتّهمه فقال: أما إنّك لو أقمت بالحجاز، ثمّ أردت هذا الأمر هاهنا، ما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك.

فقال له الحسين: إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش.

قال: فأقم إن شئت، وتوليني أنا الأمر تطاع ولا تعصى.

قال: ولا أُريد هذا أيضاً.

ثمّ إنّهما أخفيا كلامهما، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال: أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا ندري جعلنا الله فداك.

قال: إنّه يقول: أقم في هذا المسجد أجمع لك النّاس.

ثمّ قال له الحسين: والله لأن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبُّ إليَّ من أن أُقتل فيها، ولأن أُقتل خارجاً منها بشبرين أحبّ إليّ أن أُقتل خارجاً منها بشبر، والله لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا بي حاجتهم، والله ليعتدون علَيّ كما اعتدت اليهود في السبت.

فقام ابن الزبير، فخرج من عنده.

فقال الحسين: إنّ هذا ليس من الدنيا شيء أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أنّ النّاس لا يعدلونه بي، فودّ أنّي خرجت حتّى يخلو له.

فلمّا كان من العشي ـ أو من الغداة ـ أتاه ابن عبّاس فقال: يا ابن عمّ، إنّي أتصبّر ولا أصبر، إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والإستئصال، إنّ أهل العراق قوم غُدُر فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوّهم ثمّ أقدم عليهم،

وإن أبيت إلاّ أن تخرج فسر إلى اليمن، فإنّ فيها حصوناً وشعباً، وهي أرض طويلة عريضة، ولأبيك فيها شيعة، وأنت عن النّاس في عزلة، فتكتب إلى النّاس، وتبث دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.

فقال الحسين: يا ابن عمّ، إنّي أعلم ـ والله ـ أنّك ناصح مشفق، وقد أزمعت وأجمعت السير.

فقال له ابن عبّاس: فإن كنت سائراً، فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإنّي خائف أن تقتل، كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه.

ثمّ قال له ابن عبّاس: لقد أقررت عين ابن الزبير بالخروج من الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلاّ هو، لو أخذت بشعر ناصيتك حتّى تجتمع علينا النّاس وتطيعني، لفعلت ذلك، وخرج ابن عبّاس من عنده، فمرّ بابن الزبير، ثمّ قال:

يا لك من قُبَّرَة بمعمر *** خلا لك الجوّ فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقّري

هذا حسين يخرج إلى العراق ويخلّيك والحجاز.[1]

فمن هذا يظهر خبث باطن ابن الزبير، وشدّة عدائه لأهل البيت عليهم السّلام، وإلاّ لكان الإمام الحسين عليه السّلام أحبّ النّاس إليه، وبقاؤه في مكّة أقرّ لعينه، لكنّه كان بالعكس، فقد كان الإمام الحسين في مكّة أثقل النّاس إليه، وكان يقول له بلسانه غير ما كان بقلبه، ويبدي له خلاف ما يخفي عليه ... والإمام عليه السّلام عارف

بواقع أمره وحقيقة سرّه، وكذلك فهم ابن عبّاس، حتّى قال للإمام الحسين لمّا عزم على الخروج: لقد أقررت عين ابن الزبير ... فلو كان له أدنى حظّ من الإيمان وأقلّ قسط من الإيقان، لما صار قرير العين بمسير الحسين، بل بكى دماً وذاب ألماً، وصار قلبه مجروحاً وعينه مقروحاً، وأطال الحزن والكآبة ومني بالشجى والسآمة، وهل يسرّ بالفراق إلاّ الشامت الكاشح والمبغض غير الناصح ...

وكذا الخبر في رواية الجلال السيوطي في كتاب (تاريخ الخلفاء) حيث قال:

فلمّا مات معاوية بايعه [يعني يزيد] أهل الشام، ثمّ بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة، فأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعاه، وخرجا من ليلتهما إلى مكّة; فأمّا ابن الزبير، فلم يبايع ولا دعا إلى نفسه، وأمّا الحسين، فكان أهل الكوفة يكتبون إليه، يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبى، فلمّا بويع يزيد أقام على ما هو مهموماً، يجمع الإقامة مرّة ويريد المسير إليهم أُخرى.

فأشار عليه ابن الزبير بالخروج.

وكان ابن عبّاس يقول له: لا تفعل.

وقال له ابن عمر: لا تخرج، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيّره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة وإنّك بضعة منه، ولا تنالها [يعني الدنيا] واعتنقه وبكى وودّعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة.

وكلّمه في ذلك أيضاً جابر بن عبدالله وأبوسعيد وأبوواقد الليثي وغيرهم فلم يطع أحداً منهم.

وصمّم على المسير إلى العراق، فقال له ابن عبّاس: والله إنّي لأظنّك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عبّاس وقال: أقررت عين ابن الزبير.

ولمّا رأى ابن عبّاس عبدالله بن الزبير قال له: قد أتى ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز، ثمّ تمثّل:

يا لك من قنبرة بمعمر *** خلا لك الجوّ فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقري[٢]

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى ٢ / ٤٣ ـ ٤٧، حوادث سنة ٦٠.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٢٥.

أحاديث في ذمّ بغض علي وأهل البيت عليهم السّلام

وإذْ ظهر بغض عبدالله بن الزبير وعداؤه لأميرالمؤمنين وأهل البيت الطاهرين، كان من المناسب إيراد نصوص روايات عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذمّ بغض عليّ أميرالمؤمنين وأبنائه وأهل البيت، والمبغض لهم ... عن كتب أهل السنّة وبأسانيدهم:

«أخرج الطبراني عن عليّ كرّم الله وجهه قال:

إنّ خليلي صلّى الله عليه وسلّم قال: يا علي، إنّك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليه عدوّك غضاب مقمحين، ثمّ جمع عليٌّ يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح.[١]

وأخرج الديلمي عن ابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم:

علي بن أبي طالب باب حطّة، من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً.[٢]

وأخرج مسلم وابن ماجة والنسائي عن زر بن حبيش قال:

قال عليٌّ: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأُمّي صلّى الله عليه وسلّم إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق.[٣]

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لا يحبّ عليّاً منافق ولا يبغضه مؤمن.[٤]

وفي رواية ابن أبي شيبة عنها بلفظ:

لا يبغض عليّاً مؤمن ولا يحبّه منافق.[١]

---

(١) المعجم الأوسط ٤ / ١٨٧.

(٢) كنز العمّال ١١ / ٦٠٣، رقم ٣٢٩١٠.

(٣) صحيح مسلم ١ / ٦١، سنن ابن ماجة ١ / ٤٢، رقم ١١٤، السنن الكبرى ٨ / ١١٦، رقم ٥٠١٩.

(٤) سنن الترمذي ٥ / ٢٩٩ رقم ٣٨٠١.

وعند الطبراني في الكبير عنها:

لا يحبّ عليّاً إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق.[٢]

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري والبزّار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قالا:

ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم عليّاً.[٣]

وأخرج الطبراني في الكبير عن سلمان رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعليّ: محبّك محبّي ومبغضك مبغضي.[٤]

وأخرج عبدالرزاق الرسعني عن أنس قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعلي: كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أُم سلمة رضي الله عنها، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:

من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله.[٥]

وأخرج ابن عدي عن سلمان الفارسي قال:

رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضرب فخذ علي بن أبي طالب وصدره، وسمعته يقول: محبّك ومحبّي محبّ الله ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله.[١]

---

(١) المصنّف ٧ / ٥٠٣ رقم ٥١.

(٢) المعجم الكبير ٢٣ / ٣٧٥.

(٣) المعجم الأوسط ٢ / ٣٢٨، سنن الترمذي ٥ / ٢٩٨، رقم ٣٨٠.

(٤) المعجم الكبير ٦ / ٢٣٩، رقم ٦٠٩٧.

(٥) المصدر ٢٣ / ٣٨٠.

وأخرج الحاكم والخطيب عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال:

نظر النبي صلّى الله عليه وآله إلى عليّ فقال: يا علي، أنت سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله; والويل لمن أبغضك بعدي.[٢]

وأخرج الطبراني في الأوسط والحاكم والخطيب عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لعلي: يا علي، طوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك.[٣]

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

من حسد عليّاً فقد حسدني، ومن حسدني فقد كفر.[٤]

وأخرج أبويعلى والبزّار عن سعد بن أبيوقّاص قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من آذى عليّاً فقد آذاني.[٥]

وفي (مفتاح النجا) أيضاً:

وأخرج الحاكم عن جابر رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه آله وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.[٦]

---

(١) الكامل ٥ / ١٢٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٨، تاريخ بغداد ٤ / ٢٦١.

(٣) المعجم الأوسط ٢ / ٣٣٧، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٣٥، تاريخ بغداد ٩ / ٧٤، رقم ١.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام: ٧٢.

(٥) مسند أبي يعلى ٢ / ١٠٩، مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٤٨٣، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٢.

(٦) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: مخطوط، أُنظر: المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٩.

وأخرج الطبراني في الكبير عن عمرو بن شراحيل: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:

اللهمّ انصر عليّاً، اللهمّ أكرم من أكرم عليّاً، اللهمّ اخذل من خذل عليّاً رضي الله عنه.[١]

وأخرج عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اللهمّ أعنه وأعن به، وارحمه وارحم به، وانصره به، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه [يعني عليّاً].

وأخرج عبدالرزاق الرسعني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آخذ بيد علي وهو يقول: الله وليّي وأنا وليّك ومعادي من عاداك ومسالم لمن سالمك.[٢]

وأخرج الحافظ أبوبكر أحمد بن عبدالرحمن الجوال الشيرازي في كتاب ألقاب الرجال وابن النجّار في تاريخه عن ابن عمر:

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: اللهمّ اشهد لهم، اللهمّ قد بلّغت، هذا أخي وابن عمّي وصهري وأبوولدي، اللهمّ كبّ من عاداه في النّار.[٣]

وأخرج ابن عدي عن جابر رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لعلي:

يا علي لو أنّ أُمّتي أبغضوك، لأكبّهم الله على مناخرهم في النّار.[٤]

وأخرج الديلمي عن الحسين رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال:

---

(١) المعجم الكبير ١٧ / ٣٩.

(٢) لسان الميزان ٢ / ٤٨٣.

(٣) أُنظر: كنز العمّال ١١ / ٦٠٩، رقم ٣٢٩٤٧.

(٤) الكامل ٥ / ١٧٨.

لو أنّ عبداً عَبَدَ الله مثل ما أقام نوح في قومه، وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومُدَّ في عمره حتّى يحجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قُتِل مظلوماً بين الصّفا والمروة، ثمّ لم يوالك يا علي، لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها.

وأخرج ابن مردويه عن عطيّة بن سعد قال: دخلنا على جابر بن عبدالله رضي الله عنه وهو شيخ كبير، فقلنا:

أخبرنا عن هذا الرجل علي بن أبي طالب. فرفع حاجبيه ثمّ قال: ذاك من خير البشر. فقيل له: ما تقول في رجل يبغض عليّاً؟ فقال: ما يبغض عليّاً إلاّ كافر.

وأخرج عن عطا قال:

سألت عائشة عن عليّ، فقالت: ذاك من خير البريّة، ولا يشكّ فيه إلاّ كافر.[1]

وأخرج أحمد والبزّار وأبويعلى والحاكم وأبونعيم في فضائل الصّحابة عن علي كرّم الله وجهه قال:

دعاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: إنّ فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أُمّه، وأحبّته النّصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الذي ليس به، ثمّ قال يهلك فيّ رجلاً. محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني».[1]

ومن مساوئه في كتب التاريخ والحديث

وقد ذكر القوم مساوئ أُخرى لابن الزبير، في كتبهم التاريخيّة والحديثيّة، نوردها باختصار:

قال ابن عبدالبرّ في (الإستيعاب):

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام: ١١٠ رقم ١٢٤.

قال علي بن زيد الجدعاني: كان عبدالله بن الزبير كثير الصّلاة، كثير الصّيام، شديد البأس، كريم الجدّات والأُمّهات والخالات، إلاّ أنّه كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة، لأنّه كان بخيلاً، ضيّق العطاء، سيّىء الخلق، حسوداً، كثير الخلاف، أخرج محمّد بن الحنفيّة، ونفى عبدالله بن عبّاس إلى الطائف.[٢]

وقال ابن خلّكان في (وفيات الأعيان):

ولمّا دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة، دعا عبدالله بن عبّاس ومحمّد بن الحنفيّة رضي الله عنهما إلى البيعة، فأبيا ذلك وقالا: لا نبايعك حتّى تجتمع لك البلاد ويتّفق الناس، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم وقال لهما: لئن لم تبايعا أحرقتكما بالنّار.[٣]

وذكر التنوخي في كتاب (الفرج بعد الشدّة):

كتب محمّد بن الحنفيّة إلى عبدالله بن عبّاس رضي الله عنهما، حين سيّره ابن الزبير عن مكّة إلى الطائف:

أمّا بعد; فقد بلغني أنّ ابن الزبير سيّرك إلى الطائف، فأحدث الله لك بذلك ذخراً، وحطّ عنك به وزراً، يا ابن عم، إنّما يبتلى الصالحون، وتعدّ الكرامة للأخيار، ولو لم تؤجر إلاّ فيما تحبّ لقلّ الأجر،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٦٠، مسند أبي يعلى ١ / ٤٠٧، رقم ٥٣٤، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٣، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم: ٦٨، رقم ٥٤.

(٢) الإستيعاب ٣ / ٩٠٦، رقم ١٥٣٥.

(٣) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٢، رقم ٥٥٩.

وقد قال الله تبارك وتعالى: (**وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**)، عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء والشكر على النعماء، ولا أشمت بنا عدواً، والسلام.[1]

وقال ابن حجر العسقلاني في كتاب التفسير من (فتح الباري في شرح صحيح البخاري):

وكان محمّد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفيّة وعبدالله بن عبّاس مقيمين بمكّة، منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا: لا نبايع حتّى يجتمع الناس على خليفة، وتبعهما جماعة على ذلك، فشدّد عليهم ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختار، فجهّز إليهم جيشاً، فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير، فامتنعا وخرجا إلى الطائف فأقاما بها، حتّى مات ابن عبّاس سنة ثمان وستّين، ورحل ابن الحنفيّة بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثمّ أراد دخول الشام فتوجّه إلى نحو أيلة، فمات في آخر سنة ثلاث أو أوّل سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير، على الصحيح، وقيل: عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك، وعند الواقدي أنّه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين، وزعمت الكيسانيّة أنّه حيٌّ لم يمت، وأنّه المهدي، وأنّه لا يموت حتّى يملك

الأرض، في خرافات لهم كثيرة ليس هذا موضعها، وانّما لخّصت من ذكرته من طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وغيره لبيان المراد ... .

وروى الفاكهي من طريق سعيد بن محمّد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال:

---

(١) الفرج بعد الشدّة ١ / ٤٢.

كان ابن عبّاس وابن الحنفيّة بالمدينة، ثمّ سكنا مكّة، وطلب منهما ابن الزبير البيعة فأبيا حتّى يجتمع النّاس على رجل، فضيّق عليهما، فبعث رسولاً إلى العراق، فخرج إليهما جيش في أربعة آلاف، فوجدوهما محصورين وقد أُحضر الحطب فجعل على الباب يخوّفهما بذلك، فأخرجوهما إلى الطائف. وذكر ابن سعد أنّ هذه القصّة وقعت بين ابن الزبير وابن عبّاس في سنة ست وستّين.[1]

رواية موضوعة عن ابن عبّاس في مدح ابن الزبير

هذا، والعجب أنّهم قد وضعوا عن ابن عبّاس كلاماً في مدح عبدالله بن الزبير، ورواه البخاري في كتابه المشهور (الصحيح) حيث قال:

حدّثني عبدالله بن محمّد، قال: حدّثني يحيى بن معين قال: حدّثنا حجّاج قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عبّاس فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحلّ حرم الله؟ فقال: معاذ الله، إنّ الله كتب ابن الزبير وبني أُميّة محلّين، وإنّي والله لا أُحلّه أبداً. قال: قال الناس بايع لابن الزبير فقلت: وأين بهذا الأمر عنه، أمّا أبوه فحواري النبي صلّى الله عليه وسلّم يريد الزبير وأمّا جدّه فصاحب الغار يريد أبابكر وأُمّه فذات النطاق، يريد أسماء، وأمّا خالته

فأُمّ المؤمنين، يريد عائشة، وأمّا عمّته فزوج النبي صلّى الله عليه وسلّم، يريد خديجة، وأمّا عمّة النبي صلّى الله عليه وسلّم فجدّته، يريد صفيّة، ثمّ عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريب، وإن ربوني ربوني أكفاء كرام، فآثر التويتات والآسامات والحميدات، يريد: أبطُناً من

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٢٤٦.

بني أسد بني تويت وبني أُسامة وبني أسد، إنّ ابن أبي العاص برز يمشي القدمية يعني عبدالملك بن مروان، وإنّه لوى ذنبه يعني ابن الزبير.[1]

وفي (فتح الباري):

قوله: قال ابن أبي مليكة: وكان بينهما شيء، كذا أعاد الضمير بالتثنية على غير مذكور اختصاراً، ومراده ابن عبّاس وابن الزبير، وهو صريح في الرواية الأُولى ... .

قوله: محلّين، أي إنّهم كانوا يبيحون القتال في الحرم، وإنّما نسب ابن الزبير إلى ذلك ـ وإن كان بنوأُميّة هم الذين ابتدؤه بالقتال وحصروه، وإنّما بدأ منه أوّلاً دفعهم عن نفسه لأنّه بعد أن ردّهم الله عنه حصر بني هاشم ليبايعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم، وكان بعض النّاس يسمّي ابن الزبير المحلّ لذلك ...

قوله: لا أحلّه أبداً، أي لا أبيح القتال فيه، وهذا مذهب ابن عبّاس أنّه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه.

قوله قال: قال الناس: القائل هو ابن عبّاس، وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متّصل، والمراد بالنّاس من كان من جهة ابن الزبير.

وقوله: بايع، بصيغة الأمر.

وقوله: وأين بهذا الأمر، أي الخلافة، أي ليست بعيدة عنه، لما له من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم، ثمّ صفته التي أشار إليها بقوله: عفيف في الإسلام قارئ للقرآن ... .

---

(١) صحيح البخاري ٥ / ٢٠٤، كتاب التفسير، سورة براءة.

قوله: وإنّه لوى ذنبه، يعني ابن الزبير، لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أي ثناه، وكنّى بذلك عن تأخّره وتخلّفه عن معالي الأُمور، وقيل: كنّى به عن الجبن وإيثار الدعة، كما تفعل السباع إذا أرادت النوم، والأوّل أولى ... .

قال الداودي: المعنى أنّه وقف فلم يتقدّم ولم يتأخّر، ولا وضع الأشياء مواضعها، فأدنى الناصح وأقصى الكاشح.[1]

وكأنّ واضع هذا الكلام قصد أداء شيء من حقوق ابن الزبير عليه من أجل عدائه لأهل البيت عليهم السّلام، وإلاّ، فإنّ من وصفه العلماء بأوصاف قالوا إنّها لا تصلح للخلافة، كيف يصحّ لمثل ابن عبّاس أنْ يراه أهلاً للخلافة ويمدحه بمثل هذا الكلام؟

لكنّ واضعه لم يحسن الوضع، فإنّ ما جاء في أوّل العبارة من «إنّ الله كتب ...» يدلّ على كون ابن الزبير وبني أُميّة سلكوا طريق إحلال الحرم وهتكوا

حرمة البيت الحرام، وأيضاً: فما جاء في آخرها من قوله «لوى ذنبه» تهجين لابن الزبير، إذ شبّهه بالبهائم، وهو كناية عن الجبن وإيثار الدعة، أو كما قال بعض الشرّاح: يريد أنّه لم يتّزن لاكتساب المجد وطلب الحمد ولكنّه زاغ وتنحّى، أو كما قال غيره: إنّه مثل لترك المكارم والإعراض عن المعروف وإيلاء الجميل، ويجوز أن يكون كنايةً عن التخلّف.

بين عائشة وابن الزبير

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

وقد أساء ابن الزبير الأدب مع عائشة وتطاول عليها، حتّى نذرت أن تهجره ولا تكلّمه أبداً، وقد أخرج البخاري الخبر في كتاب الأدب من (الصحيح).[1]

وقال الحافظ السمهودي في (جواهر العقدين):

وفي الصحيح أيضاً: قول عائشة: عليَّ نذر أنْ لا أُكلّم ابن الزبير أبداً. قال ابن عبدالبر: التقدير عليَّ نذر إنْ كلّمته. إنتهى. وهو موافق للرواية الأُخرى: لله عليّ نذر إنْ كلّمته، فالنذر معلَّق على كلامها له، لأنّها نذرت ترك كلامه، وجعلت الترك قربةً تلزم بالنذر. وقصّتها في ذلك أنّها رأت أنّ ابن الزبير قد ارتكب أمراً عظيماً حيث قال: أما والله لتنتهيّن عائشة عن بيع رباعها أو لأحجرنّ عليها، وكانت لا تمسك شيئاً ممّا جاءها من رزق بل تتصدّق به، فرأت أنّ قوله ذلك جرأة عليها وتنقيصاً لقدرها، بنسبتها إلى ارتكاب التبذير الموجب لمنعها من التصرّف، مع كونها أُم المؤمنين وخالته أُخت أُمّه، ولم يكن أحد عندها في منزلته، فرأت ذلك منه نوع عقوق، فجعلت مجازاته ترك مكالمته.[2]

ومن الغرائب: احتجاج بعض فقهاء القوم بهذه الزلّة الكبيرة الصّادرة من ابن الزبير، ولذا بادر ابن حزم إلى التشنيع عليه، فقال في (المحلّى):

وأمّا الرواية عن ابن الزبير فطامّة الأبد، لا ندري كيف استحلّ مسلم أن يحتجّ بخطيئة ووهلة وزلّة كانت من ابن الزبير، والله تعالى يغفر له، إذ أراد مثله في كونه من أصاغر الصّحابة أنْ يحجر على مثل أُم المؤمنين، التي أثنى الله تعالى عليها أعظم الثناء في نصّ القرآن، وهو لا يكاد يتجزى منها في الفضل عند الله تعالى، وهذا خبر رويناه من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن

---

(١) صحيح البخاري ٧ / ٩٠، كتاب الأدب.

(٢) جواهر العقدين: ٢١٥ ـ ٢١٦.

عوف بن الحارث ابن أخي عائشة أُم المؤمنين لأُمّها: إنّ عائشة أُم المؤمنين حدّثت أنّ عبدالله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرنّ عليها. فقالت عائشة: أو قال هذا؟ قالوا: نعم، فقالت عائشة: هو لله عليَّ نذر أنْ لا أُكلّم ابن الزبير كلمةً أبداً. ثمّ ذكر الحديث بطوله وتشفّعه إليها وبكاه لعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث والمسور بن مخرمة الزهريين، حتّى كلّمته، وأعتقت في نذرها أنْ لا تكلّمه أربعين رقبة.

قال أبومحمّد: قد بلغت به عائشة رضي الله عنها [من] الإنكار حيث بلغته، فلا يخلو الأمر من أنْ يكون ابن الزبير أخطأ وأصابت هي وهو كذلك بلا شك، فلا يحتجّ بقول أخطأ فيه صاحبه، أو يكون ابن الزبير أصاب وأخطأت هي، ومعاذ الله من هذا ومن أنْ تكون أُم المؤمنين توصف بسفه وتستحق أن يحجر عليها، نعوذ بالله من هذا القول. فصحّ أنّ ابن الزبير أخطأ في قوله.[1]

فمن كلام ابن حزم والسمهودي يفهم أنّ ما صدر من ابن الزبير بحقّ عائشة كان طعناً عظيماً وقدحاً جسيماً، يمنع منه الكتاب والسنّة، ويقبّحه العقل ويذمّ عليه العقلاء ... فكيف يجوز هذا عندهم وهم لا يجوّزون صدور معشاره من أحد من الشيعة بالنسبة إلى عائشة؟

محاولة التأويل

ولشدّة قبح ما كان بين ابن الزبير وعائشة، وأنّه يستوجب الطعن في كليهما أو أحدهما في الأقل، وهو ما لا يتحمَّل ... حاول بعضهم تأويل الخبر، ففي (الكواكب الدراري) بشرحه:

قال ابن بطّال: فإنْ قلت: لِمَ هجرت عائشة ابن الزبير أكثر من ثلاثة أيّام؟

قلت: معنى الهجرة ترك الكلام عند التلاقي، وعائشة رضي الله عنها لم تكن تلقاه فتعرض عن السّلام عليه، وإنّما كانت من وراء الحجاب، ولا يدخل عليها أحد إلاّ بالإذن، فلم يكن ذلك من الهجرة، ويدلّ عليه لفظ «يلتقيان فيعرض» إذ لم يكن بينهما إلتقاء فإعراض.

ووجه آخر، وهو: أنّه إنّما ساغ لعائشة ذلك لأنّها أُم المؤمنين، لا سيّما بالنسبة إلى ابن الزبير، لأنّها خالته، وذلك الكلام الذي قال في حقّها كان كالعقوق لها، فهجرتها منه كانت تأديباً له، وهذامن باب إباحة الهجران لمن عصى.[٢]

لكنْ لا يخفى وهن التوجيه الأوّل وسخافته، وتفوّه هذا العالم النحرير به عجيب، ولكن العصبيّة والمراء عضال داء ليس له دواء، وذلك، لأنّ الهجران ترك الملاقاة، وقد خصّه ابن بطال بترك السّلام عند الملاقاة، وهذا تأويل عليل وليس عليه دليل، وكلمة «يلتقيان فيعرض» لا دلالة فيها عليه، لأنّها تفريع على الهجران وليست نفس الهجران، لأنّ اللفظ في (البخاري) هكذا:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لا يحلّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.[٣]

فالصحيح هو الوجه الثاني فقط.

بل إنّ ألفاظ الخبر عند البخاري شاهدة على بطلان التأويل الأوّل، فقد جاء فيه، في قضيّة شفاعة المسور وعبدالرحمن لابن الزبير عند عائشة:

---

(١) المحلّى ٨ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٢) الكواكب الدراري في شرح البخاري ٢١ / ٢٠٨، شرح صحيح البخاري لابن بطّال ٩ / ٢٧٠.

(٣) صحيح البخاري ٧ / ٩١، كتاب الأدب، باب الهجرة.

وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلاّ ما كلّمته وقبلت منه، ويقولان: إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم نهى عمّا قد علمت من الهجرة، فإنّه لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلمّا أكثرا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إنّي نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتّى كلّمت ابن الزبير.(١)

فلو لم تكن بينهما هجرة لم يكن لهذه التفاصيل معنى.

قول معاوية لابن الزبير: إنّك لمخالف ...

وتكلّم معاوية في عبدالله بن الزبير في حديث كان بينهما، فقد جاء في (المسند):

حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا محمّد بن جعفر قال: ثنا شعبة عن يزيد بن أبي زياد قال: سألت عبدالله بن الحارث عن الركعتين بعد العصر، فقال: كنّا عند معاوية، فحدّث ابن الزبير عن عائشة: إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يصلّيهما، فأرسل معاوية إلى عائشة وأنا فيهم فسألناها فقالت: لم أسمعه من النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولكنْ حدّثتني أُمّ سلمة، فسألتها فحدّثت أُم سلمة: إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم صلّى الظهر ثمّ أُتي بشيء فجعل يقسّمه حتّى حضرت صلاة العصر، فقام فصلّى العصر، ثمّ صلّى بعدها ركعتين، فلمّا صلاّها قال: هاتان الركعتان كنت أُصلّيهما بعد الظهر. فقالت أُمّ سلمة: ولقد حدّثتها إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى عنهما.

قال: فأتيت معاوية فأخبرته بذلك.

فقال ابن الزبير: أليس قد صلاّهما؟ لا أزال أُصلّيهما.

---

(١) المصدر ٧ / ٩٠، كتاب الأدب، باب الهجرة.

فقال له معاوية: إنّك لمخالف، لا تزال تحبّ الخلاف ما بقيت.[١]

لعن أميرالمؤمنين ابن الزبير

ومن الطرائف: رواية القوم إنّ عليّاً عليه السّلام لعن عبدالله بن الزبير، فقد رواه ابن السمان في كتاب (الموافقة) وعنه المحب الطبري في (الرياض النضرة).

ولا يخفى أنّ المحبّ الطبري من كبار الأئمّة الحفّاظ، كما ترجم له الأسنوي في (طبقات الشافعيّة)[٢] وقال الذهبي في (المعجم المختص):

أحمد بن عبدالله بن محمّد، الإمام الحافظ المفتي، شيخ الحرم، محبّ الدين أبوالعبّاس، الطبري، ثمّ المكّي الشافعي، مصنّف الأحكام الكبرى. كان عالماً عاملاً جليل القدر عارفاً بالآثار، ومن نظر في أحكامه عرف محلّه من العلم والفقه، عاش ثمانين سنة، وكتب إليّ مرويّاته في سنة ثلاث وسبعين وستمائة.[٣]

وهذا نصّ ما رواه المحبّ الطبري في خبر قتل عثمان:

فبلغ عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة، فخرجوا، وقد ذهبت عقولهم حتّى دخلوا على عثمان، فوجدوه مقتولاً، فاسترجعوا، وقال علي لابنيه: كيف قتل أميرالمؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمّد بن طلحة، ولعن عبدالله بن الزبير، وخرج علي وهو غضبان.[٤]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٣١١.

(٢) طبقات الشافعيّة للأسنوي ٢ / ٧٢، رقم ٧٩٦.

(٣) المعجم المختص للذهبي: ٢٢.

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة ٣ / ٦٥ ـ ٦٦.

وإذا كان في هذا الخبر فضيلة لعثمان، فهو يشتمل على لعن الإمام عليه السلام عبدالله بن الزبير ... وقد صرّحوا بأنّ اللعن دليل الكفر، لأنّ مرتكب الكبيرة لا يجوز لعنه عندهم كما في (التحفة الإثنا عشرية) بل في (الصواعق):

لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه، إلاّ إن علم موته على الكفر، كأبي جهل وأبي لهب. وأمّا من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه، حتّى أنّ الكافر الحيّ المعيَّن لا يجوز لعنه.[١]

فإذا كان أميرالمؤمنين قد لعن ابن الزبير، فلا ريب في أنّه قد مات على الكفر، وإلاّ لم يلعنه الإمام عليه السّلام وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما في (صحيح البخاري) ـ ولعن المؤمن كقتله[٢] فيشمله الوعيد في الآية: (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذابًا عَظيمًا**).[٣]

وأيضاً: ففي الحديث ما معناه: إنّ اللعن غير السائغ يعود على صاحبه، روى المتقي الهندي:

إذا خرجت اللعنة من فيّ صاحبها نظرت، فإنْ وجدت مسلكاً في الذي وجّهت إليه وإلاّ عادت إلى الذي خرجت منه. هب عن عبدالله.

إنّ العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثمّ تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثمّ تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن، إن كان لذلك أهلاً، وإلاّ رجعت إلى قائلها. [أبو]د[اود] عن أبي الدرداء.[٤]

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٢٢.

(٢) صحيح البخاري ٧ / ٩٧، كتاب الأدب، باب من كفّر أخاه من غير تأويل.

(٣) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٤) كنز العمّال ٣ / ٦١٤، رقم ٨١٦٩ و٨١٧٠.

تحريف الرواية

ومن هنا، فقد عمد غير واحد من أئمّة القوم إلى تحريف الخبر، بحذف لفظ «اللعن»:

قال ابن حبّان في (كتاب الثقات):

وبلغ الخبر علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعداً، فخرجوا مذهلين كادت عقولهم تذهب، لعظم الخبر الذي أتاهم، حتّى دخلوا على عثمان، فوجدوه مقتولاً واسترجعوا، وقال علي لابنيه: كيف قتل أميرالمؤمنين وأنتما على الباب؟ قالا: لم نعلم. قال: فرفع يده ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمّد بن طلحة وعبدالله بن الزبير.[1]

وقال السيوطي في (تاريخ الخلفاء) نقلاً عن ابن عساكر:

وقال علي لابنيه: كيف قتل [عثمان] أميرالمؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده، فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمّد بن طلحة وعبدالله بن الزبير».[2]

ومنهم من روى الخبر بزيادة لعن الإمام أميرالمؤمنين ولديه ـ والعياذ بالله ـ !! ففي كتاب (الإعلام بسيرة النبي عليه السّلام) للحافظ الزرندي:

وخرج علي وهو غضبان يسترجع، يرى أنّ طلحة قد أعان على قتله، فلقيه طلحة فقال له: مالك يا أباالحسن، ضربت الحسن والحسين؟ قال: عليك وعليهم لعنة الله، ألا يسؤني ذلك! يقتل

---

(١) كتاب الثقات ٢ / ٢٦٥.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٧٧.

أميرالمؤمنين، رجل من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم لم يقم عليه بيّنة ولا حجّة؟! فقال طلحة: لو دفع مروان إليهم لم يقتل. فقال علي: لو خرج مروان إليكم لقتل قبل أن يثبت عليه حكومة.[١]

لكنّه يشتمل على لعن طلحة أيضاً ...

ثمّ عمد بعضهم إلى تحريف هذا اللفظ، فوضع كلمة «عليك كذا وكذا» بدلاً من كلمة «لعن» طلحة! ..[٢]

قول النبي لابن الزبير: ويل للناس منك ...

ومن الدلائل على سوء حال عبدالله بن الزبير: قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم له ـ في قضيّة ـ : «ويل للناس منك وويل لك من الناس» وذاك ما أخرجه الحكيم الترمذي في كتاب (نوادر الأُصول) قال:

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أنّه أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يحتجم، فلمّا فرغ قال: يا عبدالله بن الزبير، إذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد، فلمّا برز عمد إلى الدم فشربه، فلمّا رجع قال: يا عبدالله، ما صنعت به؟ قال: جعلته في أخفى مكان ـ ظننت أنّه خاف على الناس ـ قال: لعلّك شربته؟ قال: نعم، قال: لم شربت الدم؟ ويل للناس منك وويل لك من النّاس.[٣]

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) بالسند واللّفظ وفي آخره:

ومن أمرك أنْ تشرب الدم؟ ويل لك من الناس وويل للناس منك.[٤]

---

(١) الإعلام بسيرة النبي عليه السّلام: مخطوط.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة ٣ / ٦٦.

(٣) نوادر الأُصول ١ / ١٨٦، الأصل التاسع والعشرون من النظافة.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٥٤، كتاب معرفة الصّحابة.

فأشار صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الفتن التي أثارها ابن الزبير في حرب الجمل، والفتن التي أثارها في أيّام حكومته بمكّة، وقد ذهبت آلاف النّفوس ضحيّة لطلب ابن الزبير الدنيا والرئاسة، كما صرَّح بذلك الصحابي الجليل أبوبرزة الأنصاري فيما أخرجوه عنه:

كلام أبي برزة في ابن الزبير

قال الحاكم في (المستدرك):

أخبرني الحسن بن حكيم المروزي، ثنا أبوالموجه، أنبأ عبدان، أنبأ عبدالله، أنبأ عوف، عن أبي المنهال، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: إنّ ذلك الذي بالشام; يعني مروان إنْ يقاتل إلاّ على الدنيا، وإنّ ذلك الذي بمكّة يعني ابن الزبير إنْ يقاتل إلاّ على الدنيا، وإنّ الذين تدعونهم قرّاءكم والله إنْ يقاتلون إلاّ على الدنيا. فقال له أبي: فما تأمرنا إذاً؟ قال: لا أرى خير النّاس إلاّ ... خماص البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دماءهم.[1]

وأبوبرزة الأسلمي من الصّحابة الذين يذكرونهم بالجهاد وبالورع والديانة، قال ابن حجر بترجمته في (الإصابة):

قال أبوعمرو: كان إسلامه قديماً، وشهد فتح خيبر وفتح مكّة وحنيناً ... وقال ابن سعد: كان من ساكني المدينة ثمّ نزل البصرة وغزا خراسان. وقال غيره: شهد مع علي قتال الخوارج بالنهروان وغزا خراسان بعد ذلك، ويقال: إنّه شهد صفّين والنهروان مع علي. روي ذلك من طريق ثعلبة بن أبي برزة عن أبيه.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٤٧٠، كتاب الفتن والملاحم.

وذكر ابن حجر كلام أبي برزة في ابن الزبير وغيره عن البخاري قال:

وقد أخرج البخاري في صحيحه: إنّه عاب على مروان وابن الزبير والقرّاء بالبصرة، لمّا وقع الإختلاف بعد موت يزيد بن معاوية فقال في قصّة ذكرها حاصلها: إنّ الجميع إنّما يقاتلون على الدنيا.[1]

وهذا نصّ الخبر في (صحيح البخاري):

حدّثنا أحمد بن يونس قال: حدّثنا أبوشهاب، عن عوف، عن أبي المنهال قال: لمّا كان ابن زياد ومروان بالشام، ووثب ابن الزبير بمكّة، ووثب القرّاء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي، حتّى دخلنا عليه في داره وهو جالس في ظلّ عُليّة له من قصب، فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه الحديث،

فقال: يا أبابرزة، ألا ترى ما وقع فيه الناس، فأوّل شيء سمعته تكلّم به: إنّي احتسبت عند الله أنّي أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إنّكم يا معشر العرب، كنتم على الحال الذي علمتم من الذلّة والقلّة والضلالة، وإنّ الله أنقذكم بالإسلام وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم، حتّى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إنّ ذاك الذي بالشام والله إنْ يقاتل إلاّ على الدنيا، وإنّ ذاك الذي بمكّة والله إنْ يقاتل إلاّ على الدنيا، وإنّ هؤلاء الذين بين أظهركم والله إنْ يقاتلون إلاّ على الدنيا.[2]

وفي (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني:

---

(١) الإصابة في تمييز الصّحابة ٦ / ٣٤١ ـ ٣٤٢، رقم ٨٧٣٧.

(٢) صحيح البخاري ٨ / ٩٩ ـ ١٠٠، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثمّ خرج فقال بخلافه.

قوله: إنّ ذاك الذي بالشام، زاد يزيد بن زريع: يعني مروان. وفي رواية سكين: عبدالملك بن مروان، والأوّل أولى ... .

قوله: وإنّ هؤلاء الذين بين أظهركم، في رواية يزيد بن زريع وابن المبارك نحوه: إنّ الذين حولكم الذين تزعمون أنّهم قرّاؤكم، وفي رواية سكين وذكر نافع ابن الأزرق وزاد في آخره: فقال أبي: فما تأمرني إذاً، فإنّي لا أراك تركت أحداً؟ قال: لا أرى خير الناس اليوم إلاّ عصابة خماص البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم.

... قوله: وإنّ ذاك الذي بمكّة. زاد يزيد بن زريع: يعني ابن الزبير.[1]

أقول:

وفي هذا الحديث دلالة على القدح والذمّ لابن الزبير من وجوه:

١ ـ قوله: «إنّي احتسبت عند الله» يدلّ على شدّة قبح أفعال ابن الزبير، بحيث كانت سبباً لسخط أبي برزة وغضبه عليه، وأنّه كان يطلب بذلك الأجر من الله تعالى ... قال ابن حجر بشرحه:

قوله: إنّي احتسبت عند الله، في رواية الكشميهني: أحتسب، وكذا في رواية يزيد بن زريع. ومعناه: إنّه يطلب بسخطه على الطوائف المذكورين من الله الأجر على ذلك، لأنّ الحبّ في الله والبغض في الله من الإيمان.[1]

وعليه، فإنّ بغض ابن الزبير من الإيمان، وموالاته توجب الخروج منه، لكون الغضب عليه موجباً للأجر والثواب، وكذلك بيّن ابن الملقّن الكلمة المذكورة في (شرح البخاري) فقال:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٦٣ ـ ٦٤.

وأمّا قول أبي برزة واحتسابه سخطه على أحياء قريش عند الله تعالى، فكأنّه قال: اللهمّ لا أرضى ما صنع قريش من التقاتل على الخلافة فاعلم ذلك من نيّتي، وأنّي أسخط أفعالهم واستباحتهم للدماء والأموال، فأراد أنْ يحتسب ما يعتقده من إنكار القتال في الإسلام عند الله أجراً وذخراً، فإنّه لم يقدر من التغيير عليهم إلاّ بالقول والنيّة التي بها يؤجر الله عباده.

٢ ـ قوله: «وإنّكم يا معشر العرب ...» ظاهر في أنّ ما صنعه ابن الزبير كان محض الضّلال ... .

٣ ـ قوله: «والله إنْ يقاتل إلاّ على الدنيا» نصٌّ لا يقبل أيّ تأويل أو حمل.

ومن الواضح أنّ التقاتل على الدنيا من أقبح الفواحش وأفظع المثالب.

وقد ذكر المؤرّخون أنّ أُمّه قالت له:

وإن كنت إنّما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك.[١]

قال ابن فهد في (إتحاف الورى):

فدخل ـ أي ابن الزبير ـ على أُمّه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فقال: يا أُمّاه، قد خذلني الناس حتّى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلاّ يسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة، وإنّ خصومي قالوا لي: إن شئت سلّم نفسك لعبدالملك بن مروان، يرى فيك رأيه ولك الأمان، فما رأيك؟

فقالت: يا ولدي! أنت أعلم بنفسك، إن كنت قاتلت لغير الله، فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قاتلت لله ويعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو، فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكّن من رقبتك

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٦٣.

يتلعّب بها غلمان بني أُميّة يتلاعبون بها، وإن كنت إنّما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك، وإن قلت: كنت على حقّ فلمّا قُتِلَ أصحابي وهنت وضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن، وإن قلت: لم يبق معي معين على القتال، فلعمري إنّك مغدور، ولكن شأن الكرام أن يموتوا على ما عاشوا عليه.

فقال: يا أُمّاه! أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلّبوني.

فقالت: أي بني، إنّ الشاة لا تبالي بالسلخ، فامض على بصيرتك واستعن بالله تعالى.

فقبّل رأسها وقال: هذا رأيي.[٢]

٤ ـ قوله: «لا أرى خير الناس اليوم ...» مفهومه أنّ ابن الزبير وأمثاله قد ملأوا بطونهم من أموال الناس، وباؤوا بغضب من الله ومأواهم جهنّم وبئس المصير.

كلمات الحفّاظ بشرح كلام أبي برزة

ثمّ إنّ علماء القوم ـ بالرَّغم من تأوّلهم للأحاديث القادحة في الصّحابة دفاعاً عنهم ـ لم يتمكّنوا من تأويل كلام أبي برزة ولو بالتمحّل، بل أيّدوا بشرحه دلالته على الذمّ والقدح لابن الزّبير، كما عرفت من كلمات ابن حجر والملقّن.

وقال ابن حجر بشرحه:

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٣٠، سنة ثلاث وسبعين.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ٢ / ٩٢ ـ ٩٣.

وفيه: استشارة أهل العلم والدين عند نزول الفتن، وبذل العالم النصيحة لمن يستشيره. وفيه: الإكتفاء في إنكار المنكر بالقول ولو في غيبة من ينكر عليه، ليتّعظ من يسمعه فيحذر من الوقوع فيه.[1]

وقال ابن الملقّن بشرحه:

وأمّا يمينه: أنّ الذي بالشام ما يقاتل إلاّ على الدنيا، وهو عبدالملك، فوجهه أنّه كان يريد أنْ يأخذ بسيرة عثمان والحسن. وأمّا يمينه على الذي بمكّة، يعني ابن الزبير، فإنّه لمّا وثب بمكّة ـ بعد أنْ دخل فيما دخل فيه المسلمون ـ جعله نكثاً وحرصاً على الدنيا، وهو في هذه أقوى رأياً منه في الأُولى، وكذا القرّاء بالبصرة، لأنّه كان لا يرى الفتنة في الإسلام أصلاً، وكان يرى أنْ يترك صاحب الأمر حقّه لمن نازعه فيه، لأنّه مأجور في ذلك ممدوح بالإيثار على نفسه، وكان يريد من المقاتل أنْ لا يقتحم النّار في قيامه وتفريقه الجماعة وتشتيت الكلمة، ولا يكون سبباً لسفك الدماء واستباحة الحرام، أخذاً بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النّار، فلم ير القتال البتة، وخشي أن يقول في ابن الزبير شيئاً، لأنّه كان من العبادة بمكان، وممّا عيّر عليه في خلافته أنّه استأثر بشيء من مال الله.

وما قاله ابن الملقّن في آخر كلامه من أنّ أبي برزة «خشي أنْ يقول في ابن الزبير شيئاً» واضحٌ مافيه، لأنّ أبابرزة يقسم قائلاً بأنّ ابن الزبير ما يقاتل إلاّ على الدنيا ... وفي هذا الكلام كلٌّ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٦٣ ـ ٦٤.

شيء، لأنّ القتال على الدنيا أُم الخبائث والشرور وأصل الفسق والفجور، فكيف يقال أنّه لم يقل فيه شيئاً؟! وأيّ فائدة مع هذا لكثرة العبادة؟

تكلّم ابن عمر في ابن الزبير

وتكلّم ابن عمر أيضاً في ابن الزبير بما لا يحتمل التأويل كذلك، فقد أخرج الحاكم بإسناده:

عن نافع عن ابن عمر أنّه قال لرجل يسأله عن القتال مع الحجاج أو مع ابن الزبير؟ فقال له ابن عمر: مع أيّ الفريقين قاتلت فقتلت، ففي لظى.

قال الحاكم:

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.[١]

ومن المعلوم أنّه إذا كان من يقتل مع ابن الزبير في لظى، فابن الزبير نفسه فيها بطريق أولى، مع أنّه قد قتل في نفس هذه المعركة التي حكم عبدالله بن عمر على من قتل فيها بما حكم ... هذا مضافاً إلى هتكه حرمة الحرم، ولأجل ذلك تكلّم فيه ابن عمر أيضاً، فيما رواه الحكيم الترمذي حيث قال:

قال: صحبت ابن عمر من مكّة إلى المدينة، فقال لنافع: لا تمر بي على المصلوب ـ يعني ابن الزبير ـ .

قال: فما فجئه في جوف الليل إلاّ أن صكّ محمله جذعه، فجلس يمسح عينيه ثمّ قال: يرحمك الله أباخبيب إن كنت وإن كنت، ولقد سمعت أباك الزبير يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من يعمل سوء يجز به في الدنيا أو في الآخرة، فإن يك هذا بذاك فهمه همه.

قال الله تعالى: (**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**) وهذا عام، ثمّ ميّز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يجز به في الدنيا أو في الآخرة، وليس يجمع عليك الجزاء في الموطنين ... .

وقول ابن عمر! إن يك هذا بذاك فهمه همه، فإنّ ابن الزبير قاتل في حرم الله، وأحدث فيهما حدثاً عظيماً فيها، حتّى أحرق البيت ورمي الحجر الأسود بالمنجنيق، فانصدع حتّى ضبب بالفضة، فهو إلى يومنا كذلك، وسمع للبيت أنيناً آه آه، وقد قال عليه السّلام يوم فتح مكّة: إنّها لا تحل لأحد بعدي، وإنّما أحلّت لي ساعة من نهار، وإنّها حرمت يوم خلق الله السماوات والأرض.

فلمّا رأى ابن عمر فعله، ثمّ رآه مصلوباً، ذكر قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

من يعمل سوء يجز به، فقال ذلك وذلك:

إن يك هذا القتل بذاك الذي فعله فهه، أي كأنّه جوزي بذلك السوء من هذا القتل والصلب.[٢]

هذا، وقد رووا عن ابن عمر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إخباره عن صنع عبدالله، مع التعبير عن ذلك بـ «الإلحاد»:

يلحد رجل من قريش بمكة يقال له عبدالله، عليه شطر عذاب العالم، (طب عن ابن عمر).[٣]

إنّه سيلحد في الحرم رجل من قريش، لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت. (حم، ك عن ابن عمر).[٤]

يحلّها ويحلّ به رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها. (حم عن ابن عمر).[١]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٤٧١، كتاب الفتن والملاحم.

(٢) نوادر الأصول ٢ / ١٦ ـ ١٧. وقد أُسقط منه: «قال أبوعبدالله ...»، الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٩٧.

(٣) كنز العمّال ١٢ / ٢٠٨، رقم ٣٤٦٩١.

(٤) المصدر، رقم ٣٤٦٩٢.

يلحد بمكّة كبش من قريش اسمه عبدالله، عليه مثل أوزار نصف الناس. حم عن عثمان).[٢]

يلحد رجل من قريش بمكّة، يكون عليه نصف عذاب العالم. (حم عن عثمان. ورجال الحديثين ثقات).[٣]

بل لقد رووا أنّ ابن عمر قد ذكّر ابن الزبير بقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا، وحذّره من أن يكون الملحد القرشي هو:

في (جمع الجوامع) للسيوطي عن ابن أبي شيبة:

عن إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: أتى عبدالله بن عمر عبدالله بن الزبير، فقال لابن الزبير: إياك والإلحاد في حرم الله، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: إنّه سيلحد فيه رجل من قريش، لو أنّ ذنوبه توزن بذنوب الثقلين لرجحت عليه، فانظر لا تكونه. ش.[٤]

فكان هذا رأي عبدالله بن عمر في ابن الزبير ... وبذلك صرّح الحجّاج عند أسماء أُم ابن الزبير، إذ قال لها ـ كما في (السيرة الحلبيّة) ـ :

رأيت كيف نصر الله الحق وأظهر أنّ ابنك ألحد في هذا البيت، وقد قال تعالى: (**وَمَنْ يُرِدْ فيهِ بِإِلْحاد بِظُلْم نُذِقْهُ مِنْ عَذاب أَليم**) وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم.[٥]

وقال في (إتحاف الورى):

---

(١) كنز العمّال ١٢ / ٢٠٨، رقم ٣٤٦٩٣.

(٢) المصدر، رقم ٣٤٦٩٤.

(٣) المصدر ١٢ / ٢٠٨ـ٢٠٩، رقم ٣٤٦٩٥.

(٤) جمع الجوامع ١ / ٩٣٨١، رقم ٣١٦٦.

(٥) السيرة الحلبيّة ١ / ٢٨٤.

سنة خمس وستّين: فيها دعا عبدالله بن الزبير محمّد بن الحنفيّة ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة، منهم أبوالطفيل عامر بن واثلة الصحابي، ليبايعوه، فامتنعوا وقالوا: لا نبايع حتّى تجتمع الأُمّة.

فأكثر ابن الزبير الوقيعة في ابن الحنفيّة وذمّه، فأغلظ له عبدالله بن هاني الكندي وقال له: لئن لم يضرّك إلاّ تركنا بيعتك لا يضرّك شيء، وإنّ صاحبنا يقول: لو بايعني الأُمّة كلّها غير سعد مولى معاوية قتلته، وإنّما عرّض بذكر سعد، لأنّ ابن الزبير أرسل إليه فقتله، فسبّه عبدالله بن الزبير وسبّ أصحابه وأخرجهم من عنده، فأخبروا ابن الحنفيّة بما كان منهم، فأمرهم بالصبر، ولم يلحّ عليهم ابن الزبير.

فلمّا استولى المختار على الكوفة، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفيّة، خاف ابن الزبير أن يتداعى النّاس إلى الرضا به، فحينئذ ألحّ على ابن الحنفيّة وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم وتوعّدهم بالقتل والإحراق، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعّد به، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفيّة عليه، أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولاً يعلمهم حالهم وحال من معهم، وما توعدّهم به ابن الزبير، فوجَّه ثلاثة نفر من أهل الكوفة ـ حين نام الحرس على باب زمزم ـ وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حال من معه وما توعّدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنّار، ويطلب منهم النجدة، ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته.

فقدموا على المختار، فدفعوا إليه الكتاب، فنادى في الناس، فقرأ عليهم الكتاب ... .[1]

(إلى أن قال في إتحاف الورى):

فوجّه ـ يعني المختار ـ أباعبدالله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوّة والنجدة، ووجّه ظبيان بن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وبعث معه لابن الحنفيّة أربعمائة ألف درهم، وسيّر أباالمعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين، وكتب إلى محمّد بن علي مع أبي الطفيل عامر ومحمّد بن قيس بتوجيه الجند إليه.

وخرج النّاس بعضهم في أثر بعض، وجاء أبوعبدالله الجدلي حتّى نزل ذات عرق في سبعين راكباً، فأقام بها حتّى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً، فبلغوا مائة وخمسين رجلاً، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافركوبات وهم ينادون: يالثارات الحسين، حتّى انتهوا إلى زمزم، وقد أعدّ ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفيّة فقالوا: خلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير.

فقال لهم: إنّي لا أستحلّ القتال في حرم الله.

فقال ابن الزبير: واعجبا لهذه الخشبية، ينعون حسيناً كأنّي أنا قتلته، والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم.

ـ وإنّما قيل لهم خشبيّة، لأنّهم وصلوا إلى مكّة وبأيديهم الخشب، كراهة إشهار السيوف في الحرم. وقيل: لأنّهم أخذوا الحطب الذي أعدّه ابن الزبير ـ .

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى ٢ / ٧٧ ـ ٧٨.

وقال ابن الزبير: أتحسبون أنّي أُخلّي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا؟

فقال أبوعبدالله الجدلي: أي وربّ الكعبة والمقام وربّ الحلّ والحرام، لتخلّينّ سبيله أو لنجالدنّك بأسيافنا جلاداً يرتاب منه المبطلون.

فقال ابن الزبير له: والله [ما هؤلاء] إلاّ أكلة رأس [والله]، لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتّى تقطف رؤوسهم.

فقال له قيس بن مالك: أما والله إنّي لأرجو إذ رمت ذلك، أن يوصل إليك قبل أن ترى ما تحب.

فكفّ ابن الحنفيّة أصحابه وحذّرهم الفتنة.

ثمّ قدم أبوالمعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وظبيان بن عمارة في مائتين ومعه المال، حتّى دخلوا المسجد الحرام فكبّروا وقالوا: يالثارات الحسين.

فلمّا رآهم ابن الزبير خافهم.

فخرج محمّد بن الحنفيّة ومن معه إلى شعب علي، وهم يسبّون ابن الزبير ويستأذنون محمّد بن الحنفيّة فيه، فيأبى عليهم، واجتمع مع محمّد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسّم بينهم ذلك المال.

ويقال: إنّ ابن الزبير أرسل إلى ابن عبّاس وابن الحنفيّة أن يبايعا، فقالا: حتّى يجتمع النّاس على إمام ثمّ نبايع فإنّك في فتنة، فعظم الأمر بينهما وغضب من ذلك، وحبس ابن الحنفيّة في زمزم، وضيّق على ابن العبّاس في منزله، وأراد إحراقهما، فأرسل المختار جيشاً كما تقدّم».[1]

(إلى أن قال في إتحاف الورى):

سنة ست وستّين، فيها حجّ بالنّاس عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، وفيها أو في التي بعدها بعد أن قتل المختار بالكوفة استوثقت البلاد لابن الزبير، وتضعضع حال ابن الحنفيّة وأصحابه واحتاجوا، فأرسل ابن الزبير أخاه عروة إلى ابن الحنفيّة أن ادخل في بيعتي وإلاّ نابذتك.

فقال ابن الحنفيّة: بؤساً لأخيك، ما ألجه فيما أسخط الله تعالى، وأغفله عن ذات الله عزّ وجلّ.

وقال لأصحابه: إنّ ابن الزبير يريد أن يثور بنا، وقد أذنت لمن يريد الإنصراف عنّا، فإنّه لا ذمام عليه [منا] ولا لوم، فإنّي مقيم حتّى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين.

فقام إليه أبوعبدالله الجدلي وغيره، فأعلموه أنّهم غير مفارقيه.

وبلغ خبره عبدالملك بن مروان، فكتب إليه يعلمه أنّه إن قدم عليه أحسن إليه، وأنّه ينزل أيّ الشام أراد، حتّى يستقيم أمر النّاس.

فخرج ابن الحنفيّة وأصحابه إلى الشام.[2]

(إلى أن قال في إتحاف الورى):

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى ٢ / ٧٩ ـ ٨١.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى ٢ / ٨١ ـ ٨٢.

فارتحل ابن الحنفيّة إلى مكّة، ونزل شعب آل أبي طالب، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه، وكتب إلى أخيه مصعب ابن الزبير يأمره أن يسيّر نساء من مع ابن الحنفيّة، فسيّر نساء منهم امرأة أبي الطفيل بن عامر بن واثلة، فجاءت حتّى قدمت عليه. فقال أبوالطفيل:

وإن يك سيّرها مصعب *** فإنّي إلى مصعب متعب

أقود الكتيبة مستَلْئما *** كأنّي أخو غرّة أحدب

وهي عدّة أبيات.

وألحّ ابن الزبير على ابن الحنفيّة بالانتقال عن مكّة، فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال: اللهمّ ألبس ابن الزبير لباس الذلّ والخوف، وسلّط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذي يسوم النّاس، ثمّ صار إلى الطائف.

فدخل ابن عبّاس على ابن الزبير، فأغلظ له وجرى بينهما كلام، وخرج ابن عبّاس أيضاً فلحق بالطائف، وأرسل ابنه عليّاً إلى عبدالملك وقال: يربّني بنو عمّي أحبّ إليّ [من] أن يربّني رجل من بني أسد، يعني ببني عمّه بني أُميّة، لأنّهم جميعهم من ولد عبد مناف، ويعني برجل من بني أسد ابن الزبير، فإنّه من بني أسد بن عبدالعزّى بن قصي.[1]

جماعةٌ آخرون من الصّحابة

ثمّ قال السيوطي في (الإتقان**):**

وقد ورد عن جماعة من الصّحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير.

كأنس وأبي هريرة وابن عمر وجابر وأبي موسى الأشعري.

وورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلّق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون ممّا تحمّله عن أهل الكتاب، كالذي ورد عنه في قوله تعالى (**في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ**).[٢]

أقول:

إنّه وإن كان يكفي معرفة أحوال الصّحابة الذين روي عنهم الكثير، لمعرفة شأن تفاسيرهم وقيمة رواياتهم وأخبارهم في تفسير القرآن العظيم، لكنّا نتعرّض لحال هؤلاء ـ الذين رووا عنهم اليسير ـ أيضاً ولو بإيجاز، فنقول:

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أُمّ القرى ٢ / ٨٣ ـ ٨٤، حوادث سنة ٦٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٨.

أنس بن مالك

أمّا أنس بن مالك الأنصارى، الملقّب بخادم رسول الله، وقد توفي صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن عشرين سنة. واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره. مات في البصرة.

فهذه عدّةٌ من مطاعنه المسقطة له عن العدالة، والموجبة له العار والخسران وعذاب النيران:

كتمانه الشهادة

فمنها: كتمانه الشهادة بحديث الغدير، مع أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام ناشده به، وطلب منه الشهادة، ودعا عليه لمّا كتم، فقد ذكر السيّد جمال الدين المحدّث الشيرازي في كتاب (الأربعين في فضائل أميرالمؤمنين) في بيان تواتر حديث الغدير:

ورواه زر بن حبيش فقال: خرج علي عليه السّلام من القصر، فاستقبله ركبان متقلّدي السيف، عليهم العمائم، حديثي عهد بسفر فقالوا: السّلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، السّلام عليك يا مولانا.

فقال علي عليه السّلام بعد ما ردّ السلام: من هاهنا من أصحاب رسول الله؟

فقام اثنا عشر رجلاً منهم: خالد بن زيد أبوأيّوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين، وثابت بن قيس بن شماس، وعمّار بن ياسر، وأبوالهيثم بن التّيهان، وهاشم بن عتبة بن

أبيوقّاص، وحبيب بن بديل بن ورقاء. فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه. الحديث.

فقال علي لأنس بن مالك والبراء بن عازب: ما منعكما أنْ تقوما فتشهدا، فقد سمعتما كما سمع القوم؟

فقال: اللهمّ إن كانا كتماها معاندةً فأبلهما; فأمّا البراء، فعمي، فكان يسأل عن منزله فيقول: كيف يرشد من أدركته الدعوة. وأمّا أنس، فقد برصت قدماه. وقيل: لمّا استشهده علي عليه السّلام على قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: من كنت مولاه فعلي مولاه واعتذر بالنسيان فقال: اللهمّ إن كانت كاذباً فأبله ببياض لا تواريه العمامة، فبرص وجهه، فسدل بعد ذلك برقعاً على وجهه.[1]

تحريف الحديث

وقد حرّف بعض علمائهم هذا الحديث، فوضع بدل الإسم الصريح كلمة «رجل» تستّراً على أنس بن مالك، وخجلاً ممّا كان منه ... فقد روى أبونعيم الحافظ في (حلية الأولياء):

حدّثنا سليمان بن أحمد، ثنا أحمد بن إبراهيم بن كيسان، ثنا إسماعيل ابن عمرو البجلي، ثنا مسعر بن كدام، عن طلحة بن مصرف، عن عميرة بن سعد قال: شهدت عليّاً على المنبر ناشداً أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفيهم أبوسعيد وأبوهريرة وأنس بن مالك، وهم حول المنبر وعلي على المنبر، وحول المنبر اثنا عشر رجلاً هؤلاء منهم. فقال علي: نشدتكم بالله هل سمعتم رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟

فقاموا كلّهم فقالوا: اللهمّ نعم، وقعد رجل، فقال: ما منعك أنْ تقوم؟

قال: يا أميرالمؤمنين! كبرت ونسيت.

فقال: اللهمّ إنْ كان كاذباً فاضربه ببلاء حسن.

قال: فما مات حتّى رأينا بين عينيه نكتةً بيضاء لا تواريها العمامة.

غريبٌ من حديث طلحة، تفرّد به مسعر عنه مطوّلاً، ورواه ابن عائشة عن إسماعيل مثله، ورواه الأجلح وهاني بن أيّوب عن طلحة مختصراً.[٢]

الكذب

ومنها: أنّه قد كذب في قضيّة الطائر المشوي المشهورة، وفي بعض الروايات إنه قد تكرّر ذلك منه:

قال الحاكم في (المستدرك) في الحديث:

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أنس، أُنظر من على الباب؟ قلت: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا عليٌّ بالباب، قلت: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله على حاجة.[٣]

وفي (كنز العمّال):

عن عمرو بن دينار، عن أنس قال: كنت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بستان، فأُهدي لنا طائر مشوي، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك، فجاء علي بن أبي طالب، فقلت: رسول الله صلّى الله عليه وآله مشغول، فرجع. ثمّ جاء بعد ساعة ودقّ الباب، ورددته مثل ذلك، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أنس! إفتح له، فطال ما رددته. فقلت: يا رسول الله! كنت أطمع أن يكون رجلاً من

---

(١) الأربعين في فضائل أميرالمؤمنين: مخطوط.

(٢) حلية الأولياء ٥ / ٢٦ ـ ٢٧، رقم ٢٩٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٣٢، كتاب معرفة الصّحابة.

الأنصار. فدخل علي بن أبي طالب فأكل معه من الطير، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المرء يحبّ قومه. كر وابن النجار.[1]

حضوره عند ابن زياد وهو ينكت ثنايا أبي عبدالله

ومنها: إنّه كان حاضراً عند عبيدالله بن زياد لمّا أُتي برأس الإمام أبي عبدالله الحسين الشهيد، فجعل ينكت ثناياه ويقرعها بالقضيب، قال البخاري:

عن أنس بن مالك قال: أُتي عبيدالله بن زياد برأس الحسين بن علي [عليه السّلام]، فجعل في طست، فجعل ينكت وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان مخضوباً بالوسمة.[2]

فقال العيني في (عمدة القاري):

قال سبط ابن الجوزي: أما كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أنس من الحقوق أن ينكر على ابن زياد فعله ويقبّح له ما وقع، من قرع ثنايا الحسين بالقضيب، لكن الفحل زيد بن أرقم فإنّه أنكر عليه.[1]

طعن أبي حنيفة فيه

وأنس بن مالك كان مطعوناً عند إمامهم الأعظم أبي حنيفة، ذكر ذلك الزندويستي الحنفي ـ ومن أكابر علماء القوم، وصفه الكفوي في (كتائبه) بأنّه «كان إماماً فقيهاً ورعاً»[2] وترجم له عبدالقادر في (طبقاته)[3] ـ حيث قال:

---

(١) كنز العمّال ١٣ / ١٦٧، رقم ٣٦٥٠٧.

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٢١٦، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنّه سئل فقيل له: إذا قلت قولاً، وكان كتاب الله تعالى يخالف قولك؟ قال: أترك قولي بكتاب الله تعالى، فقيل: إذا كان خبر الرسول يخالف قولك؟ قال: أترك قولي بخبر الرسول، فقيل: إذا كان قول الصّحابة يخالف قولك؟ فقال: أترك قولي بقول الصحابي، فقيل له: إذا كان قول التابعين يخالف قولك؟ قال: إذا كان التابعي رجلاً فأنا رجل.

ثمّ قال: أترك قولي بجميع قول الصّحابة إلاّ ثلاثة منهم: أبوهريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب. قال الفقيه أبوجعفر الهندواني رحمه الله: إنّما لم يترك قوله بقول هؤلاء الثلاثة لأنّهم مطعونون.[٤]

وقد روى محمّد بن سليمان الكفوي في (كتائب الأعلام) كلام أبي حنيفة حيث قال ـ بعد نقل كلام الصدر الشهيد في بيان وجه ترك أبي حنيفة أنس بن مالك وأباهريرة وعدم تقليدهما ـ وأمّا سمرة فما وجدت في نسختي ثمّ ظفرت في روضة الزندويستي في الباب السابع والتسعين في فضل الصّحابة قال فيه:

وتقليد الصّحابة يجوز أم لا؟ قال علماؤنا: في ظاهر الأُصول يجوز، وأقاويل جميع الصّحابة حجّة نعمل بها، حتّى روي عن أبي حنيفة أنّه سئل فقيل له: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالف قولك؟ قال: أترك قولي بكتاب الله وقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم. فقيل: إذا كان قول الصّحابة يخالف قولك؟

---

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ١٦ / ٢٤١.

(٢) كتائب أعلام الأخيار: مخطوط.

(٣) وذكره صاحب هديّة العارفين ١ / ٣٠٧ وأرّخ وفاته بحدود سنة ٤٠٠.

(٤) روضة العلماء: مخطوط.

قال: أترك قولي بقول الصّحابة. فقيل: إذا كان قول التابعين يخالف قولك؟ قال: هم رجال ونحن رجال.

ثمّ قال أبوحنيفة رحمه الله: أترك قولي بقول الصّحابة، إلاّ بقول ثلاثة منهم: أبوهريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب.

قال الفقيه أبوجعفر الهندواني: وإنّما لم يترك قوله بقول هؤلاء الثلاثة، لأنّهم مطعونون.[1]

وأيضاً: قال الكفوي في (كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب نعمان المختار):

قال الصدر الشهيد أيضاً: عن أبي حنيفة روايتان:

الأوّلى: أنّه قال أُقلّد من كان من القضاة المفتين من الصّحابة، لقوله: إقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وقد اجتمع في حقّهما القضاء والفتوى، فمن كان بمثابتهما مثل: عثمان وعلي والعبادلة الثلاثة وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وغيرهم ممّن كان في معناهم، فأُقلّدهم ولا أستجيز خلافهم برأيي، وخرج عن هذا جماعة منهم: أبوأمامة وسهل بن سعد الساعدي وأبوحميد الساعدي والبراء بن عازب وغيرهم.

والثانية: قال: أُقلّد جميع الصّحابة، ولا أستيجز خلافهم برأيي إلاّ ثلاثة نفر: أنس بن مالك وأبوهريرة وسمرة بن جندب.

فقيل له في ذلك.

---

(١) كتائب أعلام الأخيار: مخطوط.

فقال: أمّا أنس، فقد بلغني أنّه اختلط عقله في آخر عمره، وكان يستفتي من علقمة، وأنا لا أُقلّد علقمة، فكيف أُقلّد من يستفتي من علقمة؟[١]

كان يلبس الحرير

ومنها: إنّه كان يلبس الحرير كما في (الطبقات):

حدثنا عبدالسلام بن شدّاد أبوطالوت قال: رأيت على أنس عمامة خز وجبّة خزّ ومطرف خز.

فقالوا له ما لك تنهانا عن الخز وتلبسه أنت؟

فقال: إنّ أُمراءنا يكسوناها، فنحبّ أنْ يروه علينا.[٢]

هذا، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله كما في (صحيح البخاري):

عن أبي ذبيان خليفة بن كعب قال: سمعت ابن الزبير يقول: سمعت عمر يقول: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة.[٣]

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

قال: إنّما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة.[٤]

تقصيره الصّلاة وتركه الصّيام مدّة سنتين

ومنها: أنّه لمّا ولي سابور من قبل الحجّاج، بقي مدّة سنتين يقصّر الصلاة، ولا يصوم شهر رمضان، معتذراً بأنّه لا يدري مدّة بقائه هناك، ومتى يعزل؟

---

(١) كتائب أعلام الأخيار: مخطوط.

(٢) الطبقات الكبرى ٧ / ٢٣ ـ ٢٤، وفي النسخة «الخز» بدل «الحرير».

(٣) صحيح البخاري ٧ / ٤٤، كتاب اللباس، باب لبس الحرير ... .

(٤) المصدر ٧ / ٤٥.

روى ذلك أبوهلال العسكري في كتاب (الأوائل) الذي ترجم له العلماء وأثنوا عليه واعتمدوا على إخباراته ... قال السيوطي في (بغية الوعاة):

الحسن بن عبدالله بن سهل ... كان موصوفاً بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر، وكان يتبزّز احترازاً من الطمع والدناءة. روى عنه أبوسعد السمّان وغيره ... له من التصانيف: كتاب صناعتي النظم والنثر، مفيد جداً، والتلخيص في اللغة، جمهرة الأمثال، شرح الحماسة، من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، لحن الخاصة، الأوائل ... قال ياقوت: لم يبلغني شيء في وفاته، إلاّ أنّه فرغ من إملاء الأوائل يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥.[١]

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ١ / ٥٠٦، رقم ١٠٤٦.

أبوهريرة

وأمّا أبوهريرة، وهو أكثر الصّحابة حديثاً، وقد اختلف في إسلامه اختلافاً كثيراً، قالوا: أسلم عام خيبر، مات سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩.

فقوادحه ومطاعنه الشنيعة كثيرة، فمنها:

موالاته عدوّ عليّ

إنّه كان من المنحرفين عن أميرالمؤمنين، ومن المؤيّدين لمعاوية رئيس الفئة الباغية، حتّى لقد ذكّره الأصبغ بن نباتة بذلك، فلم يقل إلاّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقد روى سبط ابن الجوزي في (تذكرته) أنّه:

قال أصبغ: فقلت له: يا معاوية، لا تعتل بقتلة عثمان، فإنّك لا تطلب إلاّ الملك والسلطان، ولو أردت نصرته حيّاً لفعلت، ولكنّك تربّصت به وتقاعدت عنه لتجعل ذلك سبباً إلى الدنيا، فغضب، فأردت أن أزيده فقلت: يا أباهريرة، أنت صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أُقسم عليك بالله الذي لا إله إلاّ هو وبحقّ رسوله، هل سمعت رسول الله يقول يوم غدير خم في حقّ أميرالمؤمنين: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟

فقال: إي والله لقد سمعته يقول ذلك.

قال: فقلت: فإذن أنت يا أباهريرة واليت عدوّه وعاديت وليّه.

فتنفّس أبوهريرة وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فتغيّر وجه معاوية وقال: يا هذا! كفّ عن كلامك، فلا تستطيع أن تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان، فإنّه قتل مظلوماً ... .[١]

لعبة القمار والشطرنج

وذكروا أنّه كان يلعب بالشطرنج، وكان يقامر ... ففي (حياة الحيوان) ـ في كلام له عن الشطرنج ـ :

وروى الصعلوكي تجويزه عن عمر بن الخطّاب وأبي هريرة ... والمروي عن أبي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه.[٢]

وقال ابن الأثير:

وفي حديث بعضهم قال: رأيت أباهريرة يلعب السدر. السدر: لعبة يقامر بها، وتكسر سينها وتضم، وهي فارسية معربة [عن «سه در»]، عن ثلاثة أبواب.[٣]

وفي (مجمع البحار):

وحديث: رأيت أباهريرة يلعب السّدر ... .[٤]

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٩، «العقرب».

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٢٧٠، «سدر».

(٤) مجمع بحار الأنوار ٣ / ٥٣، «سدر».

وقد نصَّ علماء القوم على حرمة اللعب بالشطرنج، ونسب ابن تيميّة القول بالحرمة إلى جمهور العلماء، قال:

مذهب جمهور العلماء أنّ الشطرنج حرام، وقد ثبت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه مرّ بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، وكذلك النهي عنها معروف عن أبي موسى وابن عبّاس وابن عمر وغيرهم من الصّحابة. وتنازعوا في أيّهما أشدّ تحريماً: الشطرنج أو النرد؟ فقال مالك: الشطرنج أشدّ من النرد، وهذا منقول عن ابن عمر. وهذا لأنّها تشغل القلب بالفكر الذي يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة أكثر من النرد. وقال أبوحنيفة وأحمد: النرد أشد.[1]

أبوهريرة في نظر الصّحابة

وقد كان أبوهريرة متّهماً بالكذب والإختلاق على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عند الصّحابة، وعلى رأسهم أميرالمؤمنين عليه السّلام، وكان عمر وعثمان وعائشة أيضاً من الطاعنين عليه، قال ابن قتيبة ـ في بحث له مع بعضهم:

فأمّا طعنه على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلي وعائشة له، فإنّ أباهريرة صحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحواً من ثلاث سنين، وأكثر الرواية عنه، وعمَّر بعده نحواً من خمسين سنة، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ... فلمّا أتى من الرواية عنه [صلّى الله عليه وسلّم] بما لم يأتِ بمثله من صحبه من جلّة أصحابه

(١) منهاج السنّة ٣ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

والسابقين الأوّلين إليه، اتّهموه وأنكروا عليه وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه لتطاول الأيّام بها وبه، وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية.[١]

والمؤيّدات لما أفاده ابن قتيبة في كتب القوم كثيرة، ومن ذلك: قول الشمس الخلخالي بشرح الحديث عن أبي هريرة:

قوله: إنّكم تقولون. الخطاب للصحابة، أكثر أبوهريرة عن النبي. أي: أكثر الرواية عنه عليه السّلام، والله الموعد: أي: لقاء الله موعدنا يعني مرجعنا. يعني به يوم القيامة، فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لا محالة، لأنّ الأسرار تنكشف هنالك.[٢]

فالقائلون والمتكلّمون في إكثار أبي هريرة هم «الصّحابة» وقد كانوا يتّهمونه بالكذب، وفي يوم القيامة يظهر الصادق والكاذب!

وقول القاري في (المرقاة) بشرحه كذلك:

(وعنه) أي: عن أبي هريرة (قال: إنّكم) أي: معشر التابعين، وقيل الخطاب مع الصّحابة المتأخرين (تقولون: أكثر أبوهريرة)، أي الرواية (عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، والله الموعد)، أي: موعدنا، فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب، لأنّ الأسرار تنكشف هنالك. وقال الطّيبي: أي: لقاء الله الموعد، يعني به يوم القيامة، فهو يحاسبني على ما أزيد أو أنقص، لا سيّما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد قال: «من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار».[٣]

---

(١) تأويل مختلف الحديث: ٤١.

(٢) المفاتيح شرح المصابيح: مخطوط.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩ / ٣٧٩٩.

والحاصل: إنّ الصّحابة والتابعين كانوا يكذّبون أباهريرة، ولا يصدّقونه في روايته، ولا يعتمدون عليه ولا يأخذون بها، كما سيأتي عن عائشة.

وفي (الجمع بين الصحيحين) عن أبي رزين قال:

خرج إلينا أبوهريرة، فضرب بيده على جبهته فقال: ألا، إنّكم تحدّثون أنّي أكذب على رسول الله ... .[1]

وفي هذا دليل واضح على أنّه كان في نظر القوم مفترياً على رسول الله ...

وأمّا ما أشار إليه ابن قتيبة من ردود عائشة عليه، وأنّه قد طال ذلك بينهما، فإنّ موارد ردّها عليه كثيرة، يجدها المتتبّع في كتب القوم.

تكذيب عائشة أباهريرة

من ذلك: حديثه عن رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم]:

من لم يوتر فلا صلاة له، فبلغ ذلك عائشة فقالت: [و] من سمع هذا من أبي القاسم؟ والله ما بعد العهد وما نسيت، ... .[2]

ومن ذلك: حديثه في شرّ الثلاثة:

ولمّا سمعت أباهريرة يروي أنّ ولد الزنا شرّ الثلاثة قالت: كيف يصحّ هذا؟ وقد قال الله تعالى: (**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى**).[3][4]

---

(١) الجمع بين الصحيحين ٣ / ٩٢، رقم ٢٣٣٣.

(٢) المعجم الأوسط ٤ / ٢١٥.

(٣) سورة الانعام: الآية ١٢٤.

(٤) الأُصول للسرخسي ١ / ٣٤١.

وروي أنّ عائشة قالت لابن أُختها:

ألا تعجب من كثرة رواية هذا الرجل، ورسول الله حدّث بأحاديث لو عدّها عادٌّ لأحصاها.[1]

وهذا الحديث أبطله ابن عمر أيضاً، والغالب على الظنّ أنّهم يريدون بذلك الحماية عن أسلافهم وأكابرهم ... فلا تغفل!! ففي (كنز العمّال):

عن ميمون بن مهران: إنّه شهد ابن عمر صلّى على ولد الزنا، فقيل له: إنّ أباهريرة لم يصلّ عليه وقال: هو شرّ الثلاثة، فقال ابن عمر: هو خير الثلاثة.[2]

ومن ذلك: حديثه إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمسنّ يده في الإناء، فقد أبطلته عائشة ووافقها ابن عبّاس.[3]

ومن ذلك: حديثه في المشي في خفّ واحد، فقد روى ابن أبي شيبة، عن ابن عيينة، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة كانت تمشي في خفّ واحد وتقول:

لأُخيفنَّ أباهريرة.[1]

فإنّ هذا تكذيب منها لأبي هريرة، ولا معنى له سوى ذلك، لأنّه قد ادّعى سماع النهي عن المشي في خفّ واحد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقد جاء في (الجمع بين الصحيحين):

عن أبي هريرة: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لا يمش أحدكم في نعل واحد، ولينعلهما جميعاً أو ليخلعهما جميعاً. وفي رواية القعنبي: ليحفهما جميعاً أو لينعلهما جميعاً.

---

(١) المصدر.

(٢) كنز العمّال ٥ / ٤٦١، رقم ١٣٦١٧ و ١١ / ٨٥، رقم ٣٠٧١٦.

(٣) شرح العضدي على مختصر ابن الحاجب ١ / ١٨٤.

وأخرجه مسلم من حديث الأعمش عن أبي رزين قال: خرج إلينا أبوهريرة، فضرب بيده إلى جبهته فقال: ألا إنّكم تحدّثون أنّي أكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لتهتدوا وأضل، ألا وإنّي أشهد لسمعت رسول الله يقول: إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشي في الأُخرى حتّى يصلحها.[٢]

فهو يؤكّد على أنّه قد سمع من رسول الله ذلك ... وقد كذّبته عائشة، لأنّ من قال سمعته يقول كذا وكذا لا يتطرَّق إليه إلاّ التكذيب، وهذا ما نصّ عليه ابن القيّم حيث قال:

ومعلوم قطعاً، أنّ تطرّق الوهم والغلط إلى من أخبر عما فهمه هو من فعله يظنّه كذلك أولى من تطرق التكذيب إلى من قال سمعته يقول كذا وكذا أو أنّه

لم يسمعه، فإنّ هذا لا يتطرّق إليه إلاّ التكذيب، بخلاف خبر من أخبر عمّا ظنّه من فعله وكان واهماً، فإنّه لا ينسب إلى الكذب. ولقد نزّه الله عليّاً وأنساً والبراء وحفصة عن أن يقولوا سمعناه يقول كذا ولم يسمعوه.[٣]

ولتكنْ هذه الإفادة من ابن القيّم منك على ذكر، فإنّها تفيد فائدةً عظيمةً في مواقع شتّى، ثبت فيها ردّ بعض الصّحابة على بعض فيما رووه من الأحاديث، وادّعوا سماعه من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومن ذلك: حديثه: الشؤم في ثلاثة ... إذ أنكرته عائشة وغضبت على أبي هريرة بشدّة، قال أبوزرعة ولي الدين العراقي في (شرح الأحكام):

---

(١) المصنّف لابن أبي شيبة ٦ / ٤٢، رقم ٣، الباب ٣٦.

(٢) الجمع بين الصحيحين ٣ / ٩٢، رقم ٢٣٣٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢ / ١٢١، ما جاء عنه في الحج والعمرة، فصلٌ في أعذار الذين وهموا في صفة حجّته.

الثالثة: اختلف النّاس في هذا الحديث على أقوال، أحدها: إنكاره، وإنّه عليه الصّلاة والسّلام إنّما حكاه عن معتقد أهل الجاهليّة. رواه ابن عبدالبر في التمهيد عن عائشة رضي الله عنها، أنّها أخبرت أنّ أباهريرة رضي الله عنه يحدّث بذلك عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، فطارت شقّة منها في السماء وشقّة في الأرض، ثمّ قالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدّث عنه بهذا؟ ولكن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: كان أهل الجاهليّة يقولون: الطيرة في المرأة والدّار والدّابّة، ثمّ قرأت عائشة: (**ما أَصابَ مِنْ مُصيبَة فِي الأَرْضِ وَلا في أَنْفُسِكُمْ إِلاّ في كِتاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ**).[1]

وهذا الحديث رواه ابن قتيبة أيضاً، قال:

حدّثني محمّد بن يحيى القطيعي قال: حدّثنا عبدالأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي حسّان الأعرج: إنّ رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إنّ أباهريرة يحدّث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: إنّما الطيرة في المرأة والدابّة والدار، فطارت شفقاً ثمّ قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم، من حدّث بهذا عن رسول الله؟ إنّما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كان أهل الجاهليّة يقولون: إنّ الطيرة في الدابّة والمرأة والدار، ثمّ قرأت (**ما أَصابَ مِنْ مُصيبَة فِي الأَرْضِ وَلا في أَنْفُسِكُمْ إِلاّ في كِتاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها**).[2]

تحريف معنى الحديث

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٩ / ٢٨٩.

(٢) تأويل مختلف الحديث: ٩٨ ـ ٩٩.

ومنهم من تأوّل هذا الحديث تأويلاً عجيباً، وحرّفه تحريفاً معنويّاً، إذ حمل «الكذب» على «الغلط»، فقد قال أبوزرعة بعد العبارة السابقة:

قال ابن عبدالبر: و«كذب» في كلامها بمعنى «غلط».

وهو مردود بوجوه:

الأوّل: إنّه لم يأت له بشاهد من الكتاب والسنّة، وكلمات الفصحاء، وأئمّة اللّغة الثقات.

والثاني: إنّه خلاف المتبادر من لفظ «الكذب»، وأيّ مورد ثبت فيه استعماله بمعنى «الغلط» فهو مجاز.

والثالث: إنّه خلاف السّياق، لأنّ «الغلط» من المجتهد مأجور عليه، فضلاً عن أن يستوجب الغضب والسّخط، لكنّ عائشة لمّا سمعت هذا عن أبي هريرة طارت شقّة منها في السماء وشقّة في الأرض، وهذا لا يتناسب مع «الخطأ» و«الغلط» الذي لم يخلُ منه عائشة أيضاً.

وفي (فتح الباري):

روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان: إنّ رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا: إنّ أباهريرة قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: الطيرة في الفرس والمرأة والدار. فغضبت غضباً شديداً وقالت: ما قاله، وإنّما قال: إنّ أهل الجاهليّة كانوا يتطيّرون من ذلك.[1]

تكذيب عمر أباهريرة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦ / ٤٦.

وعمر بن الخطّاب أيضاً ممّن كذّب أباهريرة، بل توعّده وهدّده، قال السرخسي في كتاب (الأُصول):

ولمّا بلغ عمر أنّ أباهريرة يروي ما لا يعرف قال: لتكفّنّ عن هذا أو لألحقنّك بجبال دوس.[1]

وفي (كنز العمّال):

عن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو لألحقنّك بأرض دوس. وقال لكعب: لتتركنّ الحديث أو لألحقنّك بأرض القردة. كر.[2]

فلولم يكن أبوهريرة يستحقُّ هذا التهديد والتحقير لكان عمر ظالماً جائراً، ولو كان أبوهريرة صادقاً في إخباراته ورواياته عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، لكان عمر مانعاً من إشاعة أقوال النبي وإرشاداته وأحكام الشّريعة وآدابها ... وهذا ما لا تحتمله نفوس القوم.

عزله عن البحرين وهتكه

وأيضاً، فقد عزله عن البحرين، ونسبه إلى السرقة، وهتك ناموسه وفضحه على رؤوس الأشهاد ... قال الزمخشري في (الفائق):

أبوهريرة: استعمله عمر على البحرين، فلمّا قدم عليه قال له: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله، سرقت من مال الله؟! فقال: لست بعدوّ الله ولا عدوّ رسوله، ولكنّي عدوّ من عاداهما، وما سرقت ولكنّها سهام اجتمعت ونتاج خيل. فأخذ منه عشرة آلاف درهم، فألقاها في بيت المال، ثمّ دعاه إلى العمل

---

(١) الأُصول للسرخسي ١ / ٣٤١.

(٢) كنز العمّال ١٠ / ٢٩١، رقم ٢٩٤٧٢.

فأبى، فقال عمر: فإنّ يوسف قد سأل العمل، فقال: إنّ يوسف منّي بريء وأنا منه براء، وأخاف ثلاثاً واثنتين. قال: أفلا تقول خمساً؟ قال: أخاف أنْ أقول بغير حكم، وأقضي بغير علم، وأخاف أنْ يضرب ظهري، وأن يشتم عرضي، وأن يؤخذ مالي.[1]

فكان أبوهريرة ـ في رأي عمر ـ يستحقّ العزل والإهانة والهتك ومصادرة الأموال، حتّى خاطبه بـ «عدوّ الله وعدوّ رسوله»، ومن كان هذا حاله في نظر خليفتهم، كيف يكون أهلاً لأنْ يؤخذ منه معالم الدين من التفسير وغيره؟

أبوهريرة عند أبي حنيفة

وكان أبوهريرة مطعوناً عند أبي حنيفة أيضاً، كما جاء في (روضة العلماء) في بيان وجه ترك أبي حنيفة روايات أبي هريرة وسمرة وأنس، حيث قال نقلاً عن أبي جعفر الهندواني:

أمّا أبوهريرة، فإنّه روى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: من أصبح جنباً فلا صوم له، قالت عائشة رضي الله عنها: أخطأ أبوهريرة، لأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يصبح جنباً من غير احتلام، ثمّ يتمّ صومه وذلك في رمضان، قال أبوهريرة: هي أعلم، كنت سمعته من الفضل بن عبّاس، والفضل كان يومئذ ميّتاً، فقد أحال خبره إلى الميّت، فصار مطعوناً.[2]

وأورده الكفوي في (كتائب الأعلام) كذلك ...

وفيه ـ نقلاً عن الصدر الشهيد ـ في وجه عدم تقليد أبي حنيفة أباهريرة:

---

(١) الفائق في غريب الحديث ١ / ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) روضة العلماء: مخطوط.

وأمّا أبوهريرة، كان يروي كلّ ما بلغه وسمع، من غير تأمّل في المعنى.[١]

أبوهريرة عند عيسى بن أبان

وفي (روضة العلماء) أيضاً:

وقال عيسى بن أبان: أُقلّد أقاويل جميع الصّحابة إلاّ ثلاثة منهم: أبوهريرة ووابصة بن معبد وأبوسنابل بن بعل.[٢]

فلماذا يخالف حنفيّة اليوم إمامهم في آرائه وفتاواه؟[٣] مع أنّ المستفاد من الكتب اتّباع السابقين منهم له في الطعن في أبي هريرة، ففي (المحلّى) في مسألة الخيار:

وأمّا احتجاج أبي حنيفة بحديث المصراة، فطامّة من طوام الدهر، وهو أوّل مخالف له وزار عليه وطاعن فيه، ومخالف كلّ ما فيه، فمرّةً يجعله ذو التورّع منهم منسوخاً بتحريم الربا، وكذبوا في ذلك، ما للربا هاهنا مدخل، ومرّةً يجعلونه كذباً ويعرّضون بأبي هريرة، والله تعالى يخزيهم [يجزيهم] بذلك في الدنيا والأُخرى، وهم أهل الكذب لا الفاضل البرّ أبوهريرة رضي الله عنه وعن جميع الصّحابة، وكبّ الطاعن على أحد منهم لوجهه ومنخريه.[٤]

فإنّ ظاهر هذا الكلام متابعة الحنفيّة لإمامهم في رأيه حول أبي هريرة، حتّى دعا عليهم ابن حزم وتكلّم فيهم ...

---

(١) كتائب أعلام الأخيار: مخطوط.

(٢) روضة العلماء: مخطوط.

(٣) وهو: فقيه العراق، تلميذ محمد بن الحسن، وقاضي البصرة، توفي سنة ٢٢١ كذا في سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٤٠، وتوجد ترجمته في تاريخ بغداد ١١ / ١٥٧ والجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة ١ / ٤٠١ وغيرهما.

(٤) المحلّى ٨ / ٣٧٢، كتاب البيوع.

ويستفاد ذلك أيضاً من كلام الفخر الرازي في رسالته في (مناقب الشافعي) إذ قال:

وأمّا أصحاب أبي حنيفة، فإنّ أمرهم في باب الخبر والقياس عجيب. فتارةً يرجّحون القياس على الخبر، وتارةً بالعكس من ذلك. أمّا الأوّل فهو إنّ مذهبنا أنّ التصرية سبب يثبت للردّ، وعندهم ليس كذلك. ودليلنا: ما أُخرج في الصحيحين عن أبي هريرة ...

واعلم أنّ الخصوم لمّا لم يجدوا لهذا الخبر تأويلاً البتّة، بسبب أنّه مفسّر في محلّ الخلاف، الطعن في أبي هريرة وقالوا: إنّه كان متساهلاً في هذه الرواية، وما كان فقيهاً ... .[1]

فإنّ المراد من أصحاب الرأي هم الحنفيّة كما هو واضح.

ويستفاد أيضاً من كلام ابن حجر في (فتح الباري):

قال الحنابلة: واعتذر الحنفيّة عن الأخذ بحديث المصراة بأعذار شتّى، فمنهم من طعن في الحديث، لكونه من رواية أبي هريرة، ولم يكن كابن مسعود وغيره من فقهاء الصّحابة، فلا يؤخذ بما رواه مخالفاً للقياس الجلي، وهو كلام آذى قائله به نفسه، وفي حكايته غنىً عن تكلّف الردّ عليه ... وقال ابن السمعاني في الإصطلام: التعرّض إلى جانب الصّحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة ... .[1]

أبوهريرة عند محمّد بن الحسن

وأبوهريرة مطعون عند محمّد بن الحسن الشيباني أيضاً، قال ابن حزم في (المحلّى) في مسألة أحقّيّة البائع بالمتاع إذا أفلس:

---

(١) مناقب الإمام الشافعي: ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

روينا من طريق أبي عبيد أنّه ناظر في هذه المسألة محمّد بن الحسن، فلم يجد عنده أكثر من أنْ قال: هذا من حديث أبي هريرة.

قال أبوعلي: نعم، هو والله من حديث أبي هريرة البرّ الصّادق، لا من حديث مثل محمّد بن الحسن الذي قيل لعبدالله بن المبارك: من أفقه، أبويوسف أو محمّد بن الحسن؟ فقال: قل: أيّهما أكذب.[٢]

ترجمة محمّد بن الحسن الشيباني

وكلام ابن حزم ناشئ من تعصبه لأبي هريرة، ومن أنّه من أهل الظّاهر المخالفين لأهل الرأي، ومحمد بن الحسن من أئمّتهم، وقد وصفه الذهبي بالعلاّمة فقيه العراق، قال: روى عن أبي حنيفة ومسعر ومالك بن مغول والأوزاعي ومالك بن أنس ـ أخذ عنه: الشافعي فأكثر جدّاً، ... وقد سقت أخباره في جزء مفرد ... وكان مع تبحّره في الفقه يضرب بذكائه المثل ... توفّي سنة ١٨٩ بالرّي.[٣]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤ / ٣٠٥، كتاب البيوع.

(٢) المحلّى ٨ / ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٩ / ١٣٤.

عبدالله بن عمر

وأمّا عبدالله بن عمر، ولا حاجة إلى ذكر ترجمته. توفّي سنة ٧٣.

فإنّ من يقرأ سيرته يشهد بكونه من المنحرفين عن أميرالمؤمنين وأهل البيت الطّاهرين عليهم السّلام، وله مساوئ غير ذلك.

إباؤه عن البيعة لأميرالمؤمنين

فأوّل ما يجده هو امتناعه عن البيعة لأميرالمؤمنين عليه السّلام بعد مقتل عثمان ابن عفّان، وقد بايعه جمهور المسلمين إلاّ من شذّ، وقد جاء في الأخبار أنّ بعضهم قد ندم بعد ذلك، ولات حين مندم!

ومن هؤلاء عبدالله بن عمر ... فإنّه روى ابن عبدالبر وابن الأثير وغيرهما بترجمته بأسانيدهم، عن حبيب بن أبي ثابت وعن غيره قال:

قال ابن عمر حين حضرته الوفاة: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلاّ أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب.[١]

وقد نصّ ابن حجر في (فتح الباري) على إباء ابن عمر عن البيعة مع الإمام عليه السّلام، وستسمع كلامه.

وقال سبط ابن الجوزي في (تذكرة خواصّ الأُمّة):

قال ابن جرير: وممّن امتنع من بيعته: حسان بن ثابت، وأبوسعيد الخدري، والنعمان بن بشير، ورافع بن خديج، في آخرين. وفي زيد بن ثابت ومحمّد بن مسلمة خلاف. وقال غير ابن جرير: لم يبايعه قدامة بن مظعون وعبدالله بن سلام والمغيرة بن شعبة وعبدالله بن عمر وسعد وصهيب وزيد بن ثابت وأُسامة بن زيد وكعب بن مالك. وهرب قوم إلى الشام وهؤلاء يسمّون العثمانيّة.[٢]

بيعته ليزيد بن معاوية

لكن ابن عمر بايع يزيد بن معاوية، كما في كتابي (البخاري) و(مسلم)[٣] وغيرهما من مصادر الحديث والتاريخ ... بل لقد دافع عن ذلك وحمل أهله وولده والناس على البيعة ... وإذا ثبت أنّه قد بايع ليزيد، فقد ثبت كفره بلا ريب، لأنّ الرضا بإمام باطل كفر، كما نصّ عليه أئمّة القوم ... قال أبوشكور محمّد بن عبدالسعيد الكشفي الحنفي في (التمهيد في بيان التوحيد):

ثمّ كلّ سؤال من جهة الخصم يكون مردوداً، لموافقة علي لأبي بكر، لأنّه وإنْ لم يبايعه فسكت ولم يخالفه، وقد بيّنّا أنّه بايعه بدليل ما ذكرنا، ولو لم يصحّ

---

(١) الإستيعاب ٣ / ٩٥٣.

(٢) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٦١.

(٣) صحيح البخاري ٨ / ٩٩، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثمّ خرج فقال بخلافه ، صحيح مسلم ٦ / ٢٢، كتاب الإمارة.

خلافة أبي بكر لا يكون إماماً حقّاً، لكان لا يجوز السكوت به والإغماض عنه، لأنّ من رضي بإمام باطل فإنّه يكفر.

هذا، وقد دافع بعض علماء الهند عن ابن عمر، بحمل بيعته ليزيد على التقيّة والإضطرار، لكنّهم غفلوا عمّا شنّع به أكابر طائفتهم على أهل الحق للقول بالتقيّة والعمل بها ... لا سيّما في مقابلة القول بأنّ بيعة أميرالمؤمنين وأصحابه مع المشايخ كانت عن تقيّة واضطرار، فكيف يصحّ مع هذا حمل بيعة ابن عمر مع يزيد على التقيّة؟

وممّا يشهد بعدم كون بيعة عبدالله بن عمر هذه عن التقيّة: تعجّب الزهري من ذلك، فيما رواه عنه سبط ابن الجوزي حيث قال:

قال الزهري: والعجب أنّ عبدالله بن عمر وسعد بن أبيوقّاص لم يبايعا عليّاً، وبايعا يزيد بن معاوية.[1]

ومن هنا، نجد أنّ بعض علماء الهند لمّا رأى ركاكة هذا العذر، التجأ إلى إنكار البيعة من أصلها ... لكنّ بيعته له من الأُمور الثابتة غير القابلة للنفي والإنكار ... كما أنّ موقفه من أهل المدينة وخلعهم يزيد بن معاوية مشهور ثابت:

قال ابن بطال في (شرح البخاري):

بابٌ: إذا قال عند قوم شيئاً ثمّ خرج فقال بخلافه: ... معنى الترجمة إنّما هو في خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، ورجوعهم عن بيعته وما قالوا له، وقالوا بغير حضرته خلاف ما قالوا بحضرته،

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٦١.

وذلك أنّ ابن عمر بايع يزيد بن معاوية فقال عنده بالطاعة لخلافته، ثمّ خشي على بنيه وحشمه النكث مع أهل المدينة، حيث نكثوا بيعة يزيد، فجمعهم ووعظهم وأخبرهم أنّ النكث أعظم الغدر.[1]

وقال ابن حجر بشرحه:

ووقع عند الإسماعيلي من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حمّاد بن زيد، في أوّله من الزيادة، عن نافع: أنّ معاوية أراد ابن عمر على أن يبايع ليزيد، فأبى وقال: لا أُبايع لأميرين، فأرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم فأخذها، فدّس إليه رجلاً فقال له: ما يمنعك أن تبايع؟ فقال: إنّ ذاك لذاك، يعني عطاء ذلك المال لأجل وقوع المبايعة، إنّ ديني عندي إذاً لرخيص، فلمّا مات معاوية كتب ابن عمر إلى يزيد ببيعته، فلمّا خلع أهل المدينة، فذكره ... .[2]

وقال ابن حجر في «باب ما كان من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة» من كتاب المزارعة في شرح حديث نافع: «إنّ ابن عمر كان يكري مزارعه على عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر وعثمان وصدراً من إمارة معاوية»:

قوله: وصدراً من إمارة معاوية، أي خلافته، وإنّما لم يذكر ابن عمر خلافة عليّ، لأنّه لم يبايعه، لوقوع الاختلاف عليه، كما هو مشهور في صحيح الأخبار، وكان رأي أنّه لا يبايع لمن لم يجتمع عليه الناس، ولهذا لم يبايع أيضاً لابن الزبير ولا لعبدالملك، في حال اختلافهما، وبايع ليزيد بن معاوية، ثمّ لعبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير.[3]

---

(١) شرح صحيح البخاري ١٠ / ٥٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٦٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥ / ١٨.

وقال الشهاب القسطلاني:

عن نافع مولى ابن عمر أنّه قال: لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، وكان ابن عمر لمّا مات معاوية كتب إلى يزيد ببيعته ... .[1]

ثمّ إنّهم رووا عن ابن عمر أنّه مدح يزيد في جمع من خلفائهم وقال:

كلّهم صالح لا يوجد مثله ... .

ومن رواته السيوطي في (تاريخ الخلفاء) وهذه عبارته:

أخرج ابن عساكر عن عبدالله بن عمر قال: أبوبكر الصدّيق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، ابن عفّان ذوالنّورين قتل مظلوماً يؤتى كفلين من الرّحمة، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدّسة، والسّفاح وسلام والمنصور وجابر والمهدي والأمين وأمير الغضب، كلّهم من بني كعب بن لؤي، كلّهم صالح لا يوجد مثله. قال الذهبي: له طرق عن ابن عمر، ولم يرفعه أحد.[2]

فمن العجيب جدّاً، أنْ يمتنع ابن عمر عن البيعة لأميرالمؤمنين، ثمّ يبايع يزيد ويمدحه بمثل هذا الكلام؟

بل إنّه كان لا يربّع بالإمام عليه السّلام، كما هو ظاهر الحديث المتقدّم وصريح الحديث في (كنز العمّال) إذ قال:

---

(١) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ١٠ / ١٩٩، رقم ٧١١١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٢٩، يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

عن عبدالله بن عمر قال: يكون على هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة: أبوبكر الصدّيق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، عثمان بن عفّان ذوالنّورين قتل مظلوماً أُوتي كفلين من الرحمة، ملك الأرض المقدّسة معاوية وابنه، ثمّ يكون السفّاح والمنصور وجابر والأمين وسلام وأمير العصب، لا يُرى مثله ولا يدرى مثله، كلّهم من بني كعب بن لؤي ... .[1]

هذا، ولا يخفى أنّه قد ورد هذا الكلام في بعض نسخ الكتابين المذكورين عن «عبدالله بن عمرو» بدلاً عن «عبدالله بن عمر»، وسواء كان ابن عمر أو ابن عمرو بن العاص أو كلاهما، فإنّه يدلُّ على كفر قائله وضلاله.

ابن عمر في نظر عائشة

وقد أكثرت عائشة من الردّ على عبدالله بن عمر، وأبطلت قوله في مسائل عديدة، فقد أخرج مسلم في (الصحيح) قال:

حدّثني هارون بن عبدالله، أخبرنا محمّد بن بكر البرساني، أخبرنا ابن جريج قال: سمعت عطاء يخبر قال: أخبرني عروة بن الزبير قال: كنت أنا وابن عمر مستسندين إلى حجرة عائشة، وإنّا لنسمع ضربها بالسواك تستن.

قال: فقلت: يا أباعبدالرحمن! اعتمر النبي صلّى الله عليه وسلّم في رجب؟

قال: نعم.

فقلت لعائشة: يا أُمتاه! ألا تسمعين ما يقول أبوعبدالرحمان؟

قالت: وما يقول؟

---

(١) كنز العمّال ١١ / ٢٥٢، رقم ٣١٤٢١.

قلت: يقول: اعتمر النبي صلّى الله عليه وسلّم في رجب.

فقالت: يغفر الله لأبي عبدالرحمن، لعمري ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمرة إلاّ وإنّه لمعه. قال: وابن عمر يسمع، فما قال لا ولا نعم، سكت.[1]

وقال ابن القيّم في (زاد المعاد):

أمّا عذر من قال: اعتمر في رجب، فحديث عبدالله بن عمر: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم اعتمر في رجب، متفق عليه، وقد غلّطته عائشة وغيرها كما في الصحيحين عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبدالله بن عمر جالساً إلى حجرة عائشة، وإذا ناس يصلّون في المسجد صلاة الضّحى. قال: فسألناه عن صلاتهم، فقال: بدعة. قلنا له: كم اعتمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: أربعاً، إحداهنّ في رجب. فكرهنا أن نردّ عليه.

قال: وسمعنا استنان عائشة أُمّ المؤمنين في الحجرة، فقال عروة: يا أمّاه! ألا تسمعين ما يقول أبوعبدالرحمن؟

قالت: ما يقول؟

قال: يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اعتمر أربع عُمَر، إحداهنّ في رجب.

قالت: يرحم الله أباعبدالرحمان، ما اعتمر [رسول الله] عمرة قط إلاّ وهو شاهد، وما اعتمر في رجب قط. وكذلك قال أنس وابن عبّاس أنّ عمره كلّها كانت في ذي القعدة، وهذا هو الصواب.[2]

وفي (صحيح البخاري):

---

(١) صحيح مسلم ٤ / ٦١، كتاب الحج.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢ / ١١٨، فصل في أعذار القائلين بهذه الأقوال وبيان منشأ الوهم والغلط.

عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبدالله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة، وإذا أُناس يصلّون في المسجد صلاة الضّحى. قال: فسألناه عن صلاتهم؟ فقال: بدعة. ثمّ قال له: كم اعتمر النبي صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: أربع، إحداهنّ في رجب. فكرهنا أن نردّ عليه.

قال: وسمعنا استنان عائشة أُم المؤمنين في الحجرة، فقال عروة: يا أُمّاه! [يا أُمّ المؤمنين] ألا تسمعين ما يقول أبوعبدالرحمن؟

قالت: ما يقول؟

قال: يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اعتمر أربع عمرات، إحداهنّ في رجب.

قالت: يرحم الله أباعبدالرحمن، ما اعتمر عمرة إلاّ وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط.[١]

وأخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن أبي مليكة:

قال: توفّيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكّة، وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عبّاس رضي الله عنهما ... فقال عبدالله بن عمر لعمرو بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه.

فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: قد كان عمر يقول بعض ذلك ... ذكرت ذلك لعائشة فقالت: يرحم الله عمر، والله ما حدّث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّ الله ليعذّب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إنّ الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه.

وقالت عائشة: حسبكم القرآن (**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى**) ... .

قال ابن أبي مليكة: والله ما قال ابن عمر شيئاً.[٢]

وأخرج الطبراني عن موسى بن طلحة:

قال: بلغ عائشة أنّ ابن عمر يقول: موت الفجأة سخطة على المؤمنين.

فقالت [عائشة]: يغفر الله لابن عمر، إنّما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: موت الفجأة تخفيف على المؤمنين وسخطة على الكافرين.[٣]

وأخرج أحمد، عن يحيى بن عبدالرحمان، عن ابن عمر، عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

الشهر تسع وعشرون، فذكروا ذلك لعائشة، فقالت: يرحم الله أباعبدالرحمن، إنّما قال الشهر لم ترد يكون تسعاً وعشرين.[٤]

وأخرج البخاري عن ابن عمر:

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: إنّ بلالاً يؤذّن بليل، فكلوا واشربوا حتّى يؤذّن أو قال حتّى تسمعوا أذان ابن أُم مكتوم.[٥]

والبيهقي، عن عروة، عن عائشة:

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ٣، أبواب العُمرة ـ باب كم اعتمر النبي صلّى الله عليه وآله.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٨٠ ـ ٨١، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلّى الله عليه وسلّم يُعذّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه، صحيح مسلم ٣ / ٤٢، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) المعجم الأوسط ٣ / ٢٧٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٥١.

(٥) صحيح البخاري ٣ / ١٥٢، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى.

قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ ابن أُمّ مكتوم رجل أعمى، فإذا أذّن فكلوا واشربوا حتّى يؤذّن بلال، قالت عائشة: وكان بلال يبصر الفجر، قال هشام: وكانت عائشة تقول غلط ابن عمر.[١]

فقال ابن حجر بشرحه:

جاء عن عائشة أيضاً أنّها كانت تنكر حديث ابن عمر وتقول: إنّه غلط، أخرج ذلك البيهقي، من طريق الدراوردي، عن هشام، عن أبيه عنها. فذكر الحديث وزاد: قالت عائشة: وكان بلال يبصر الفجر. قال: وكانت عائشة تقول: غلط ابن عمر.[٢]

ابن عمر عند سائر الصّحابة

وهكذا، فقد ردّ عليه سائر الصّحابة أقواله وأبطلوا آرائه، قال السيوطي في كتاب (الإتقان في علوم القرآن):

وإنْ عبّر واحد بقوله: نزلت في كذا، وصرّح الآخر بذكر سبب خلافه، فهو المعتمد، وذاك استنباط. مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: أُنزلت (**نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**) في إتيان النساء في أدبارهنّ، وتقدّم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه، فالمعتمد حديث جابر، لأنّه نقل، وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهّمه فيه ابن عبّاس، وذكر مثل حديث جابر، كما أخرجه أبوداود والحاكم.[٣]

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١ / ٣٨٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢ / ٨٥.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٩٤، رقم ٣٦٧.

عبدالله بن عمرو بن العاص

وأمّا عبدالله بن عمرو بن العاص، قال ابن الأثير: أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا عالماً، قرأ القرآن والكتب المتقدمة ... توفّي سنة ٦٣، وقيل سنة ٦٥ بمصر. وذكر أقوالا أُخرى.

هو الذي أدخل الإسرائيليّات

فقد كان تفسيره «ممّا يحمله عن أهل الكتاب» كما نصَّ عليه السيوطي، وهذا يكفي للدلالة على عدم الإعتبار بتفسيره.

وتوضيح ذلك : أنّهم ذكروا أنّه قد حصل في حرب اليرموك على كتب لأهل الكتاب، فكان ينقل عنها الأخبار الإسرائيليّات ويحدّث بها، ولذا قسّموا الصّحابي إلى من أخذ عن الإسرائيليّات ومن لم يأخذ. قال القاري:

الذي عرف بالنظر في الإسرائيليّات كعبدالله بن سلام وكعبدالله بن عمرو بن العاص، فإنّه كان حصل له في وقعة اليرموك كتب كثيرة من كتب أهل الكتاب، وكان يخبر بما فيها من الأُمور المغيبة،

حتّى كان بعض أصحابه ربّما قال:

حدّثنا عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ولا تحدّثنا من الصحيفة. ذكر السّخاوي.[1]

وقال اللّقاني في (الوطر من نزهة النظر):

مثال الصّحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليّات: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي. ومثال من أخذ: عبدالله بن سلام، وقيل: عبدالله بن عمرو بن العاص، فإنّه لمّا فتح الشام، أخذ حمل بعير من كتب أهل الكتاب وكان يحدّث منها، فلذا اتّقاه الناس فقلَّ حديثه، وإنْ كان أكثر حديثاً من أبي هريرة باعترافه، والمراد بها قصص بني إسرائيل وما جاء في كتبهم.

وعلى الجملة، فالرجل ممّن يُتّقى حديثه ... فلا حاجة إلى ذكر سائر مطاعنه ... ومع ذلك نذكر شيئاً منها:

خروجه لقتال الإمام في صفّين

ومن أعظم معاصيه، بل من أكبر الأدلّة على كفره: خروجه لحرب أميرالمؤمنين عليه السّلام في صفّين، ثمّ إنشاؤه الأشعار في التبجّح والافتخار بذلك!

فقد أخرج الحاكم في (المستدرك) قال:

قال له أبوه يوم صفّين: أخرج فقاتل. قال: يا أبتاه، أتأمرني أن أخرج فأُقاتل، وقد كان من عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما قد سمعت، قال: أُنشدك بالله، أتعلم أنّ ما كان من عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إليك أنّه أخذ بيدك فوضعها في يدي فقال: أطع أباك عمرو بن العاص؟ قال: نعم، قال: فإنّي آمرك أن تقاتل، قال: فخرج يقاتل، فلمّا وضعت الحرب، قال عبدالله:

---

(١) شرح نخبة الفكر: ٥٤٩.

لو شهدت جمل مقامي ومشهدي *** بصفّين يوم شاب منها الذوائب

عشيّة جاء أهل العراق كأنّهم *** سحاب ربيع زعزعته الجنائب

إذا قلت قد ولّوا سراعاً ثبتت لنا *** كتائب منهم وارجحنّت كتائب

فقالوا لنا إنّا نرى أن تبايعوا *** عليّاً فقلنا بل نرى أنْ تضاربوا[1]

وقال ابن الأثير في (أُسد الغابة):

وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضاً صفّين، وكان على الميمنة، قال له أبوه: يا عبدالله، أُخرج فقاتل.

فقال: يا أبتاه أتأمرني أنْ أخرج فأُقاتل، وقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعهد إليَّ ما عهد؟ قال: إنّي أُنشدك الله يا عبدالله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنْ أخذ بيدك ووضعها في يدي وقال: أطع أباك؟

قال: اللهمّ بلى.

قال: فإنّي أعزم عليك أنْ تخرج فتقاتل.

فخرج فقاتل وتقلّد سيفين.

وندم بعد ذلك، فكان يقول: مالي ولصفّين، مالي ولقتال المسلمين، لوددت أنّي متُّ قبله بعشرين سنة.[2]

قالوا: ولمّا عرض عمرو بن العاص على أبي موسى ابنه عبدالله بن عمرو، قال أبوموسى:

قد غمست ابنك في هذه الفتنة، ولا يكون ذلك.[1]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٢٧، كتاب معرفة الصّحابة.

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ٣ / ٢٣٤.

هذا، وقد نصّ بعض علماء القوم على أنّ محاربة الإمام أميرالمؤمنين من أعظم الكبائر.[٢]

تكذيب معاوية روايته

والعجب أنّه مع ذلك، يكذّبه معاوية في رواية رواها، ويحذّر الناس من أن يقبلوها، فقد روى البخاري في (الصحيح):

عن الزهري قال: كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدّث أنّه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أنّ عبدالله بن عمرو بن العاص يحدّث أنّه سيكون ملك من قحطان.

فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثمّ قال:

أمّا بعد; فإنّه بلغني أنّ رجالاً منكم يتحدّثون أحاديث ليست في كتاب الله، لا تؤثر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأولئك جهّالكم، فإيّاكم والأماني التي تضلّ أهلها، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: إنّ هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلاّ كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين.[٣]

أقول:

لقد كان الغرض الأصلي من نقل ما تقدَّم من أحوال الصحابة المشهورين بالتفسير عند أهل السنّة عن كتبهم في الحديث والرجال والتاريخ هو بيان عدم توفّر الشروط اللاّزمة في جواز الاعتماد على ما روي عنهم من التّفسير، من العدالة والعلم والاستقامة في العقيدة والعمل.

---

(١) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٥١٣، تذكرة خواصّ الأُمّة: ٩٧.

(٢) التحفة الإثنا عشريّة: ٣٨٨.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٥٥، كتاب المناقب، باب مناقب قريش.

إنّ الأُمور التي ذكرناها عن كتب أهل السنّة حول هؤلاء الصحابة ـ والتي لم يُتّعرض لشيء منها في (التفسير والمفّسرون) ـ توجب التوقف ـ في الأقل ـ عن قبول ما يروى عن هؤلاء الصّحابة حتّى وإنْ صحّ السند ...

وأمّا ما رووه عن أميرالمؤمنين عليه السّلام، فقد أسقطوه عن الإعتبار لعدم صحّة السند بل كونه موضوعاً عليه، فلم يصح من تفسيره عندهم إلاّ القليل جدّاً.

فأين التفسير المعتبر والمعتمد عند أهل السنّة؟

وإذا كان هذا حال الصّحابة المفسّرين، فهل يجوز وصفهم بأنهم:

مراجع الأُمة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله، ليس يعدل عنهم إلى الأبد؟

كنجوم السّماء، مصابيح الدجى وأعلام الهدى؟

أبواب علم النبيّ لا ينطقون إلاّ عن لسانه؟

إلى أمثال هذه الكلمات الغريبة البعيدة عن الواقع والحقيقة؟!

وإذا كان هذا حال التفسير في عصر الصّحابة، فأيّ اعتبار له في عصر التابعين؟

ولكنّا مع ذلك كلّه نتكلّم حول طبقة التابعين:

طبقة التابعين

* مجاهد بن جبر
* عكرمة البربري
* الحسن البصري
* عطاء بن أبي رباح
* عطاء بن أبي سلمة
* أبوالعالية
* الضحاك بن مزاحم
* عطية بن سعد
* قتادة بن دعامة
* زيد بن أسلم
* مرّة بن شراحيل
* عبدالرحمن بن زيد

قال السيوطي:

ومن ذلك طبقة التابعين.

قال ابن تيميّة: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنّهم أصحاب ابن عبّاس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عبّاس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم. وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنه عبدالرحمان بن زيد، ومالك بن أنس.

فمن المبرّزين منهم: مجاهد، قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاثين مرّة.

وعنه أيضاً قال: عرضت المصحف على ابن عبّاس ثلاث عرضات، أقف عند كلّ آية منه وأسأله عنها، فيم نزلت وكيف كانت.

وقال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد.

وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وقال ابن تيميّة: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم.

قلت: وغالب ما أورده الفريابي في تفسيره منه، وما أورده فيه عن ابن عبّاس أو غيره قليل جدّاً.

ومنهم: سعيد بن جبير، قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد ابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

ومنهم: عكرمة مولى ابن عبّاس، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال سماك بن حرب: سمعت عكرمة يقول: لقد فسّرت مابين اللّوحين.

وقال عكرمة: كان ابن عبّاس يجعل في رجلي الكبل، ويعلّمني القرآن والسنن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك قال: قال عكرمة: كلّ شيء أُحدّثكم في القرآن فهو عن ابن عبّاس.

ومنهم: الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخُراساني، ومحمّد بن كعب القرظي، وأبوالعالية، والضحاك بن مزاحم، وعطيّة العوفي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرّة الهمداني، وأبومالك.

ويليهم: الربيع بن أنس، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، في آخرين.

فهؤلاء قدماء المفسّرين، وغالب أقوالهم تلقّوها عن الصّحابة.[1]

أقول:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٨ ـ ٥٠٠، رقم ٦٣٩٨ ـ ٦٤٠٧.

إذا كان غالب أقوالهم تلقّوها عن الصّحابة، فقد عرفت حال الصّحابة وحال تفسيرهم.

أمّا الخلفاء الثلاثة، فكانوا جاهلين بمعاني ألفاظ القرآن، ولم يتعلّموا شيئاً في هذا الباب كغيره من أبواب العلوم الدينيّة من النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأمّا علي، وهو باب مدينة علم النبيّ، فإنّهم لم ينقلوا عنه ولم يأخذوا بما روي عنه في التفسير كما لم يأخذوا عنه في الفقه وغيره، وما رووه عنه فقد أسقطوه عن الإعتبار واتّهموا أصحابه وشيعته بالوضع عليه، وكلّ ذلك بغضاً وحسداً له وحفظاً لماء وجه من تقدَّم عليه.

وأمّا غيرهم من الصّحابه، فالمقدَّم فيهم في التفسير اثنان وهما عبدالله بن مسعود وعبدالله بن العبّاس، أو هما وأُبيّ بن كعب، وقد عرفت آراء هؤلاء في القرآن، كما عرفت طرفاً من أحوالهم.

وأمّا أبوموسى الأشعريّ ونظائره ... فقل فيهم ما يقتضيه الدين والعقل ...

وحينئذ ... فأيّ وزن لتفسير التابعي؟

ومع ذلك كلّه، نتكلّم عن كلّ واحد من أئمّة التفسير من طبقة التابعين على ضوء ما قيل عنه في كتب العلماء المعتمدين:

مجاهد

أمّا مجاهد، الذي عرفته كما نقل السيوطي، بل نصّ الذهبي في (ميزان الإعتدال) على إجماعهم على إمامته وصحّة الإحتجاج به، وأنّه أحد الأعلام الأثبات، ونقل الشيخ عبدالحق الدهلوي بترجمته في (رجال المشكاة) عنه قوله: «كان ابن عمر يأخذ لي في الركاب ويسوّي عليَّ ثيابي».

تفسيره من أهل الكتاب

فقد أورده الذهبي في (ميزان الإعتدال)، وذكر أنّ ابن حبّان أدرجه في الضعفاء، قال:

قال أبوبكر ابن عياش: قلت للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف، أو شيء نحوه؟

قال: أخذها من أهل الكتاب.[1]

اشتماله على المنكرات الشديدة

قال الذهبي:

ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير، في قوله: (**عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحْمُودًا**) قال: يجلسه معه على العرش.[2]

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٤٣٩، رقم ٧٠٧٢.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٤٣٩، رقم ٧٠٧٢.

فيا سبحان الله!! هذا حال تفسير أعلم التابعين بعلم التفسير، والتفسير الذي عرض على ابن عبّاس ثلاثين مرّة!! وإذا كان هذا حاله فما ظنّك بسائر تفاسيرهم؟

نسبته المعصية إلى يوسف عليه السّلام

وقال الرازي في (تفسيره) في قصّة يوسف عليه السّلام:

وأمّا الذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السّلام، فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أُموراً:

الأوّل: قالوا: إنّ المرأة قامت إلى صنم مكلّل بالدرّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب. فقال يوسف: لِمَ فعلت ذلك؟ قالت: أستحي من إلهي أنْ يراني على معصية. فقال يوسف: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كلّ نفس بما كسبت، فوالله لا أفعل ذلك أبداً. قالوا: فهذا هو البرهان.

الثاني: نقلوا عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه تمثّل له يعقوب، فرآه عاضّاً على أصابعه ويقول له: أتعمل عمل الفجّار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء؟ قالوا: فاستحيى منه. وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحّاك ومقاتل وابن سيرين. قال سعيد بن جبير: تمثّل له يعقوب، فضرب في صدره، فخرجت شهوته من أنامله ... .[1]

وقد نصّ الرازي على أنّ من نسب المعصية إلى يوسف فهو شرّ من إبليس، لأنّه ـ بعد أنْ ذكر شهادة الله، وشهادة من شهد ببراءة يوسف، وكذا إقرار إبليس بذلك ـ قال:

وعند هذا نقول: هؤلاء الجهّال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السّلام هذه الفضيحة، إنْ كانوا من أتباع دين الله تعالى، فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته، وإنْ كانوا من أتباع إبليس وجنوده، فليقبلوا

---

(١) تفسير الرازي ١٨ / ١٢٠.

شهادة إبليس على طهارته، ولعلّهم يقولون: كنّا في أوّل الأمر تلامذة إبليس، إلى أنْ تخرّجنا عليه، فزدنا عليه في السفاهة ... .[1]

وذكره الشيخ التستري فقال:

عدّه معارف ابن قتيبة في التابعين قائلا: كان مولى لقيس بن السائب المخزومي، قال مجاهد: في مولاي نزلت (**وَعَلَى الَّذينَ يُطيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكين**)ـ مات سنة ١٠٣.

وقال ابن أبي الحديد: كان مائلا إلى رأي الخوارج.

وفي ميزان الذهبي قيل للأعمش ... .[2]

فذكر ما تقدّم.

---

(١) تفسير الرازي ١٨ / ١١٧.

(٢) قاموس الرجال ٨ / ٦٧٠ ـ ٦٧١.

عكرمة مولى ابن عبّاس

وأمّا عكرمة، فإنّهم وإنْ ذكروا له محامد كثيرة ومناقب عالية، حتّى نقلوا عن الشعبي قوله:

ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.[1]

وعن سعيد بن جبير:

أنّ عكرمة أعلم منه.[2]

وعن البخاري وأبي حاتم وغيرهما:

أنّه ثقة.

بل رووا عن يحيى بن معين قوله:

إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حمّاد بن سلمة، فاتّهمه على الإسلام.[3]

بل عن شهر بن حوشب:

عكرمة حَبْرُ هذه الأُمّة.[1]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٩، رقم ٦٤٠٦.

(٢) رجال المشكاة للشيخ عبدالحق الدهلوي ـ ترجمة عكرمة.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤١ / ١٠٣، رقم ٤٧٤٣، تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٨٩، رقم ٤٠٠٩، سير أعلام النبلاء ٥ / ٣١ـ٣٢.

هو من أعلام الخوارج

لكنّ الرجل من أعلام الخوارج وكبار النواصب، وهذا ثابت مشهور عنه وممّا لا ريب فيه لأحد، وقد نصَّ على ذلك من الأئمّة أمثال: يحيى بن بكير، ومصعب الزبيري، وعطاء، وابن المديني، وأحمد، والحاكم، وأبي بكر الجعابي والرياشي، والذهبي، وابن خلّكان، وياقوت، والكرماني ... وغيرهم ممّن يطول المقام بذكرهم.

قوادحه كما في ميزان الإعتدال

وله قوادح ومعائب كثيرة أيضاً، ونحن نكتفي بإيراد ترجمته في (ميزان الإعتدال)، لاشتمالها على طرف من كلمات الأئمّة في ذمّه والطعن فيه:

عفّان: حدثنا وهيب، قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيّوب، فذكرا عكرمة فقال يحيى: كذّاب. وقال أيّوب: لم يكن [بكذّاب].

جرير بن يزيد عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالله بن الحرث قال: دخلت على علي بن عبدالله، فإذا عكرمة في وثاق عند باب الحش، فقلت له: ألا تتق الله؟ فقال: إنّ هذا الخبيث يكذب على أبي.

ويروى عن ابن المسيّب أنّه كذّب عكرمة.

الخصيب بن ناصح: ثنا خالد بن خداش: شهدت حمّاد بن زيد ـ في آخر يوم مات فيه ـ فقال: أُحدّثكم بحديث لم أُحدّث به قط، لأنّي أكره أن ألقى الله ولم أُحدّث به، سمعت أيّوب يحدّث عن عكرمة قال: إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلّ به.

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٩٣، رقم ٥٧١٦.

قلت: ما أسوءها عبارة بل أخبثها، بل أنزله ليهدي به، وليضلّ به الفاسقين.

فطر بن خليفة: قلت لعطاء: إنّ عكرمة يقول: قال ابن عبّاس: سبق الكتاب الخفّين. فقال: كذب عكرمة، سمعت ابن عبّاس يقول: لا بأس بمسح الخفّين وإن دخلت الغائط. قال عطاء: والله إن كان بعضهم ليرى أنّ المسح على القدمين يجزي.

إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس قال: لو أنّ عبد عبدالله بن عبّاس اتّقى الله وكفّ من حديثه، لشدّت إليه المطايا.

مسلم بن إبراهيم: حدثنا الصلت أبوشعيب قال: سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة فقال: ما يسوءني أن يكون من أهل الجنّة، ولكنّه كذّاب.

... إبراهيم بن المنذر: حدثنا هشام بن عبدالله المخزومي، سمعت ابن أبي ذئب يقول: رأيت عكرمة وكان غير ثقة.

قال محمّد بن سعد: كان عكرمة كثير العلم والحديث، بحراً من البحور، وليس يحتجّ بحديثه، ويتكلّم النّاس فيه ... .

وقال مطرف بن عبدالله: سمعت مالكاً يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرى أن يروى عنه.

قال أحمد بن حنبل: ما علمت أنّ مالكاً حدّث بشيء لعكرمة، إلاّ في الرجل يطأ امرأته قبل الزيارة، رواه عن ثور عن عكرمة.

أحمد بن أبي خيثمة قال: رأيت في كتاب علي ابن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: حدّثوني ـ والله ـ عن أيّوب أنّه ذكر له أنّ عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال أيّوب: وكان يصلّي؟

الفضل السيناني عن رجل قال: رأيت عكرمة قد أُقيم قائماً في لعب النرد.

يزيد بن هارون: قدم عكرمة البصرة، فأتاه أيّوب ويونس وسليمان التيمي فسمع صوت غناء فقال: أُسكتوا، ثمّ قال: قاتله الله، لقد أجاد. فأمّا يونس وسليمان فما عادا إليه.

عمرو بن خالد بمصر: حدّثنا خلاّد بن سليمان الحضرمي، عن خالد بن أبي عمران قال: كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال: وددت أنّ بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً.

ابن المديني: عن يعقوب الحضرمي، عن جدّه قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلاّ كافر. قال: وكان يرى رأي الأباضية.

يحيى بن بكير، قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب. قال: فالخوارج الذين هم بالمغرب عنه أخذوا.

قال ابن المديني: كان يرى رأي نجدة الحروري.

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، وادّعى على ابن عبّاس أنّه كان يرى رأي الخوارج.

خالد بن [يزيد] نِزَار، حدثنا عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح: أنّ عكرمة كان أباضياً.

أبوطالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان عكرمة من أعلم النّاس، ولكنّه كان يرى رأي الصفريّة، ولم يدع موضعاً إلاّ خرج إليه: خراسان والشام واليمن ومصر وإفريقيّة، كان يأتي الأُمراء فيطلب جوائزهم، وأتى الجند إلى طاوس فأعطاه ناقة.

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، فطلبه متولّي المدينة، فتغيّب عند داود بن الحصين حتّى مات عنده.

وروى سليمان بن معبد السنجي قال: مات عكرمة وكثير عزّة في يوم، فشهد النّاس جنازة كثير، وتركوا جنازة عكرمة.

وقال عبدالعزيز الدراوردي: مات عكرمة وكثير عزّة في يوم، فما شهدهما إلاّ سودان المدينة.

إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك، عن أبيه قال: أُتي بجنازة عكرمة مولى ابن عبّاس وكثير عزّة بعد العصر، فما علمت أنّ أحداً من أهل المسجد حلّ حبوته إليهما.

قال جماعة: مات سنة خمس ومائة.

وقال الهيثم وغيره: سنة ست.

وقال جماعة: سنة سبع ومائة.

عن ابن المسيّب أنّه قال لمولاه برد: لا تكذب علَيّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس.[1]

قوادحه كما في معجم الأُدباء

وقال ياقوت الحموي بترجمة عكرمة من (معجم الأُدباء):

ومات ـ فيما قرأت بخط الصولي من كتاب البلاذري ـ سنة خمس ومائة، وقيل ست ومائة، وهو ابن ثمانين سنة.

قال: وكان موته وموت كثير عزّة في يوم واحد، فوضعا جميعاً وصلّي عليهما، وكان كثير شيعيّاً وعكرمة يرى رأي الخوارج; ذكره الحاكم أبوعبدالله محمّد بن عبدالله البيّع في تاريخ نيسابور ... .

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٩٤ ـ ٩٧، رقم ٥٧١٦.

وذكر القاضي أبوبكر محمّد بن عمر الجعابي في كتاب الموالي عن ابن الكلبي قال: وعكرمة هلك بالمغرب، وكان قد دخل في رأي الحروريّة الخوارج، فخرج يدعو بالمغرب إلى الحروريّة.

حدث أبوعلي الأهوازي قال: لمّا توفّي عبدالله بن عبّاس، كان عكرمة عبداً مملوكاً، فباعه علي بن عبدالله بن عبّاس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة عليّاً فقال له: ما خير لك، أتبيع علم أبيك، فاستقال خالداً فأقاله وأعتقه، وكان يرى رأي الخوارج ويميل إلى استماع الغناء. وقيل عنه: إنّه كان يكذب على مولاه.

وقال عبدالله بن الحارث: دخلت على علي بن عبدالله بن عبّاس، وعكرمة موثّق على باب الكنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إنّ هذا يكذب على أبي.

وقد قال ابن المسيّب لمولاه: لا تكذب علَيّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس.

وقال يزيد بن هارون: قدم عكرمة مولى ابن عبّاس البصرة، فأتاه أيّوب السختياني وسليمان التيمي ويونس بن عبيد، فبينا هو يحدّثهم، إذ سمع غناء، فقال عكرمة: أُسكتوا، ثمّ قال: قاتله الله فلقد أجاد، أو قال: ما أجود ما قال. فأمّا سليمان ويونس فلم يعودا إليه، وعاد إليه أيّوب. فقال يزيد بن هارون: لقد أحسن أيّوب.

الرياشي: عن الأصمعي، عن نافع المدني قال: مات كثير الشاعر وعكرمة في يوم واحد.

قال الرياشي: فحدّثنا ابن سلام: أنّ أكثر النّاس كانوا في جنازة كثير، لأنّ عكرمة كان يرى رأي الخوارج، وتطلّبه بعض الولاة، فتغيّب عند داود بن الحصين حتّى مات عنده سنة سبع ومائة في أيّام هشام بن عبدالملك، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة ... .

حمّاد بن زائد: حدثنا عثمان بن مرة قلت للقاسم: إنّ عكرمة مولى ابن عبّاس قال: حدثنا ابن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى عن المزفت والمُقَيَّر والدباء والحَنتَم والجِرَار. فقال: يا ابن أخي! إنّ عكرمة كذّاب، يحدّث غدوة حديثاً يخالفه عشيّاً.

يحيى بن بكير: سمعت ابن عمر يقول لنافع: اتّق الله ويحك يا نافع ولا تكذب علَيّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس.

يزيد بن أبي زياد [عن عبدالله بن الحارث] قال: دخلت على علي بن عبدالله بن عبّاس، وعكرمة مقيّدٌ على باب الحش، قلت: ما لهذا كذا؟ قال: إنّه يكذب» إنتهى بالإختصار.[1]

أقول:

قد ترجم السيد صاحب عبقات الأنوار لعكرمة في كتابه المذكور فوصفه بالكذب والضّلال والإنحراف عن أمير المؤمنين عليه السّلام. وكذلك هو عند سائر علماء الإماميّة قديماً وحديثاً كما لايخفى على من يراجع كتبهم.

وقد ترجمنا لعكرمة في كتابنا (الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة) بمناسبة روايته حديث خوخة أبي بكر المكذوب عن ابن عباس، بالاستناد إلى أهمّ كتب أهل السنّة في الجرح والتعديل، وكذا في كتابنا (التحقيق في نفي التحريف) بمناسبة كونه من أكثر القوم روايةً للأخبار والآثار الصّريحة في تحريف القرآن الكريم ووقوع الخطأ والغلط فيه، لا سيّما عن ابن عباس!!

وهذا نصّ ما ذكرناه هناك:

---

(١) معجم الأُدباء ١٢ / ١٨٢ ـ ١٩٠، رقم ٤٦.

إنّ «عكرمة» من أظهر مصاديق «الزنادقة» و«أعداء الإسلام» الّذين نسب إليهم اختلاق مثل هذه الآثار، في كلام جماعة من العلماء الكبار، كالحكيم الترمذي، وأبي حيّان الأندلسي، وصاحب «المنار» ...

١ـ طعنه في الدين:

لقد كان هذا الرجل طاعناً في الإسلام، مستهتراً بالدّين والمسلمين، من أعلام الضّلالة ودعاة السوء:

فقد نقلوا عنه قوله: إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلّ به.

وأنّه قال في وقت الموسم: وددت أني اليوم بالموسم وبيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً.

وأنّه وقف على باب مسجد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقال: ما فيه إلاّ كافر.

وأنّه قدم البصرة، فأتاه أيّوب وسليمان التميمي ويونس، فبينما هو يحدّثهم سمع صوت غناء، فقال عكرمة: اسكتوا فنسمع. ثمّ قال: قاتله الله، لقد أجاد.

وعن أبي بكر بن أبي خيثمة: رأيت في كتاب علي بن المديني: سمعت يحيى ابن سعيد يقول: حدّثوني ـ والله ـ عن أيّوب أنّه ذكر: أنّ عكرمة لا يحسن الصلاة. قال أيّوب، أو كان يصلّي؟!

وعن سماك، قال: رأيت في يد عكرمة خاتماً من الذهب.

وعن رشدين بن كريب: رأيت عكرمة قد أُقيم قائماً في لعب النرد.

٢ـ إنّه كان يرى رأي الخوارج:

وإنّما أخذ أهل إفريقية رأي الصفرية ـ وهم من غلاة الخوارج ـ من عكرمة وذكروا أنّه نحل ذلك الرأى إلى ابن عبّاس.

وعن يحيى بن معين:

إنّما لم يذكر مالك [بن أنس] عكرمة، ـ يعني في الموطأ ـ قال: لأنّ عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية.[1]

وقال الذهبي:

ويتكلّم الناس فيه [عكرمة] قال مصعب بن عبدالله الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج.[2]

ثمّ إنّه نسب تارة إلى «الإباضية» وأخرى إلى «الصفرية» وثالثة إلى «نجدة الحروري»، وكأنّه كان كلّما جاء فرقة جعل نفسه منهم طمعاً في دنياهم ... قالوا: وقد طلبه والي المدينة فتغيّب عند داود بن الحصين حتّى مات عنده.

٣ـ إنّه كان كذّاباً:

كذب على ابن عبّاس، وقد أوثقه علي بن عبدالله بن العبّاس على باب كنيف الدار فقيل له: أتفعلون هذا بمولاكم؟ قال: إنّ هذا يكذب على أبي.

وعن سعيد بن المسيّب أنّه قال لمولاه: يا برد، إيّاك أن تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عبّاس.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢١، رقم ٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣، رقم ٩.

وعن القاسم: إنّ عكرمة كذّاب، يحدّث غدوة ويخالفه عشيّة.

وقال ابن عمر لنافع: إتّق الله ـ ويحك يا نافع ـ لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس.[١]

وعن ابن سيرين ويحيى بن معين ومالك بن أنس: كذّاب.[٢]

وعن ابن ذويب: رأيت عكرمة [مولى ابن عبّاس] وكان غير ثقة.[٣]

وقال طاوس: لو أنّ عبد ابن عبّاس إتّقى الله وأمسك عن بعض حديثه، لشدّت إليه المطايا.[٤]

وقد اشتهر تكذيب الناس إيّاه وطعنهم فيه حتّى أنه كان يقول:

أرأيت هؤلاء الذين يكذّبوني من خلفي، أفلا يكذّبوني في وجهي.[٥]

٤ ـ عكوفه على أبواب الأُمراء للدنيا:

قال موسى بن يسار: رأيت عكرمة جائياً من سمرقند وهو على حمار تحته جوالقان ـ أو خرجان ـ فيهما حرير، أجازه بذلك عامل سمرقند، ومعه غلام. قال: وسمعت عكرمة بسمرقند وقيل له: ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال: الحاجة.[٦]

---

(١) معجم الأُدباء ١٢ / ١٨٢ ـ ١٩٠، رقم ٤٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٥، رقم ٩، ميزان الإعتدال ٣ / ٩٤، رقم ٥٧١٦.

(٣) المصدر ٥ / ٢٥، رقم ٩.

(٤) ميزان الإعتدال ٣ / ٩٤، رقم ٥٧١٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٩، رقم ٩، حاول ابن حجر العسقلاني [مقدّمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، الفصل التاسع: ٤٢٧] توجيه هذا الكلام، ولكن لا ينفعه ذلك، فحال عكرمة تشبه حال أبي هريرة الذي قال للناس: أتزعمون أنّي أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار ...؟!

(٦) الطبقات الكبرى ٥ / ٢٩١.

وقال عبدالمؤمن بن خالد الحنفي: قدم علينا عكرمة خراسان فقلت له: ما أقدمك إلى بلادنا؟ قال: قدمت آخذ من دنانير ولاتكم ودراهمهم.[١]

وقال عبدالعزيز بن أبي رواد: قلت لعكرمة: تركت الحرمين وجئت إلى خراسان! قال: أسعى على بناتي.[٢]

وقال أبونعيم: قدم على الوالي بأصبهان فأجازه بثلاثة آلاف درهم.[٣]

وقال عمران بن حدير: رأيت عكرمة وعمامته متخرقة فقلت: ألا أُعطيك عمامتي؟ فقال: إنّا لا نقبل إلاّ من الأُمراء.[٤]

أبوطالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان عكرمة من أعلم الناس ولكنّه كان يرى رأي الصفرية، ولم يدع موضعاً إلاّ خرج إليه، خراسان والشام واليمن ومصر وإفريقية، كان يأتي الأُمراء فيطلب جوائزهم، وأتى الجَنَدَ إلى الطاوس فأعطاه ناقة.[٥]

ومن الطبيعي أن يستجيب هكذا رجل لرغبات الولاة والأُمراء، فيضع كلّ ما تقتضيه السياسة ويدعم الحكومات الجائرة ... .

٥ـ ترك الناس جنازته:

---

(١) المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ١٢٣.
(٢) تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٨٥.
(٣) مقدمة فتح الباري: ٤٢٦، ذكر أخبار إصبهان ٢ / ٢٥.
(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ٢٩١.
(٥) ميزان الإعتدال ٣ / ٩٦، رقم ٥٧١٦.

ومن الطبيعي أيضاً سقوط هكذا إنسان في المجتمع الإسلامي، فلا تبقى قيمة لا له ولا لأحاديثه، حتّى إذا مات فلا تشيّع جنازته ولا يصلّى عليه ... كما ذكر المؤرّخون في ترجمة عكرمة ... وأضافوا أنّه قد اتّفق موت عكرمة وكثير عزّة الشاعر الشيعي في يوم واحد، فشهد الناس جنازة كُثير وتركوا جنازة عكرمة. قيل: فما حمله أحد واكتروا له أربعة رجال من السودان.[1]

٦ ـ قدح الأكابر فيه وتكذيبه:

ولهذه الأُمور وغيرها كذّب عكرمة كبار الأئمّة الأعلام ـ الّذين طالما اكتفى علماء الجرح والتعديل بطعن واحد منهم ـ منهم: ابن عمر، ومجاهد، وعطاء، وابن سيرين، ومالك بن أنس، والشافعي ـ حيث حكى كلام مالك وقرّره ـ وسعيد بن المسيّب، والقاسم، ويحيى بن سعيد.

وحرّم مالك الرواية عنه، وأعرض عنه مسلم، وقال محمد بن سعد: ليس يحتجّ بحديثه، وقال غيره: غير ثقة.[2]

ومع هذا كلّه ... فإنّ البخاري يروي عنه!! ولكن لا عجب ... إذ «كلٌّ يعمل على شاكلته» بل العجب من ابن حجر، حيث ينبري للدفاع عن «عكرمة البربري» والمقصود هو الدفاع عن «صحيح البخاري» ... فكيف يدافع عمّن تجرّأ على الله، واستهزأ بشعائره، واستخفّ بأحكامه، وطعن في

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣ ـ ٣٤، رقم ٩، ميزان الإعتدال ٣ / ٩٦، رقم ٥٧١٦، تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٩٠، رقم ٤٠٠٩.

(٢) المصادر المنقول ترجمة عنها عكرمة هي: تهذيب الكمال، الترجمة ٤٠٠٩، ٢٠ / ٢٠٩، تهذيب التهذيب، الترجمة ٤٧٦، ٧ / ٢٣٤ ـ ٢٤٢، الطبقات الكبرى، الترجمة ٩٠٤، ٥ / ٢٩١، وفيات الأعيان، الترجمة ٤٢١، ٣ / ٢٦٥، ميزان الإعتدال ٣ / ٩٣، الترجمة ٥٧١٦، المغني في الضعفاء الترجمة ٤١٦٩، ٢ / ٢٩، سير أعلام النبلاء ٥ / ١٢.

القرآن، واستحلّ دماء المسلمين ...؟ وكيف يدافع عمّن كذّبه الأئمّة الثقات حتّى ضربوا بكذبه المثل لاشتهاره بهذه الصفة؟! وكيف يدافع عمّن امتنع الناس من حمل جنازته والصّلاة عليها؟!

والأعجب من ذلك دفاع بعض العلماء المعاصرين رحمه الله عنه في كتبه القرآنيّة، وقد كان يظنّ أنّ الطّعن في عكرمة يستلزم إسقاط تفسير ابن عبّاس عن

الاعتبار وهو خسارة كبيرة! ولكنّه غفل عن أنه لو كان الأمر كذلك لما فعل به علي بن عبدالله بن عباس ما فعل، وأنه لمّا سئل عن ذلك قال: إنه يكذب على أبي، لأن ولد عبدالله بن عباس أولى من غيره بالمحافظة على حديث أبيه!

على أنّ لعبدالله بن عباس تلامذة غير عكرمة، كسعيد بن جبير وأمثاله.

وأمّا الخبر عن الإمام أبي جعفر عليه السّلام فقد رواه الكشي باسناده عن زرارة قال:

قال أبوجعفر عليه السّلام: لو أدركت عكرمة عند الموت لنفعته. قيل لأبي عبدالله عليه السّلام: بماذا ينفعه؟ قال: كان يلقّنه بما أنتم عليه، فلم يدركه أبوجعفر ولم ينفعه.

قال الكشي:

وهذا نحو ما يرونى: لو اتّخذت خليلا لاتّخذت فلاناً خليلا. ولم يوجب لعكرمة مدحاً بل أوجب ضدّه.[1]

وعلى كلّ حال، فإنّه لا يجوز شرعاً الإعتماد على رواية عكرمة مطلقاً إلاّ إذا كانْ حديثه في الفضائل والمناقب لأهل البيت عليهم السّلام، فإن لعلمائنا الإحتجاج به إلزاماً لمن يقول باعتبار حديث عكرمة ووثاقته.

الحسنُ البَصري

وأمّا الحسن، فمن أشهر الأئمّة وكبار الفقهاء والمحدّثين عندهم، وقد وصفوه بأعلى المناقب وأجلّ الفضائل، كما لا يخفى على من راجع (تهذيب الكمال) و(تهذيب التهذيب) وغيرهما من كتب التراجم والرجال.

هو من القدريّة

لكنّه ـ بناءً على أُصولهم ـ محكومٌ عليه بالكفر، لأنّه كان لا يرى الشرّ بقدر من الله، ومن قال بهذه المقالة فهو عندهم كافر ... قال الذهبي في (تذهيب التهذيب):

روى معمر عن قتادة عن الحسن قال: الخير بقدر والشرّ ليس بقدر.

قلت: هذه اللّفظة أبلغ ما نقل عن الحسن في القدر.[٢]

ذم القدريّة في روايات القوم

ولا بأس بإيراد طرف من الروايات الواردة في ذمّ القدريّة:

أخرج الترمذي:

---

(١) رجال الكشي ٢ / ٤٧٨، رقم ٣٨٧.

(٢) تذهيب التهذيب: مخطوط. وانظر: تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٦.

عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: صنفان من أُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدريّة. وفي الباب عن عمر وابن عمر ورافع بن خديج. هذا حديث حسن غريب.[1]

وأخرج أبوداود:

عن ابن عمر، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: القدريّة مجوس هذه الأُمّة; إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم.[2]

وأخرج أيضاً:

عن حذيفة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لكلّ أُمّة مجوس، ومجوس هذه الأُمّة الذين يقولون لا قدر; من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجّال، وحقّ على الله أن يلحقهم بالدجّال.[1]

وفي (التمهيد في بيان التوحيد):

روي: إنّ رجلاً دخل على عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه وقال: أخبرني عن القدر.

فقال له: طريقٌ مظلم فلا تسلكه.

فسكت ساعة، ثمّ قال له: أخبرني عن القدر.

فقال: بحر عميقٌ لا تَلِجْهُ.

فسكت ساعة، ثمّ قال له: أخبرني عن القدر.

---

(١) سنن الترمذي ٣ / ٣٠٨، رقم ٢٢٣٩، أبواب [كتاب] القدر، الباب ١٣.

(٢) سنن أبي داود ٢ / ٤١٠، رقم ٤٦٩١، كتاب السنة، الباب ١٧.

فقال: سرّ الله فلا تُفشِه.

فسكت ساعة، ثمّ قال: أخبرني عن القدر.

فبدأ علي رضي الله عنه بالسؤال، فقال له: أخبرني مشيّتك مع مشيّة الله أو دون مشيّة الله؟

فتحيّر الرجل، فقال لعلي: قل أنت.

فقال له: إن قلت: بأنّ مشيّتي مع مشيّة الله تعالى، فقد ادّعيت المشاركة مع الله تعالى، وإن قلت: بأنّ مشيّتي دون مشيّة الله، فقد ادّعيت الأُلوهيّة، فعلمت أنّ مشيّتك تحت مشيّة الله.

فقال الرجل: تبت إلى الله. وقام.

فقال عليّ رضي الله عنه لأصحابه: قوموا وصافحوه، فإنّه الآن أسلم.

ففي هذا دليل على أنّ من أنكر القدر يصير كافراً، ولأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: القدريّة مجوس هذه الأُمّة; إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشيّعوا جنائزهم، أولئك هم شيعة الدجّال، وحقّ على الله أن يلحقهم بالدجّال، ولأنّهم أنكروا النصّ، لأنّ الله تعالى قال: (**وَما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ**).

وجاء فيه أيضاً:

فإن قال: بأنّ الله تعالى لم يخلق الشر والكفر وذلك مخلوق غير الله، فقد أثبت صانعاً وخالقاً غير الله، فيكون مشركاً بالله تعالى ويكون كافراً، وإن قال: بأنّ

الشرّ مخلوق الله تعالى بدون إرادته ومشيّته، فقد اعتقد بأنّ الله تعالى مجبور مكره في تخليقه، وهذا كفر; فثبت أنّ الكلّ بمشيّة الله وبإرادته وقضاءه وقدره.

---

(١) المصدر ٢ / ٤١، رقم ٤٦٩٢، كتاب السنة، الباب ١٧.

ومن أنكر القدر فهو كافر بالله العظيم.[١]

وقال النووي في (المنهاج):

«قال الإمام [يعني إمام الحرمين في كتاب الإرشاد في أُصول الدين]: وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: القدريّة مجوس هذه الأُمّة، شبّههم بهم لتقسيمهم الخير والشرّ في حكم الإرادة كما قسمت المجوس، فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن، ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدريّة.[٢]

وفي (كنز العمّال):

إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً قبلي إلاّ كان في أُمّته من بعده مرجئة وقدريّة يشوشون عليه أمر أُمّته من بعده، ألا إنّ الله عزّ وجلّ لعن المرجئة والقدريّة على لسان سبعين نبيّاً، ألا وإنّ أُمّتي هذه لأُمّة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة وإنّما عذابها في الدنيا، ألا إنّ صنفين من أُمّتي لا يدخلون الجنّة: المرجئة والقدريّة. (ابن عساكر عن معاذ).

صنفان من أُمّتي لعنهم الله على لسان سبعين نبيّاً: القدريّة والمرجئة الذين يقولون: الإيمان إقرار ليس فيه عمل. (الديلمي عن حذيفة).[٣]

دفاع الذهبي عن الحسن البصري

ومن لطائف الأُمور: محاولة الذهبي للدفاع عن الحسن، بدعوى أنّه لمّا حوقق على القول بالقدر تبرّأ من ذلك، قال الذهبي:

---

(١) التمهيد في بيان التوحيد: ٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٤، كتاب الإيمان إثبات القَدَر.

(٣) كنز العمّال ١ / ١٣٥، رقم ٦٣٥ و ٦٣٦.

الحسن بن يسار، مولى الأنصار، سيّد التابعين في زمانه بالبصرة، كان ثقة في نفسه، حجّةً، رأساً في العلم والعمل، عظيم القدر. وقد بدت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها، فتكلّموا فيه، فما ألتفت إلى كلامهم، لأنّه لمّا حوقق عليها تبرّأ منها.[1]

لكنْ ما معنى «لم يقصدها لذاتها»؟ ألم يكن كلامه ظاهراً في معناه الذي فهمه القوم منه فتكلّموا فيه؟ إنّ ما يقوله الذهبي دعوى بلا دليل، بل هو مجرّد تخرّص وتخمين، بل هو أشبه بهذيان المجانين، ويكذّبه كلامه هو حيث قال بعد العبارة السابقة:

قال حمّاد بن زيد عن أيّوب قال: كذب على الحسن ضربان من الناس: قوم القدر رأيهم لينفقوه في الناس بالحسن، وقوم في صدورهم شنآن وبغض للحسن، وأنا نازلته غير مرّة في القدر حتّى خوّفته بالسلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. ولا أعلم أحداً يستطيع أنْ يعيب الحسن إلاّ به، وقد أدركت الحسن ـ والله ـ ما يقوله.[2]

وإذا كان الحسن ينازله الرجال في القدر غير مرّة، ولا يرجع عن القول به إلاّ

بعد التخويف بالسلطان، فما معنى أنّه لم يكن قاصداً لما تفوَّه؟

وما ذكره الذهبي في الدفاع عنه من أنّه قد تاب عن المقالة المذكورة ورجع عنها، لا يرفع الإشكال، لأنّ الحسن من القائلين بالتقيّة إلى يوم القيامة، كما رواه البخاري عنه في (الصحيح)،[3] وأهل السنّة يقولون بعدم قبول التوبة ممّن يقول بالتقيّة.

---

(١) ميزان الإعتدال ١ / ٥٢٧، رقم ١٩٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٠ و ٧ / ٦٠.

(٣) صحيح البخاري ٨ / ٥٥، كتاب الإكراه.

كان الحسن مدلّساً

وكان الحسن البصري يكثر التدليس في الحديث، نصَّ على ذلك الذهبي.[١]

وقال ابن حجر في (التقريب):

وكان يرسل كثيراً ويدلّس. قال البزّار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز ويقول: حدّثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدّثوا وخطبوا بالبصرة.[٢]

وفي (تهذيب التهذيب):

قال ابن المديني: سمعت يحيى يعني القطان وقيل له: كان الحسن يقول: سمعت عمران بن حصين. قال: أمّا عن ثقة فلا. وقال ابن المديني وأبوحاتم: لم يسمع منه، وليس يصحّ ذلك من وجه يثبت.[٣]

هذا، وقد نصّ ابن حجر في (شرح نخبة الفكر) على أنّ التدليس بصيغة صريحة كذب،[٤] وقد أوضح القاري في (شرحه) المراد من الصيغة الصريحة فقال:

وهي لفظة: أخبرني أو حدّثني، أو سمعته.[٥]

وذكر ابن الجوزي أنّ التدليس من تلبيس إبليس، حيث قال في كتاب (تلبيس إبليس):

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدّثين: رواية الحديث الموضوع من غير أنْ يبيّنوا أنّه موضوع، وهذه جناية منهم على الشرع، ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم، وقد قال [النبي

---

(١) قال الذهبي: «كان الحسن كثير التدليس»; ميزان الإعتدال ١ / ٥٢٧، رقم ١٩٦٨.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ٢٠٢، رقم ١٢٣١.

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٤، رقم ٤٨٨.

(٤) نزهة النظر من توضيح نخبة الفكر: ١٠٤.

(٥) شرح نخبة الفكر للقاري: ٤١٩.

صلّى الله عليه وسلّم]: من روى عنّي حديثاً يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين . ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية، فتارة يقول أحدهم: فلان عن فلان، أو قال فلان عن فلان، يوهم أنّه سمع منه المنقطع ولم يسمع، وهذا قبيح، لأنّه يجعل المنقطع في مرتبة المتّصل.[١]

وقال النووي في (شرح مسلم):

التدليس قسمان: أحدهما: أن يروي عمّن عاصره ما لم يسمع منه، موهماً سماعه قائلاً: فلان أو عن فلان أو نحوه. وربّما يسقط شيخه أو أسقط غيره لكونه ضعيفاً أو صغيراً، تحسيناً لصورة الحديث، وهذا القسم مكروه جدّاً، ذمّه أكثر

العلماء، وكان شعبة من أشدّهم ذمّاً له، وظاهر كلامه أنّه حرام وتحريمه ظاهر، فإنّه يوهم الإحتجاج بما لا يجوز الإحتجاج به، ويتسبّب أيضاً إلى إسقاط العمل بروايات نفسه، مع ما فيه من الغرور، ثمّ إنّ مفسدته دائمة، وبعض هذا يكفي في التحريم، فكيف باجتماع هذه الأُمور.[٢]

لعبه بالشطرنج

وكان الحسن البصري يلعب بالشطرنج،[٣] وقد ثبت في الأخبار أنّ اللاّعب بالشطرنج ملعون، إلى غير هذا من الأحاديث الواردة في تحريمه وتحريم اللّعب به والنظر إليه ... .

نسبته المعصية إلى يوسف

وهو ممّن نسب المعصية إلى يوسف عليه السّلام، كما عرفت من كلام الرازي، وعرفت أيضاً ما في هذه النسبة من كلامه.

---

(١) تلبيس إبليس: ١٤٤.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١ / ٣٣، أقسام التدليس.

(٣) حياة الحيوان الكبرى ٢ / ١٩٧ «العقرب».

فساد مذهبه يوجب الحكم بكفره

وعلى الإجمال، فقد كان هذا الرجل منحرفاً في العقيدة حتّى قالوا بكفره، وممّن نصَّ على ذلك عبدالعزيز البخاري في (كشف الأسرار) حيث قال:

كثير من أصحاب الحديث قبلوا رواية سلفنا، كالحسن وقتادة وعمرو بن عبيد، مع علمهم بمذهبهم وإكفارهم من يقول بقولهم، وقد نصّوا على ذلك.[1]

رأي السيد صاحب عبقات الأنوار في الحسن البصري

قال رحمه الله:

قال الفيض آبادي: ذكر أبان بن أبي عيّاش أنّه اجتمع بالحسن البصري، ووصفه بالتشيّع لأميرالمؤمنين عليه السّلام، فإنْ كان كاذباً في وصفه بذلك، فهذا من افتراءاته وأكاذيبه، وإنْ كان صادقاً فكيف يجتمع مع رواية (الإحتجاج) للطبرسي:

«لمّا فرغ أميرالمؤمنين عليه السّلام من قتال أهل البصرة ... مرّ بالحسن البصري وهو يتوضّأ.

فقال: يا حسن، أسبغ الوضوء.

فقال: والله لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، يصلّون الخمس ويسبغون الوضوء.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السّلام: قد كان ما رأيت، فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟

فقال: والله لأصدقنّك يا أميرالمؤمنين، لقد خرجت في أوّل يوم، فاغتسلت وتحنّطت وصببت علَيَّ سلاحي، وأنا لا أشكّ في أنَّ التخلّف عن أُم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلمّا انتهيت إلى موضع

---

(١) كشف الأسرار شرح أُصول البزدوي ٣ / ٣٩.

من الخريبة ناداني مناد: يا حسن! إلى أين، إرجع، فإنّ القاتل والمقتول في النار، فرجعت ذعراً وجلست في بيتي، فلمّا كان اليوم الثاني لم أشك أنّ التخلّف عن أُم المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنّطت وصببت علَيّ سلاحي وخرجت أُريد القتال، حتّى انتهيت إلى موضع من الخريبة، فناداني مناد من خلفي: يا حسن! إلى أين مرة بعد أُخرى، فإنّ القاتل والمقتول في النار.

قال علي عليه السّلام: صدقك، أفتدري من ذلك المنادي؟

قال: لا.

قال عليه السّلام: ذاك أخوك إبليس، وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النار».[1]

وهذا الحديث ـ وإن كانت أمارات الوضع لائحة عليه، لأنّ من المحال أنْ يمنع إبليس الحسن من أن يخرج إلى قتال الأمير الذي هو كفر بزعم الشيعة ـ يكذّب دعوى أبان تشيّع الحسن للأمير، وإلاّ لزم القول بجواز الجمع بين التشيّع والأُخوّة لإبليس، إلى غير ذلك من المفاسد.

أقول:

أوّلاً: كيف يجترئ هذا الرجل على تكذيب أبان ووصفه بالإفتراء، وهو يستلزم تكذيب شيخه وإمامه الأعظم أباحنيفة كما عرفت؟

وثانياً: أيّ تناقض بين كلام أبان ورواية الإحتجاج؟ وهل ادّعى أبان كون الحسن البصري من شيعة أميرالمؤمنين عليه السّلام في زمان حكومته وحروبه؟ لقد قال أبان: «والحسن يومئذ من شيعة علي بن أبي طالب» ولا ريب أنّ الحسن كان يتظاهر بالتشيّع في تلك الأيّام الّتي التقى بها أبان،

---

(١) الإحتجاج ١ / ٢٥٠ ـ ٢٥١.

ولم يكن الحسن كذلك وحده، بل أمثاله ـ الذين كانوا يتظاهرون بالتشيّع وهم في الباطن منافقون ـ كثيرون ..

وثالثاً: إنّ إبليس قد يدعو في بعض الأحيان إلى أفعال الخير، وهذا ما ينصُّ عليه كبار علماء أهل السنّة في مختلف الموارد، فقد ذكر الشيخ عبدالوهّاب الشعراني في كتاب (اليواقيت) عن الشيخ ابن عربي أنّ الشيطان يدخل حبّ أهل البيت في قلوب المؤمنين! وهذه عبارته:

وأكثر ما يظهر ذلك ـ أي الضلال ـ بسبب الأصل الصحيح في الشيعة لا سيّما في الإماميّة منهم، فأدخلت عليهم الشياطين حبّ أهل البيت واستفراغ الحبّ فيهم، ورأوا أنّ ذلك من أسنى القربات إلى الله تعالى ورسوله، وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصّحابة وسبّهم.

وفي (روضة العلماء):

سمعت الشيخ الإمام أبامحمّد عبدالله بن الفضل، يحكي عن أبي حازم، عن الحاكم قال: لمّا خرج نوح صلوات الله عليه من السفينة واستقرّ، وهلك قومه، جاءه إبليس لعنه الله.

وقال: يا نوح! إنّ لك عندي يداً عظيماً، فاسألني ما شئت فأصدقك وأنصحك.

قال: فاهتمّ نوح صلوات الله عليه من كلامه، فأوحى الله تعالى إليه أن سله فإنّ عظته حجّة عليه.

قال: أخبرني بما أغويت أخلاف بني آدم على هلكتهم.

قال: على الخبير سقطت يا نوح فاسمع.

هو الكبر والبخل والحرص والحسد، وسأُنبّئك بذلك:

ألم تر أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم، أمر ملائكة السماء السابعة بالسّجود له فسجدوا، فحملني الحسد إذ فُضِّلَ علَيّ أن لا أسجد له، فأُخرجت من جميع ملكوت السماوات، فزجرت، فصرت شيطاناً رجيماً، فهذا من الحسد.

ألم تر أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وأسكنه الجنّة وفوّضها بجميع ما فيها إليه ونهاه عن شجرة واحدة أن يأكل منها، فحمله الحرص أن يأكل منها، فأُخرج من جميع ما فيها، فهذا من الحرص.

ألم تر أنّ الله تعالى لمّا خلق الفردوس فنظر إليها فأعجبته فقال: أنت محرّمة على كلّ جبّار وعلى كلّ بخيل، فهذا في الكبر والبخل.

والله يا نوح! ما كتمتك وما غششتك، ولا ادّخرت عنك نصحك.

قال نوح صلوات الله عليه: فأخبرني باليد الذي لك عندي، فوالله إنّك لبغيض إليّ، فكيف أرضى باتّخاذ الأيادي عندك؟!

قال: بلى، إنّ قومك كانوا أُمّة من الأُمم كثيرة لا يحصي عددهم إلاّ الله تعالى وكنت منهم في عناء طويل، فدعوت ربّك فأُغرقوا، وصرت فارغاً لقوم آخرين.

وفي (الدرّ المنثور):

أخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان عن ابن عمر قال: لقي إبليس موسى، فقال: يا موسى! أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلّمك تكليماً أن تبت، وأنا أُريد أن أتوب، فاشفع لي إلى ربّي أن يتوب علَيّ.

قال موسى: نعم. فدعا موسى ربّه، فقيل: يا موسى! قد قضيت حاجتك. فلقي موسى إبليس قال: قد أُمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك. فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيّاً أسجد له ميّتاً؟!

ثمّ قال إبليس: يا موسى! إنّ لك علَيّ حقّاً بما شفعت لي إلى ربّك، فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهنّ: ذكرني حين تغضب، فإنّي أجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف، فإنّي آتي ابن آدم حين يلقى الزحف، فأُذكّره ولده وزوجته حتّى يولّي، وإيّاك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم، فإنّي رسولها إليك ورسولك إليها.[1]

لكن المراد من «الخير» هنا هو «الشرّ الأقلّ» إذ لا ريب أنّ اعتزال الحرب أقلّ شرّاً وضرراً من محاربة أميرالمؤمنين عليه السّلام ...

وكلّ ما يذكره القوم جواباً عن الأحاديث المذكورة وأمثالها، فهو جوابنا عن السؤال حول رواية (الإحتجاج)، وأنّه كيف منع إبليس الحسن البصري من دخول الحرب ضد أميرالمؤمنين؟

ورابعاً: لكنَّ الحقيقة هي: أنّ الشيطان أراد بقاء الحسن البصري في هذا العالم، لأنّه لو دخل الحرب لقتل، فبقي كي ينفّذ إلقاءات الشيطان، بإحداث البدع والمنكرات في الدين، فيضلّه ويضلّل بسببه أُماماً من الناس ... وهذا ممّا تجده أيضاً في أخبار القوم وكتبهم. قال أبوالفرج ابن الجوزي في (تلبيس إبليس):

أخبرنا محمّد ابن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أبونعيم الحافظ، حدّثنا أبومحمّد بن حبّان، حدّثنا أحمد بن محمّد بن يعقوب، حدّثنا محمّد بن يوسف الجوهري، حدّثنا

أبوغسان النهدي قال: سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول: إنّ الشيطان ليفتح للعبد تسعةً وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشرّ.[1]

وخامساً: إنّه كما دعا إبليس الحسن البصري إلى اعتزال القتال وقال له: القاتل والمقتول في النار، وصدّقه أميرالمؤمنين عليه السّلام، كذلك قد علَّم إبليس أباهريرة أن يقرأ آية الكرسي إذا آوى إلى فراشه ... فلمّا حكى ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صدّقه ... وقد أخرج البخاري في (صحيحه) ذلك، وهذه رواية البخاري:

عن أبي هريرة قال: وكّلني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: إنّي محتاج وعلَيّ عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه فأصبحت.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: يا أباهريرة! ما فعل أسيرك البارحة؟

قال: قلت: يا رسول الله! شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخلّيت سبيله.

قال: أما إنّه قد كذبك وسيعود. فعرفت أنّه سيعود لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّه سيعود.

فرصدته، فجعل يحثو من الطّعام فأخذته وقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال: دعني فإنّي محتاج وعلَيّ عيال، لا أعود، فرحمته وخلّيت سبيله. فأصبحت.

فقال لي رسول الله: يا أباهريرة! ما فعل أسيرك؟

قلت: يا رسول الله! شكى حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخلّيت سبيله.

قال: أما إنّه قد كذبك وسيعود.

---

(١) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ١ / ٥١.

فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا آخر ثلاث مرّات أنّك تزعم لا تعود ثمّ تعود.

قال: دعني أُعلّمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هو؟

قال: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: (**اللهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**)حتّى تختم الآية، فإنّك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنّك شيطان حتّى تصبح، فخلّيت سبيله، فأصبحت.

فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما فعل أسيرك البارحة؟

فقلت: يا رسول الله! زعم أنّه يعلّمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله.

قال: ما هي؟

قلت: قال لي: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أوّلها حتّى تختم الآية (**اللهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) وقال: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتّى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أمّا إنّه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أباهريرة؟

قال: لا.

قال: ذاك شيطان.[٢]

---

(١) تلبيس إبليس: ٥١.

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٦٣ ـ ٦٤، كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلاً ... .

والألطف من ذلك كلّه: ما رواه القوم في مناقب خليفتهم الثاني، من تعلّمه فضل سورة البقرة من إبليس ... قال الشيخ إبراهيم الوصابي اليمني الشافعي في كتاب (الإكتفاء):

عن ابن مسعود: إنّ رجلاً من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم لقي رجلاً من الجنّ، فصارعه فصرعه الإنسي فقال له الجنّي: عاود، فعاوده فصرعه ثانياً، فقال له الإنسي: إنّي لأراك ضئيلاً سخيفاً كان ذراعك ذراع الكلب، أفكذلك أنتم معشر الجنّ أم أنت منهم كذا؟ قال: والله إنّي منهم لضليع. ثمّ قال: عاودني الثالثة، فإن صرعتني علّمتك شيئاً ينفعك، فعاوده فصرعه، قال هات علمني قال: هل تقرأ آية الكرسي؟ قلت: نعم. قال: فإنّك لا تقرؤها في بيت إلاّ خرج منه الشيطان، ثمّ لا يدخله حتّى يصبح.

فقال رجل من القوم: من ذلك الرجل، يا أباعبدالله من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم؟ أهو عمر؟ قال: من يكون إلاّ عمر بن الخطاب؟

أخرجه المحبّ الطبري في الرياض.

وفي أُخرى له رضي الله عنه قال: لقي رجل شيطاناً في سكّة من سكك المدينة، فصارعه فصرعه الرجل فقال: دعني، فإنّك إن تدعني أُخبرك بشيء يعجبك. فقال: لا أدعك حتّى تخبرني، وعَضّه في إصبعه. فقال: هل تقرأ سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: فإنّ الشيطان لا يسمع منها شيئاً إلاّ أدبر وله عجيج كعجيج الحمار.

فقيل لابن مسعود: من ذلك الرجل؟ قال: ومن عسى أن يكون إلاّ عمر.

أخرجه عبدالله بن مسعود الأندلسي في كتابه الشفا.[1]

ومن لطائف الأُمور: وضعهم الأحاديث في فضائل خلفائهم والدفاع عنهم عن لسان إبليس نفسه ... .

ومن ذلك: ما رواه القاضي أبوبكر أحمد بن الضحّاك في (فضائل عمر)، والوصابي في (الإكتفاء في فضائل الخلفاء) والمحبّ الطبري في (الرياض النضرة في فضائل العشرة) نقلاً عن أحمد بن الضحاك، واللفظ للأخير:

عن الأعمش قال: خرجت في ليلة مقمرة أُريد المسجد، فإذا أنا بشيء عارضني فاقشعرّ منه جسدي.

فقلت: من الجنّ أم من الإنس؟

فقال: بل من الجنّ.

فقلت: مؤمن أم كافر؟

فقال: بل مؤمن.

فقلت: هل فيكم من هذه الأهواء والبدع شيء؟

قال: نعم.

ثمّ قال: وقع بيني وبين عفريت من الجنّ اختلاف في أبي بكر وعمر، فقال العفريت: إنّهما ظلما عليّاً واعتديا عليه.

فقلت له: بمن ترضى حكماً بيني وبينك؟

---

(١) الإكتفاء في مناقب الخلفاء: مخطوط. وانظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

قال: بإبليس.

فأتيناه فقصصنا عليه القصّة فضحك.

ثمّ قال: هؤلاء من شيعتي وأنصاري وأهل مودّتي.

ثمّ قال: ألا أُحدّثكم بحديث؟

قلنا: بلى.

قال: أُعلمكم أنّي عبدت الله تعالى في السماء الدنيا ألف عام، فسمّيت فيها العابد، وعبدت الله في الثالثة ألف عام فسمّيت فيها الراغب، ثمّ رفعت إلى الرابعة، فرأيت سبعين ألف صفّ من الملائكة يستغفرون لمحبّي أبي بكر وعمر، ثمّ رفعت إلى الخامسة، فرأيت فيها سبعين ألف ملك يلعنون مبغضي أبي بكر وعمر.

أخرجه القاضي أبوبكر أحمد بن الضحّاك في فضائل عمر بن الخطّاب.[1]

وإذا كان الخصم يرى أنّ الشيطان لا يدعو إلاّ إلى الشر، فهو ـ إذن ـ يعترف بكون حبّ الشيخين شرّاً لا خير فيه أبداً ... وهذا من الأدلّة الإلزاميّة التي لا مفرّ لهم منها ... .

وسادساً: فإنّ خبر (الاحتجاج) قد رواه القوم في كتبهم وإنْ مختصراً ...

قال القاضي أبوجعفر محمّد بن عمر الشعبي في (الكفاية):

روي في الأخبار: إنّ عليّاً مرّ على الحسن البصري وهو يتوضّأ، فقال له: أسبغ الوضوء يا غلام. فقال الحسن لعلي: قتلت أُلوفاً ممّن كان يسبغ الوضوء.

---

(١) شذرات الذهب ١ / ٢٦ عن الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة.

وإنّما أراد به المحاربة التي وقعت بينه وبين معاوية، فقتل كثير من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم.

فقال له علي: أحزنك ذلك؟ فقال: نعم، فقال له علي: أحزنك الله تعالى.

وهذا الخبر يدلّ على شدّة نصب الحسن البصري وعناده لأميرالمؤمنين عليه السّلام، فكان أخاً لإبليس حقّاً ...

وقد حاول الشعبي ـ صاحب الكفاية ـ أن يذكر لدعاء الإمام على الحسن محملاً كيلا يدلّ على الذمّ له، فقال:

ثمّ دعاء علي ليس على وجه الغضب، وإنّما أراد به أحزنك الله في أمر الدين، فاستجاب الله دعاءه. فروي أنّه لم يضحك بعد ذلك أربعين سنة.

لكنّه تأويل سخيف ومضحك، كما لا يخفى ... .

وتلخص:

إن الحسن البصري لم يكن من الشيعة الإماميّة، وإنّما كان ربّما يتظاهر بذلك في بعض الأحيان، وأبان بن أبي عياش وصفه بالتشيع لِما رآه يتظاهر بذلك في ذلك الوقت، وهذا لا يعارض خبر (الاحتجاج) ولا غيره من الأخبار المذكورة في كتبنا، ككتاب (الإثنا عشريّة) للشيخ الحرّ العاملي رحمه الله، الدالّة على عدائه وناصبيّته لأميرالمؤمنين عليه السّلام، حتّى أنّ الإمام عليه السّلام قد وصفه في رواية بأنّه «سامريّ هذه الأُمّة» ولهذا الوصف مداليل كثيرة.

وتلخص: أنّ «الحسن» ليس من الشيعة أصلاً، لكن «أبان» لم يكذب في وصفه بالتشيّع.

عطاء بن أبي رباح

وأمّا عطاء، فيكفيه فضلاً وفخراً: كونه شيخ الإمام الأعظم وما قاله أبوحنيفة في حقّه.

قال الذهبي في (ميزان الإعتدال):

عطاء بن أبي رباح، سيّد التابعين علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكّة، روى عن عائشة وأبي هريرة والكبار، وعاش تسعين سنة أو أزيد، وكان حجةً، إماماً، كبير الشأن، أخذ عنه أبوحنيفة وقال: ما رأيت مثله.[١]

لعبه بالشطرنج

لكنّه كان يلعب بالشّطرنج، كما في (حياة الحيوان).[٢] وقبائح الشطرنج كثيرة جدّاً، ولنذكر بعض ذلك فيما يلي من كتاب (كنز العمّال):

ملعون من لعب بالشطرنج، والناظر إليها كالآكل لحم الخنزير. عبدان وأبوموسى وابن حزم عن حبة بن مسلم.[٣]

ملعون من لعب بالشطرنج. الديلمي عن أنس.[٤]

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٧٠، ٥٦٤٠.

(٢) حياة الحيوان الكبرى ٢ / ١٩٧ ـ ١٩٨، «العقرب».

(٣) كنز العمّال ١٥ / ٢١٥، ٤٠٦٣٦.

(٤) المصدر ١٥ / ٢١٨، رقم ٤٠٦٥٣.

إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه، فلا تسلّموا عليهم، وإن سلّموا عليكم فلا تردّوا عليهم. الديلمي عن أبي هريرة.[١]

ألا إنّ أصحاب الشاه في النار، الذين يقولون قتلت والله شاهك. الديلمي عن ابن عبّاس.[٢]

إنّ الله تعالى ينظر في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة، لا ينظر فيها إلى صاحب الشاه، يعني الشطرنج. الديلمي عن واثلة.[٣]

لله تبارك لوحاً ينظر فيه في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة، يرحم بها عباده، ليس لأهل الشاه فيها نصيب. الخرائطي في مساوي الأخلاق عن واثلة.[٤]

عن علي: النرد والشطرنج من الميسر. ش وابن المنذر وابن أبي حاتم ق .[٥]

من لعب بالميسر ثمّ قام يصلّي، فمثله مثل الذي يتوضّأ بالقيح ودم الخنزير،

فيقول الله: لا تقبل له صلاة. طب عن أبي عبدالرحمن الخطمي.[٦]

أنّ عليّاً مرّ على قوم يلعبون بالشطرنج، فوثب عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم، ولولا أن تكون سنّة لضربت بها وجوهكم. ق كر.[٧]

---

(١) المصدر ١٥ / ٢١٦، رقم ٤٠٦٤٤.
(٢) المصدر ١٥ / ٢١٨، رقم ٤٠٦٥٤.
(٣) المصدر ١٥ / ٢١٨، رقم ٤٠٦٥٦.
(٤) المصدر ١٥ / ٢١٨، رقم ٤٠٦٥٧.
(٥) المصدر ١٥ / ٢٢٤، رقم ٤٠٦٧٩.
(٦) كنز العمّال ١٥ / ٢١٧، رقم ٤٠٦٤٩.
(٧) المصدر ١٥ / ٢٢٥، رقم ٤٠٦٨٤.

عن علي: إنّه مرّ بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، يمسّ أحدكم جمراً حتّى يطفأ خير له من أن يمسّها . ش وعبد ابن حميد وابن أبي الدنيا في ذمّ الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم ق.[١]

عن علي قال: لا نسلّم على أصحاب النردشير والشطرنج. كر.[٢]

يأتي على الناس زمانٌ يلعبون بها، ولا يلعب بها إلاّ كلّ جبّار، والجبّار في النّار ـ يعني بالشطرنج ـ ولا يوقّر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً ممشى، الصالح فيهم مستخفّاً، أولئك شرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة. الديلمي عن أنس.[٣]

هذا، وقد ذهب إلى حرمة الشّطرنج كافّة الأئمّة الأربعة، كما نصَّ على ذلك صاحب (الصواقع) في فصل المكائد حيث قال:

الثلاثون والمائة: طعن أهل السنّة بأنّهم يجوّزون اللّعب بالشطرنج، فإنّه ينخدع به أمرقعان، وهو افتراء، فإنّ اللّعب بالشطرنج حرام عند أبي حنيفة ومالك وأحمد على الصحيح، وورد في حرمته أحاديث وآثار، وعند الشافعي في القول الأوّل مكروه، بشرط عدم إخراج الصّلوات عن وقتها، وإخلال تحفّظ الواجبات بواسطة الإشتغال به، وأن يخلو عن القمار، وأنْ لا يصير سبباً للنزاع والكذب، وأنْ لا يكون أسبابه مصوّرةً بصور الحيوانات، فإنْ فقد شيء من هذه الشروط صار حراماً، وبالإصرار يصير كبيرةً. كذا

---

(١) المصدر ١٥ / ٢٢٥، رقم ٦٠٤٨٥.

(٢) المصدر ١٥ / ٢٢٦، رقم ٤٠٦٨٦.

(٣) المصدر ١٥ / ٢١٨، رقم ٤٠٦٥٢.

في الإحياء،. وقد صحّ عن الشافعي أنّه رجع إلى قول الأئمّة الثلاثة، نصّ عليه الإمام أبوحامد الغزالي. واللّعب كلّه حرام عند أهل السنّة ... .[1]

فظهر من هناك أنّ عطاء بن أبي رباح كان بعيداً عن الفضل والصّلاح، محروماً عن الرشد والفلاح، منحازاً عن حيازة مغانم الأرباح، منهمكاً في الضلال والفسق والطلاح، حيث جوّز ما يلعن على مرتكبه بالغداء والرواح.

تركه النهي عن المنكر

ومن قوادحه: إنّه لم ينكر على خالد بن عبدالله القسري بدعته في مكّة المكرّمة، فقد جاء في كتاب (إتحاف الورى) ما نصّه:

وقد فعل خالد بن عبدالله القسري بمكّة المشرّفة أفعالاً من غير معرفة للسنّة التي فعل فيها، فأحببت ذكر ذلك هنا، لئلاّ يخلو منه هذا الكتاب.

فمن ذلك: إنّ النّاس كانوا يقومون قيام شهر رمضان في أعلى المسجد، تركز حربة خلف المقام بربوة، فيصلّي الإمام خلف الحربة والناس وراءه، فمن أراد صلّى مع الإمام، ومن أراد طاف وركع خلف المقام. فلمّا ولي خالد ابن عبدالله القسري مكّة لعبدالملك بن مروان وحضر شهر رمضان، أمر خالد الأئمّة أنْ يتقدّموا فيصلّوا خلف المقام، وأدار الصفوف حول الكعبة، وذلك أنّ النّاس ضاق عليهم أعلا المسجد، فأدارهم حول الكعبة، فقيل له: يمتنع بذلك الناس من الطواف، قال: فأنا آمرهم يطوفون بين كلّ ترويحتين سبعاً، فأمرهم ففصلوا بين كلّ ترويحتين [بطواف سبع]، فقيل له: فإنّه يكون في مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائفين من مُصَلّ وغيره، فيتهيّأ للصلاة، فأمر عبيد

(١) الصواقع الموبقة: مخطوط. وانظر: حياة الحيوان الكبرى ٢ / ١٩٧، الفتاوى الكبرى لإبن تيميّة ٤ / ٤٧٤.

الكعبة أنْ يكبّروا حول الكعبة ويرفعوا أصواتهم في الطواف بالتكبير، إذا بلغوا الحجر يقولون: سبحان الله والحمد لله والله أكبر. فإذا بلغوه في الطواف السادس سكتوا، فصلوا بين التكبير بسكتة فيكون ذلك إعلاماً للنّاس أنّ الطواف على انقضاء، فيتهيّأ من في الحجر ومن في جوانب المسجد من مصلّ وغيره، فيخفّف صلاته، ثمّ يعود الطائفون بالتكبير حتّى يفرغوا من السبع، ثمّ يقوم مناد فينادي: الصلاة رحمكم الله، ولا تنقضي صلاتهم حتّى يطلع الفجر، وكان على جبل أبي قبيس رئية يرقب طلوع الفجر للمسحرين، فإذا بان له نادى: أمسكوا رحمكم الله.

وكان عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء يحضرون ذلك، فلا ينكرونه.[1]

كان يأخذ من كلّ أحد ويروي المرسلات

قالوا: وكان عطاء بن أبي رباح متساهلاً في الرواية، يأخذ من كلّ أحد، ويروي المراسيل، حتّى تكلّم فيه بعض الأئمّة، ففي (تدريب الراوي):

تكلّم الحاكم على مراسيل سعيد فقط دون سائر من ذكر معه، ونحن نذكر ذلك، فمراسيل عطاء قال ابن المديني: كان عطاء يأخذ من كلّ ضرب، مرسلات مجاهد أحبّ إليّ من مرسلاته بكثير. وقال أحمد بن حنبل: مرسلات سعيد بن المسيّب أصحّ المرسلات، ومرسلات إبراهيم النخعي لا بأس بها، وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح، فإنّهما كانا يأخذان من كلّ واحد.[2]

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أُم القرى ٢ / ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) تدريب الراوي ١ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

وفي (ميزان الإعتدال):

قال يحيى القطان: مرسلات مجاهد أحبّ إلينا من مرسلات عطاء [بكثير، كان عطاء] يأخذ من كلّ ضرب. وقال أحمد: ليس في المرسل أضعف من مرسل الحسن وعطاء، كانا يأخذان عن كلّ أحد.[1]

بل لقد تركه بعض الأئمّة الكبار، وإنْ حاول الذهبي حمل الترك على معنىً آخر، ففي (ميزان الإعتدال):

روى محمّد بن عبدالرحيم عن علي بن المديني قال: كان عطاء بأخرة قد تركه ابن جريج وقيس بن سعد. قلت: لم يَعْنِ الترك الإصطلاحي، بل عنى أنّهما بطّلا الكتابة عنه، وإلاّ فعطاء ثبت رضي.[2]

لكنّه حمل بارد جدّاً، لأنّ المتبادر من الترك في مثل هذه المواضع هو الترك الإصطلاحي، وهو عدم كونه أهلاً لأنْ يروى عنه.

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٧٠، رقم ٥٦٤٠.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٧٠، رقم ٥٦٤٠.

عطاء بن أبي سلمة الخراساني

وأمّا عطاء بن أبي سلمة الخراساني، الذي ذكره السيوطي ـ بعد عطاء بن أبي رباح ـ فلم أجده في الكتب الرجاليّة. نعم، لا يبعد أن يكون مراده عطاء ابن أبي مسلم الخراساني، فإنّه على ما في (فتح الباري) وغيره كان له مصنَّف في التفسير، وقد وثّقه غير واحد من الأعلام.

لكنْ في (ميزان الإعتدال) في ترجمته:

وذكره العقيلي في الضعفاء، متشبّثاً بهذه الحكاية التي رواها حمّاد بن زيد عن أيّوب، حدّثني القاسم بن عاصم، قلت لسعيد بن المسيّب: إنّ عطاء الخراساني حدّثني عنك أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر الذي واقع أهله في رمضان بكفّارة الظهار. فقال: كذب، ما حدّثته، إنّما بلغني أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال له: تصدّق تصدّق.

وقد ذكر البخاري عطاء الخراساني في الضعفاء، فروى له هذا عن سليمان بن حرب عن حمّاد.

أحمد بن حنبل: حدثنا عفّان، حدثنا همام، أخبرنا قتادة: أنّ محمّداً وعوناً حدّثاه أنّهما قالا لسعيد: إنّ عطاء الخراساني حدّثنا عنك في الذي وقع بأهله في رمضان، فأمره النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يعتق رقبة، فقال: كذب عطاء، إنّما قال له: تصدّق تصدّق.

وقال ابن حبّان في الضعفاء: أصله من بلخ، وعداده في البصريّين، وإنّما قيل له الخراساني، لأنّه دخل خراسان وأقام بها مدّة طويلة ثمّ رجع إلى العراق، فنسب إلى خراسان، وكان من خيار عباد الله، غير أنّه كان رديّ الحفظ، كثير الوهم، يخطئ ولا يعلم، فيحمل عنه، فلمّا كثُر ذلك في روايته بطل الإحتجاج به ... .

قال الترمذي في كتاب العلل: قال محمّد يعني البخاري: ما أعرف لمالك رجلاً يروي عنه يستحقّ أن يترك حديثه، غير عطاء الخراساني. قلت: ما شأنه؟ قال: عامّة أحاديثه مقلوبة.[١]

وهذا أيضاً رأي السمعاني فيه، حيث قال:

وكان من خيار عباد الله، غير أنّه كان رديّ الحفظ، كثير الوهم، يخطئ ولا يعلم فحمل عنه، فلمّا كثر ذلك في روايته بطل الإحتجاج به.[٢]

هذا، وقد أوردنا ترجمته في بعض أبحاثنا وقلنا:

و«عطاء الخراساني»:

أورده البخاري في الضعفاء.

وابن حبّان في المجروحين.

والعقيلي في الضعفاء الكبير.

والذهبي في الميزان والمغني. وقال السمعاني:

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٧٤ ـ ٧٥، رقم ٥٦٤٢.

(٢) الأنساب ٢ / ٣٣٧، «الخراساني».

رديء الحفظ، كثير الوهم، يخطئ ولا يعلم فحمل عنه، فلمّا كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به.[1]

(١) الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة، رسالة تزويج أُم كلثوم من عمر: ٣٥.

أبوالعالية

وأمّا أبوالعالية، الذي جاء بترجمته من (رجال المشكاة) للدهلوي:

قالت حفصة بنت سيرين: سمعته يقول: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرّات، وزهد في الدنيا، وحجَّ خمساً وستّين حجّة.[١]

وفي (مرآة الجنان):

أبوالعالية، رفيع بن مهران الرياحي، مولاهم، البصري، المقرىء المفسّر، وقد دخل على أبي بكر، وقرأ القرآن على أُبي. قال أبوالعالية: كان ابن عبّاس يرفعني على السرير وقريش أسفل. وقال أبوبكر ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصّحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير.[٢]

وكذا في (تدريب الراوي).[٣]

فقد أورده في (الميزان) وقال:

قال ابن عدي: تُكلّم فيه من أجل حديث الضحك في الصّلاة.[١]

---

(١) رجال المشكاة، ترجمة أبوالعالية.

(٢) مرآة الجنان ١ / ١٤٧، سنة ٩٣.

(٣) أُنظر: تدريب الراوي ٢ / ٤٠٠.

بل عن الشافعي أنّه تكلّم في حديثه كلّه وقال:

حديث أبي العالية الرياحي رياح.[٢]

وهذا الكلام ـ وإنْ حاول الذهبي تأويله ـ يدلُّ على سقوط كافة روايات الرجل وعدم اعتباره عند الشافعي، ولذا قال السمعاني:

كان الشافعي مسيىء الرأي فيه وفي روايته.[٣]

وفي (رسالة ترجيح مذهب الشافعي) للفخر الرازي:

استدلّوا على ضعف حرام بن عثمان بقول الشافعي: حديث حرام كاسمه حرام، وحديث الرياحي رياح، ومن روى عن أبي جابر البياضي بيّض الله عينيه. ولمّا ثبت أنّ العلماء رجعوا إلى فتواه في الجرح والتعديل، علمنا أنّ تقدّمه في علم الحديث كان معروفاً مسلّماً فيما بين النّاس.

وتكلّم ابن سيرين أيضاً في أبي العالية، بما لا يقبل الحمل والتأويل، فقد جاء في كتاب (العناية) بعد ما يروونه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله من الحديث: لا وضوء على من نام قائماً أو قاعداً:

فإنْ قيل: هذا الحديث غير صحيح، لأنّ مداره على أبي العالية، وهو ضعيف عند النقلة، روي عن ابن سيرين أنّه قال: حدّث عمّن شئت إلاّ عن أبي العالية، فإنّه لا يبالي عمّن أخذ، أي: لا يبالي أن يروي عن كلّ أحد ... .[٤]

---

(١) ميزان الإعتدال ٤ / ٥٤٣، رقم ١٠٣٤٤.

(٢) المصدر ٢ / ٥٤، رقم ٢٧٩٠.

(٣) الأنساب ٣ / ١١١، «الرياحي».

(٤) العناية في شرح الهداية ١ / ٥٧ ـ ٥٨.

الضحّاك بن مزاحم

وأمّا الضحاك بن مزاحم، فإنّهم وإنْ وثّقوه، وذكروا له مناقب كما في (مرآة الجنان) و(ميزان الإعتدال) وغيرهما من كتب الرجال.[1]

لكنْ عن يحيى بن سعيد القطّان ـ الذي كان رأساً في الجرح والتعديل ـ أنّه ضعّفه. قال في (الميزان):

قال يحيى بن سعيد: الضحاك ضعيفٌ عندنا ... [وكذا ابن عدي فإنّه قال]: الضحّاك ابن مزاحم إنّما عرف بالتفسير، وأمّا رواياته عن ابن عبّاس وأبي هريرة وجميع من روى عنه، ففي ذلك كلّه نظر.[2]

وكذا شعبة، ففي (الكاشف):

وقال شعبة: كان عندنا ضعيفاً.[1]

بل السيوطي نفسه نقل عن ابن الجوزي تضعيفه وأقرّه على ذلك، كما في (اللآلي المصنوعة) في نزول قوله تعالى: (**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ...**) الآية:

---

(١) مرآة الجنان ١ / ١٦٩، ميزان الإعتدال ٢ / ٣٢٥، رقم ٣٩٤٢، تهذيب التهذيب ٤ / ٣٩٧، رقم ٧٩٤.

(٢) ميزان الإعتدال ٢ / ٣٢٦، رقم ٣٩٤٢.

الضحاك ضعيف، ولم يسمع من ابن عبّاس.[٢]

(١) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستّة ١ / ٥٠٩، رقم ٢٤٣٧.

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢ / ١١٦.

عطيّة بن سعد العوفي

وأمّا عطيّة، فإنّه وإنْ ذكره السيوطي في عداد قدماء المفسّرين المعتمدين، إلاّ أنّ نقدة الحديث والرجال قد تكلّموا فيه، ويكفي إيراد كلام الذهبي بترجمته من (ميزان الإعتدال) فإنّه قال:

عطيّة بن سعد العوفي الكوفي، تابعي شهير، ضعيف، عن ابن عبّاس وأبي سعيد وابن عمر. وعنه: مسعر وحجاج بن أرطاة وطائفة وابنه الحسن.

قال أبوحاتم: يكتب حديثه، ضعيف.

وقال سالم المرادي: كان عطيّة يتشيّع.

وقال ابن معين: صالح.

وقال أحمد: ضعيف الحديث، وكان هُشيم يتكلّم في عطيّة.

وروى ابن المديني عن يحيى قال: عطيّة وأبوهارون وبشر بن حرب عندي سواء.

وقال أحمد: بلغني أنّ عطيّة كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنى بأبي سعيد فيقول: قال أبوسعيد. قلت: يعني يوهم أنّه الخدري.

وقال النسائي وجماعة: ضعيف.[1]

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٧٩ ـ ٨٠، رقم ٥٦٦٧.

بل ادّعى ابن الجوزي الإجماع على تضعيفه في كتاب (الموضوعات).[1]

أقول:

هذه أنظار هؤلاء القوم في عطيّة العوفي، وقد ناقشناها في بعض بحوثنا المنتشرة.

(١) أُنظر: الموضوعات ١ / ١١٤، باب عظمة الله عزّ وجلّ.

قتادة

وأمّا قتادة، فإنّه وإنْ وُصف بـ «الحافظ أحد الأئمّة الأعلام»[١] وأنّه «ثقة ثبت»[٢] وذكر بتراجمه مناقب كثيرة[٣] بل قيل أنّهم أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله ... .[١]

كان يتّهم بالقدر

لكنّ المحققين النقدة منهم لم يستحيوا من قول الحق وإظهار الحقيقة، فقالوا: كان يتّهم بالقدر، وقد عرفت أنّه الكفر والضلال عندهم، وأضاف بعضهم أنّه كان حاطب ليل، وهو من عبائر التضعيف والقدح ... قال الذهبي:

كان قتادة يتّهم بالقدر ...

وقال ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إنّ عبدالرحمان يقول: أترك [كلّ] من كان رأساً في بدعة يدعو إليها. قال: فكيف يصنع بقتادة وابن أبي رواد وعمر بن ذر، وذكر قوماً. ثمّ قال يحيى: إن ترك هذا الضرب ترك ناساً كثيراً.[٢]

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٢٠٣.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٢٦، رقم ٥٥٣٥.

(٣) تهذيب الكمال ٢٣ / ٤٩٨، رقم ٤٨٤٨، مرآة الجنان ١ / ١٩٧، سنة ١١٧، تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٥، رقم ٦٣٧.

كان كحاطب ليل

وقال جرير [بن عبدالحميد] عن مغيرة، قال الشعبي: حاطب ليل. قال يحيى بن يوسف الزمى: حدثنا ابن عيينة، قال لي عبدالكريم الجوزي: يا أبامحمّد، تدري ما حاطب ليل؟ قلت: لا. قال: هو الرجل يخرج في الليل فيحتطب، فيضع يده على أفعى فتقتله. هذا مثل ضربته لك لطالب العلم، أنّه إذا حمل من العلم ما لا يطيقه قتله علمه، كما قتلت الأفعى حاطب ليل.[٣]

كان يدلّس

والذهبي نسب إليه التدليس أيضاً حيث قال في (الميزان):

قتادة بن دعامة السدوسي، حافظ ثقة ثبت، لكنّه مدلّس ورمي بالقدر. قاله يحيى بن معين. ومع هذا فاحتجّ به أصحاب الصحاح، لا سيّما إذا قال حدّثنا. مات كهلاً.[٤]

وقال ابن خلكان:

قال معمر: سألت أباعمرو بن العلاء عن قوله تعالى: (**وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنينَ**) فلم يجبني. فقلت: إنّي سمعت قتادة يقول: مُطِيقين. فسكت، فقلت له: ما تقول يا أباعمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: إذا ذكر القدر فأمسكوا لما عدلت به أحداً من أهل دهره.[١]

قصّة أبي حنيفة معه

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٥٧، رقم ٥٠٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٧٥ و ٢٧٨، رقم ١٣٢.

(٣) المصدر ٥ / ٢٧٢، رقم ١٣٢.

(٤) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٨٥، رقم ٦٨٦٤.

هذا، وقد جاء في (تاريخ بغداد) ما نصّه:

دخل قتادة الكوفة ونزل في دار أبي بردة، فخرج يوماً وقد اجتمع إليه خلق كثير فقال قتادة: والله الذي لا إله إلاّ هو، ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلاّ أجبته.

فقام إليه أبوحنيفة فقال: يا أباالخطّاب! ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً، فظنّت امرأته أنّ زوجها مات، فتزوّجت، ثمّ رجع زوجها الأوّل، ما تقول في صداقها؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدّث بحديث ليكذبنّ، ولئن قال برأيه ليخطئنّ.

فقال قتادة: ويحك! أوقعت هذه المسألة؟

قال: لا.

قال: فلم تسألني عمّا لم يقع؟

قال أبوحنيفة: إنّا نستعدّ للبلاء قبل نزوله، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

[فقال] قتادة: والله لا أُحدّثكم بشيء من الحلال والحرام، سلوني عن التفسير.

فقام إليه أبوحنيفة فقال له: يا أباالخطّاب! ما تقول في قوله تعالى: (**قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**)؟

قال: نعم، هذا آصف بن برخيا بن شمعيا كاتب سليمان بن داود، كان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبوحنيفة: وهل كان يعرف الإسم سليمان؟

قال: لا.

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٨٥، رقم ٥٤١.

قال: فيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي؟

قال قتادة: والله لا أُحدّثكم بشيء من التفسير، سلوني عمّا اختلف فيه العلماء.

قال: فقام إليه أبوحنيفة فقال: يا أباالخطّاب! أمؤمن أنت؟

قال: أرجو.

قال: ولِمَ؟

قال: يقول إبراهيم عليه السّلام (**وَالَّذي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لي خَطيئَتي يَوْمَ الدِّينِ**).

فقال أبوحنيفة: هلاّ قلت كما قال إبراهيم عليه السّلام: (**قالَ أَ وَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى**)فهلاّ قلت: بلى؟

قال: فقام قتادة مغضباً ودخل الدّار، وحلف أن لا يحدّثهم.[1]

كلام الامام الباقر معه

وتقدّم ـ في مقّدمات الكتاب ـ كلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام مع قتادة وتحذيره من تفسير القرآن من دون مراجعة من خوطب به، فراجعه.

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩، رقم ٧٢٩٧.

زيد بن أسلم

وأمّا زيد بن أسلم، فيكفي عن ذكر مناقبه كما في (تهذيب الأسماء)[1] كونه مولى عمر بن الخطّاب، لأنّ هذه العلقة ـ كما ذكر الدهلوي في (التحفة) ـ توجب الاتّحاد بين المالك والمولى في العقيدة والطريقة.

والأهم من ذلك دعواهم حضور الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السّلام عنده للإستفادة، حتّى قيل له: «غفر الله لك، أنت سيّد النّاس وأفضلهمْ، تذهب إلى زيد بن أسلم وهو مولى فتجلس معه؟» فقال: «ينبغي للعلم أنْ يبتغى حيث هو»!! قالوا: «وكان يتخطّى حلق قومه حتّى يأتي زيد بن أسلم فيجلس عنده ويقول: إنّما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه».

هكذا في (تحصيل الكمال في أسماء الرجال).[2]

وأعوذ بالله من هذا البهتان الذي افتراه أهل الضّلال، تنقيصاً من شأن الإمام عليه السّلام. كما لا يخفى على أُولي الأبصار والأفهام ...

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٦٩، رقم ١٨٥.

(٢) تحصيل الكمال في أسماء رجال المشكاة للشيخ عبدالحق الدهلوي، ترجمة زيد بن أسلم.

لكن ابن عدي أدرج زيداً في كتاب (الكامل)[1] الذي صنّفه في أسماء الضعفاء، وهو كما قال المناوي في (فيض القدير):

أصل من الأُصول المعوّل عليها المرجوع إليها، طابق اسمه معناه، ووافق لفظه فحواه، من عينه انتجع المنتجعون، وبشهادته حكم الحاكمون، وإلى ما قاله رجع المتقدّمون والمتأخّرون.[2]

وهذا ما أزعج الذهبي فقال:

زيد بن أسلم مولى عمر، تناكد ابن عدي بذكره في الكامل. فإنّه ثقة حجّة. فروى عن حمّاد بن زيد قال: قدمت المدينة وهم يتكلّمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيدالله بن عمر: ما نعلم به بأساً إلاّ أنّه يفسّر القرآن برأيه.[3]

فقد اعترض الذهبي على ابن عدي ذكره في الضعفاء، إلاّ أنّه أضاف إلى ذلك «تكلّم أهل المدينة في زيد بن أسلم» وروى عن عبيدالله بن عمر أنّه «كان يفسّر القرآن برأيه» وهذا يكفي لسقوط تفسيره عن الاعتبار، وقد أخرج الترمذي:

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: اتّقوا الحديث عنّي إلاّ ما علمتم، فمن كذب علَيّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار. هذا حديث حسن.[4]

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ٣ / ٢٠٨، رقم ٧٠٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٣٨.

(٣) ميزان الإعتدال ٢ / ٩٨، رقم ٢٩٨٩.

(٤) سنن الترمذي ٤ / ٢٦٨، رقم ٤٠٢٣، كتاب تفسير القرآن، الباب ١.

وذكرنا ترجمته في كتابنا (الرسائل العشر) باختصار بمناسبة روايته خبر تزويج أميرالمؤمنين ابنته من عمر فقلنا هناك:

و«زيد بن أسلم»، فقد ذكروا بترجمته أنّه كان يروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري وأبي هريرة، ثمّ نقلوا عن ابن معين قوله: «لم يسمع من جابر ولا من أبي هريرة».

وكذا ذكروا بالنسبة إلى غيرهما من الصّحابة، وهذا معناه أنّه يروي عنهم ما لم يسمعه منهم.

وبه صرّح ابن عبدالبرّ، ونقله عنه ابن حجر وارتضاه حيث قال:

وذكر ابن عبدالبرّ في مقدّمة التمهيد ما يدلّ على أنّه كان يدلّس.[1]

هذا، وعن ابن عمر:

لا أعلم به بأساً إلاّ أنّه كان يفسّر برأيه القرآن ويكثر منه.[2]

وأمّا في كتب أصحابنا، فقد ذكره شيخ الطائفة في رجاله وقال: فيه نظر.[3]

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ / ٣٤٢.

(٢) المصدر.

(٣) رجال الطوسي: ٢٠٧.

مُرّة بن شراحيل

وأمّا مرّة بن شراحيل الهمداني، فلا يجوز الإعتماد عليه والأخذ بتفسيره، لأنّه كان من المعاندين لأميرالمؤمنين عليه السّلام في حربه ضدّ الناكثين ... قال أبونعيم:

حدّثنا عبدالله بن محمّد، ثنا أحمد بن الحسين، ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدّثني عبدالرحمن بن غزوان، ثنا محمّد بن طلحة بن مصرف عن زبيد الأيامي قال: قيل لمرّة بن شراحيل: ألا تلحق بعليّ بصفّين؟ قال: إنّ عليّاً سبقني بخير أعماله، بدر وذواتها، وأنا أكره أنْ أشركه فيما هان فيه.[1]

وعن فطربن خليفة قال:

سمعت مرة يقول: لئن كان علي جملا يستقي عليه أهله كان خيراً له ممّا كان عليه.[2]

وعن كتاب الغارات:

«قد كان بالكوفة من فقهائها من يعادي عليّاً ويبغضه مع غلبة التشيّع على الكوفة، فمنهم مرّة الهمداني». ثمّ نقل عنه أشياء رديّة.[3]

---

(١) حلية الأولياء ٤ / ١٦٣، رقم ٢٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٩٦، رقم ٥٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٩٦ ـ ٩٧، رقم ٥٦.

وقال الجاحظ:

كان مرة يقول: لما قتل عثمان حمدت الله ألاّ أكون دخلت في شيء من قتله، فصليّت مائة ركعة. فلما وقع الجمل وصفين حمدت الله ألاّ أكون دخلت في شيء من تلك الحروب وزدت مائتي ركعة. فلمّا كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة ...». قال الجاحظ: «لا تعرف فقيهاً من أهل الجماعة لا يستحلّ قتال الخوارج».[1]

(١) البيان والتبيين ٤٤٩، عنه قاموس الرجال ١٠ / ٤٦.

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم

وأمّا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، فقد أورده الذهبي في (الميزان) فقال:

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري مولاهم المدني، أخوعبدالله وأُسامة.

قال أبويعلى الموصلي: سمعت يحيى بن معين يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء. وروى عثمان الدارمي عن يحيى: ضعيف. وقال البخاري: عبدالرحمن ضعفه علي جدّاً، وقال النسائي: ضعيف، وقال أحمد: عبدالله ثقة، والآخران ضعيفان.[1]

وفي (الكاشف):

ضعّفوه. له تفسير.[2]

وفي (حاشية الكاشف):

قال البخاري وأبوحاتم: ضعّفه ابن المديني جدّاً وقال: أولاد زيد بن أسلم كلّهم ضعيف وأمثلهم عبدالله. وقال النسائي: ضعيف، وقال يحيى: ليس بشيء،

وقال أحمد: ضعيف.[3]

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٥٦٤، رقم ٤٨٦٨.

(٢) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستّة ١ / ٦٢٨، رقم ٣١٩٦.

(٣) الحاشية على الكاشف: مخطوط.

وقال ابن حجر: «ضعيف».[1]

وقال ابن القيّم في (زاد المعاد):

قال الترمذي: ليس في ولد زيد بن أسلم ثقة.[2]

وقد ترجمنا له في رسالة تزويج أُمّ كلثوم، وهذا نصّها:

و«عبدالرحمن بن زيد»:

قال أبوطالب عن أحمد: «ضعيف».

وقال عبدالله بن أحمد: «سمعت أبي يضعّف عبدالرحمن وقال: روى حديثاً منكراً . . .».

وقال الدوري عن ابن معين: «ليس حديثه بشيء».

وقال البخاري وأبوحاتم: «ضعّفه عليّ بن المديني».

وقال أبوداود: «أولاد زيد بن أسلم كلّهم ضعيف».

وقال النسائي: «ضعيف».

وقال أبوزرعة: «ضعيف».

وقال أبوحاتم: «ليس بقوي في الحديث».

وقال ابن حبّان: «كان يقلّب الأخبار وهو لا يعلم، حتّى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، فاستحقّ الترك».

وقال ابن سعد: «كان كثير الحديث ضعيفاً جدّاً».

---

(١) تقريب التهذيب ١ / ٥٧٠، رقم ٣٨٧٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢ / ١١، كتاب الزكاة.

وقال ابن خزيمة: «ليس هو ممّن يحتجّ أهل العلم بحديثه لسوء حفظه . . .».

وقال الساجي: «وهو منكر الحديث».

وقال الطحاوي: «حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف».

وقال الجوزجاني: «أولاد زيد ضعفاء».

وقال الحكم وأبونعيم: «روى عن أبيه أحاديث موضوعة».

وقال ابن الجوزي: «أجمعوا على ضعفه».[1]

(١) تجد هذه الكلمات وغيرها في: تهذيب التهذيب ٦ / ١٦٢ ـ ١٦٣.

نقدٌ لما قيل في مدح التابعين والدفاع عنهم

أقول:

فهؤلاء هم أعلام التابعين المفسّرين، وتلك هي قيمة تفاسيرهم عند علماء أهل السنّة المحقّقين، فهل يحقّ لأحد أنْ يقول:

«إنّ كثيراً من روّاد العلم، كانوا قد نهضوا نهضتهم الكبرى، في سبيل كسب المعرفة والحصول على معالم الدين الحنيف. وحيث كان قد أعوزتهم الاستضاءة المباشرة من أنوار عهد الرسالة، استعاضوا عنها باللّجوء إلى أعتاب الصّحابة الأعلام، فأخذوا منهم العلوم ونشروها بين العباد. فكانوا هم الواسطة والحلقة الواصلة بين منابع العلم الأوّليّة وبين الأُمّة على الإطلاق، ليس لذلك الدور فحسب، بل لجميع الأدوار والأعصار. فأصبحوا هم حاملي لواء هداية الإسلام إلى كافّة الأنام. وهم جماعات، لا يحصون عدداً، كنجوم السماء المتألّقة في دياجي الظلام، ومبثوثون في الأرض منتشرون في الأقطار والأكناف.

غير أنّا نقتصر على الأعلام، والمعروفين بتعليم القرآن، ونشر علومه وبيان معارفه بين الناس. وهم المتخرّجون من المدارس التفسيريّة المعهودة».[١]

وقال تحت عنوان «مدارس التفسير»:[٢]

«لم يكد ينصرم عهد الصحابة إلاّ وقد نبغ رجال أكفّاء، ليخلفوهم في حمل أمانة الله وأداء رسالته في الأرض، وهم التابعون الذين اتّبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك الفوز العظيم.

إنّهم رجال لم تمكّنهم الاستضاءة من أنوار ذلك العهد (عهد الرسالة) الفائض بالخير والبركات، فاستعاضوا عنها بالمثول بين يدي أكابر الصحابة الأعلام، والعكوف على أعتابهم المقدّسة; يستفيدون من علومهم ويهتدون بهداهم.

وقد كان أعيان الصحابة كثرة منتشرين في البلاد كنجوم السماء، مصابيح الدجى وأعلام الهدى، أينما حلّوا أو ارتحلوا من بقاع الأرض; وبذلك انتشرت تعاليم الإسلام، وشاع وذاع مفاهيم الكتاب والسنّة النبويّة بين العباد، في مختلف البلاد.

وحيثما ارتحل صحابيّ جليل وحلّ به من بلد إسلاميّ كبير، كان قد شيّد فيه مدرسة واسعة الرَّحب، بعيدة الأرجاء، يبثّ بها معالم الكتاب والسنّة، ويقصدها الروّاد من كلّ صوب. وكان أشهر هذه المدارس ـ حسب شهرة مؤسّسيها ـ خمسة:

١. مدرسة مكّة: أقامها عبدالله بن عبّاس، يوم ارتحل إليها عام الأربعين من الهجرة; حيث غادر البصرة وقدم الحجاز، بعد استشهاد الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام، وكان والياً من قبل الإمام، فلم يتصدّ ولايةً بعده، عاكفاً على أعتاب حرم الله، يؤدّي رسالته هناك في بثّ العلوم ونشر المعارف التي تعلّمها وأخذها عن الإمام عليه السّلام. وقد دامت المدرسة مدّة حياته حتّى عام ثمانية وستّين; حيث وفاته بالطائف رضوان الله عليه.

---

(١) التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١ / ٢٧٧.

(٢) المصدر ١ / ٢٦٩.

وقد تخرّج من هذه المدرسة أكبر رجالات العلم في العالم الإسلاميّ حينذاك، وكان لهذه المدرسة ولمن تخرّج منها صدًى محمودٌ في أرجاء البلاد، وبقيت آثارها الحسنة سنّةً متّبعةً بين العباد، ولا تزال. ولعلّ أعلم التابعين بمعاني القرآن هم المتخرّجون من مدرسة ابن عبّاس والمتعلّمون على يديه.

قال ابن تيميّة: وأمّا التفسير فإنّ أعلم الناس به أهل مكّة; لأنّهم أصحاب ابن عبّاس، كمجاهد وعطاء وعكرمة. وغيرهم من أصحاب ابن عبّاس كطاوس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم. وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود. ومن ذلك تميّزوا به على غيرهم.

٢. مدرسة المدينة: قيامها على الصحابة الموجودين بها، ولا سيّما أُبيّ بن كعب الأنصاريّ، سيّد القرّاء. كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلّها. قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لِيَهِنكَ العلم، أباالمنذر.

وكان أوّل من كتب لرسول الله مقدمه المدينة، فإذا لم يحضر أُبيٌّ كتب زيد بن ثابت. كان أقرأ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان ممّن جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله، وتأليفاً بعد وفاته. وكان قد تفرّغ للإقراء بالمدينة ما لم يتفرّغ له سائر الصحابة الباقين فيها. ومن ثمّ تصدّى الإملاء على لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، وكانوا يرجعون إليه عند الاختلاف. تُوفّي سنة (٣٠ هـ) في خلافة عثمان، حسبما قدّمنا.

٣. مدرسة الكوفة: أقام دعائمها الصحابيّ الكبير عبدالله بن مسعود، كان خصيصاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخدمه ويتربّى على يديه. قال حذيفة: أقرب الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هدياً ودلاًّ وسمتاً، ابن مسعود. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد

صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ ابن أمّ عبد من أقربهم إلى الله زلفى. كان أوّل من جهر بالقرآن على ملأ من قريش، فأوذي في الله واصطبر على البلاء. كان قد هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلّها. قدم الكوفة ـ على عهد ابن الخطّاب ـ معلّماً ومؤدّباً، حتّى أحضره عثمان سنة (٣١ هـ) وكانت فيها وفاته. ولمّا بلغ أباالدرداء نَعْيُه، قال: ما تُرِكَ بعده مثله.

تربّى على يديه خلق كثير، فمن التابعين: علقمة بن قيس النخعيّ، وأبووائل شقيق بن سلمة الأسديّ الكوفيّ، والأسود بن يزيد النخعيّ، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة بن عمرو السلمانيّ، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم.

وقد عرفت أنّ مدرسة الكوفة كانت أهمّ المدارس بعد مدرسة مكّة، توسّعاً وشمولاً لمعاني القرآن والفقه والحديث.

٤. مدرسة البصرة: أقامها أبوموسى الأشعريّ: عبدالله بن قيس توفّي (٤٤ هـ). قدم البصرة سنة (١٧ هـ) والياً عليها من قبل عمر، بعد أن عزل المغيرة، ثمّ أقرّه عثمان، وبعد فترة عزلة، فسار إلى الكوفة. ولمّا أن عزل سعيداً استعمله عليها، وعزله الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام، فكان يراود معاوية في سرّ، ولأخوّة قديمة كانت بينهما، كما يبدو من وصيّة معاوية لابنه يزيد بشأن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري. كان منحرفاً عن عليّ عليه السّلام وافتضح أمره يوم الحكمين. وهو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم. قال ابن حجر: وتخرّج على يديه جماعة من التابعين ومن بعدهم. وأخرج الحاكم عن أبي رجاء، قال: تعلّمنا القرآن عن أبي موسى الأشعريّ في هذا المسجد ـ يعني مسجد البصرة ـ وكنّا حلقاً حلقاً، وكأنّما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين.

وكانت مدرسته ذات انحراف شديد، ومن ثَمّ كانت البصرة من بعده أرضاً خصبة لنشوء كثير من البِدَع والانحرافات الفكريّة والعقائديّة، ولا سيّما في مسائل الأُصول والإمامة والعدل.

قال عبدالكريم الشهرستانيّ: وسمعت من عجيب الاتّفاقات أنّ أباموسى الأشعريّ (المتوفّى سنة ٤٤ هـ) كان يقرّر عين ما يقرّر حفيده أبوالحسن الأشعريّ (المتوفّى سنة ٣٢٤ هـ) في مذهبه، وذلك قد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه، فقال عمرو: أين أجد أحداً أحاكم إليه ربّي؟ فقال أبوموسى: أنا ذلك المتحاكم إليه. فقال عمرو: أو يقدِّر عليَّ شيئاً ثمّ يعذّبني عليه؟ قال أبوموسى: نعم، قال عمرو: وَلِمَ؟ قال: لأنّه لا يظلمك! فسكت عمرو ولم يُحِر جواباً.[١]

وذكر ابن أبي الحديد أبابردة ابن أبي موسى الأشعريّ فيمن أبغض عليّاً، وكان من القالين له، ثمّ قال: ورث البِغضة له، لا عن كلالة،[٢] أي كان هذا الحقد للإمام أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ قد أتاه مباشرةً من قبل والده، فكانت البِغضة منه تليداً، ولم تأته من عرض عارض، لا تلد الحيّة إلاّ الحيّة.

٥. مدرسة الشام: قام بها أبوالدرداء عويمر بن عامر الخزرجيّ الأنصاريّ. كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم. أسلم يوم بدر، وشهد أُحُداً وأبلى فيها بلاءً حسناً. روي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال بشأنه حينذاك: نِعم الفارس عويمر، وقال: هو حكيم أُمّتي. تولّى قضاء دمشق أيّام خلافة عمر، وتوفّي في خلافة عثمان سنة (٣٢ هـ). ولم ينزل دمشق من أكابر الصحابة سوى أبي الدرداء، وبلال بن رباح المؤذّن الذي مات في طاعون عمواس سنة (٢٠ هـ) ودفن بحلب.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٩٤ (طـ القاهرة ١٣٨٧ هـ ق).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٩٩.

وكذا واثلة بن الأسقع، وكان آخِر من مات بدمشق من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، مات سنة (٨٥ هـ) في خلافة عبدالمللك بن مروان.

تخرّج على يديّ أبي الدرداء جماعة من أكابر التابعين، منهم: سعيد بن المسيّب، وعلقمة بن قيس، وسويد بن غفلة، وجبير بن نفير، وزيد بن وهب، وأبوإدريس الخولانيّ، وآخرون.

كان أبوالدرداء من الثابتين على ولاء آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لم تزعزعه العواصف.

روى الصدوق ـ في أماليه ـ بإسناده إلى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عروه، قال: كنّا جلوساً في حلقة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نتذاكر أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبوالدرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقلّ مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: ذاك أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

قال عروة: فوالله، ما نطق أبوالدرداء بذلك إلاّ وأعرض عنه بوجهه من في المجلس. ثمّ انتُدِبَ له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها. فقال أبوالدرداء: يا قوم، إنّي قائل ما رأيت، وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا ... ثمّ أخذ في بيان مواضع عليّ عليه السّلام من العبادة والبُكاء، عندما كان يختلي بربّه في ظلمة الليل والناس نيام».

أقول:

لماذا كلّ هذا السّعي وراء الدفاع عن هؤلاء مع ما نجد في أحوالهم في كتب أهل السنّة؟ لماذا هذه المغالاة في مدحهم والثناء عليهم ووصفهم بما لا يستحقّون؟

إنّنا نحترم بعض هؤلاء كسعيد بن جبير وعطيّة العوفي، لكنّ المهمّ أنّ هؤلاء المفسّرين مجروحون عند أعلام أهل السنّة في الحديث والرجال، فقد ذكروا عنهم الفساد في العقيدة، أو ارتكاب المنكرات، أو التدليس في الرّواية الموجب للجرح، ومنهم من اتفقّوا على ضعفه، ومنهم من رمي بالكذب ...

وعكرمة البربري لم يوثّقه أحدٌ من علمائنا، بل طعن فيه علماء الفريقين، حتّى أن علماء أهل السنّة طعنوا في كتاب البخاري لروايته عن عكرمة فيه، ولولا سعيهم في حماية كتاب البخاري وذبّ الطعن عنه لما دافع عن عكرمة من دافع عنه منهم كابن حجر العسقلاني في مقدمّة فتح الباري، فإنه قد التزم الدفاع عن صحة كتاب البخاري ولو بالتكلّف والقول الزور.

والاستاذ المحقّق أتعب نفسه وزاد، وكأنّه ظنّ أنّ الطعن في عكرمة طعنٌ في ابن عباس، إذ قال بعد نقل بعض الكلمات:

«تلك شهادات ضافية ومستفيضة بشأن الرجل، تجعله في قمّة الفضيلة والعلم والثقة والاعتماد عليه لدى الأئمّة، مما يوهن ما حيك حول الرجل من أوهام وأكاذيب مفضوحة، ليست تتناسب مع شخصيّة كانت تربية مثل ابن عباس، وموضع عنايته الخاصّة. قال أبوجعفر الطبري: ولم يكن أحد يدفع عكرمة عن التقدّم في العلم بالفقه والقرآن وتأويله ... .

وأمّا الذين طعنوا فيه، فقد قصرت أنظارهم ولم يعرفوا وجه المخرج من ذلك مع وضوح براءة الرجل مما قيل فيه، ويتلخّصُ في رميه بالكذب وميله إلى رأي الخوارج، أمّا الأول، فلرواية رووها عن ابن عمر أنه قال لمولاه نافع: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس. وأما الثاني، فلوهم

توهّموه من سفرته إلى المغرب عند تجواله البلاد، وأنّ الخوارج هناك أخذوا عنه أحاديث ... قال ابن حجر ـ بشأن الرواية عن ابن عمر ـ إنها ضعيفة الاسناد ...».[1]

وقد تبع في ذلك الاستاذ الذهبي، فإنّه قد أخذ من ابن حجر كلامه في الدفاع عنه وأضاف:

فعكرمة مولى ابن عباس، كان يلازمه ويخالطه فلا يضيره كثرة الرواية عنه، لأن هذا أمر طبيعي ولا يمكن أن يعدّ افتراءً على العلم وافتياتاً على الرواية، لأن كثرة الرواية ليست من المطاعن التي توجّه إلى الراوي وتذهب بعدالته، فهذا أبوهريرة قال الناس عنه في عصره: أكثر أبوهريرة ... .[2]

أقول:

فقد زاد في الطعن وثبّته من حيث لا يعلم!

ثم قال:

وأمّا ما رواه ابن سعد: من أنّ علي بن عبدالله بن عباس كان يوثقه على باب الكنيف ويقول: إنّ هذا يكذب على أبي، فإنه مردود بما رواه ابن حجر في تهذيب التهذيب من أنّ ابن عباس مات وعكرمة على الرق، فباعه ولده علي بن عبدالله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة مولاه علياً فقال له: ما خير لك، بعت علم أبيك بأربعة آلاف؟ فاستقاله فأقاله فأعتقه.[3]

أقول:

---

(١) التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١ / ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) المصدر ١ / ٧٥.

(٣) المصدر.

لم يكذّب الذهبي الخبر، بل زعم أنه مردود بما رواه ابن حجر، ولكنْ ماهو وجه الردّ؟

وأمّا الاستاذ المعاصر رحمه الله، فلم يتعرّض لقضيّة علي بن عبدالله بن عباس مع عكرمة!

أقول:

هذا، ولعكرمة مطاعن كثيرة عندهم وليس ما ذكر فحسب، كما ذكرنا بترجمته، وما قال في الدفاع عنه لا يغني ...

هذا، ولا ينافي جرحنا لعكرمة ولالغيره من الصّحابة والتابعين احتجاجنا برواياتهم في البحوث المختلفة من باب الإلزام كما لا يخفى على أُولي الأفهام.

وإلى الطبقة الثالثة:

الطبقة الثالثة

* سفيان بن عيينة * ليث بن أبي سليم

* وكيع بن الجرّاح * عبدالله بن أبي نجيح

* عبدالرزاق بن همام * عيسى بن ميمون

* إسحاق بن راهويه * مقاتل بن حيّان

* روح بن عبادة * مقاتل بن سليمان

* عبد بن حميد * السدّي الكبير

* سنيد بن داود * الكلبي

* أبوبكر ابن أبي شيبة * علي بن أبي طلحة

* محمد بن شهاب الزهري * سعيد بن بشير

* جويبر بن سعيد * الفريابي

* أبوصالح باذام * عثمان بن أبي شيبة

قال السيوطي:

ثمّ بعد هذه الطبقة، أُلّفت تفاسير تجمع أقوال الصّحابة والتابعين، كتفسير سفيان ابن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبدالرزاق، وآدم بن أبي أياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وسعيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرين.[1]

أقول:

وتفاسير هذه الطبقة أيضاً مقدوحة مطعون فيها، وكتب الرجال بجوارح أصحابها مشحونة، وإليك أحوال بعضهم:

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٥٠.

سفيان بن عيينة

أمّا سفيان بن عيينة، فقد ذكروا:

كان يدلّس

إنّه كان يدلّس ... قال القاري في (شرح نخبة الفكر):

قال الشيخ شمس الدين محمّد الجزري: التدليس قسمان: تدليس الإسناد وتدليس الشيوخ. أمّا تدليس الإسناد، فهو أن يروي عمّن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه، موهماً أنّه سمعه منه، ولا يقول: أخبرنا وما في معناه، بل يقول: قال فلان، أو عن فلان، أو إنّ فلاناً قال، وما أشبه ذلك. ثمّ قد يكون بينهما واحد أو قد يكون أكثر، وربّما لم يسقط المدلّس شيخه، لكن يسقط من بعده رجلاً ضعيفاً أو صغير السنّ، يحسّن الحديث بذلك. وكان الأعمش، والثوري، وابن عيينة، وابن إسحاق وغيرهم يفعلون هذا النوع. ومن ذلك ما حكى ابن خشرم: كنّا يوماً عند سفيان بن عيينة فقال: عن الزهري، فقيل له: حدّثك الزهري؟ فسكت، ثمّ قال: قال الزهري. فقيل له: أسمعته من الزهري؟

فقال: لم أسمعه من الزهري، ولا ممّن

سمعه من الزهري. حدّثني عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري.[١]

من كلماتهم في ذمّ التدليس

هذا، وقد نقلنا سابقاً كلمات بعض أعلام القوم في ذمّ التدليس وتقبيحه وتحريمه، وعن شعبة: أنّه أشدّ من الزنا وأخو الكذب، قال السيوطي في أقسام التدليس:

وأمّا القسم الأوّل فمكروه جدّاً، ذمّه أكثر العلماء، وبالغ شعبة في ذمّه فقال: لأنْ أزني أحبُّ إليَّ من أنْ أُدلّس. وقال: التدليس أخو الكذب.[٢]

وأمّا قول ابن الصلاح من أنّ هذا إفراط، وإنّه محمول على الزجر والتنفير من التدليس، كما نقله السيوطي، ففيه: إنّه إنْ أراد صرف كلام شعبة عن ظهوره في حرمة التدليس، فلا سبيل إليه أصلاً، وقد تقدّم تصريح النووي بحرمته، وتقدّم أنّه من تلبيس إبليس كما نصّ عليه ابن الجوزي، على أنّ جماعةً من المحدّثين ذهبوا إلى أنّ ارتكاب التدليس ـ ولو كان مرّةً واحدة ـ يوجب الجرح وتردّ به الرواية، كما في (تدريب الراوي) حيث قال:

ثمّ قال فريق منهم من أهل الحديث والفقهاء: من عرف به صار مجروحاً مردود الرواية مطلقاً وإنْ بيّن السماع.[٣]

ومراده من «مطلقاً» هو عدم الفرق بين التدليس مرّةً أو أكثر، وهذا ما نصَّ عليه شرّاح (نخبة الفكر).

---

(١) شرح نخبة الفكر: ٤٢٠.

(٢) تدريب الراوي ١ / ٢٢٨.

(٣) المصدر ١ / ٢٢٩.

وقال ابن جماعة الكناني في (المنهل الروي):

النوع الرابع: التدليس، وهو قسمان: تدليس الإسناد وتدليس الشيوخ. الأوّل: تدليس الإسناد، وهو أنْ يروي عمّن لقيه أو عاصره ما لم يسمعه منه، موهماً أنّه سمعه منه، ولا يقول أخبرنا وما في معناه ونحوه، بل يقول: قال فلان أو عن فلان أو إنّ فلاناً قال، وشبه ذلك. ثمّ قد يكون بينهما واحد، وقد يكون أكثر.

وهذا القسم من التدليس مكروه جدّاً، وفاعله مذموم عند أكثر العلماء، ومن عرف به مجروح عند قوم لا تقبل روايته، بيّن السماع أو لم يبيّنه.[1]

وتلخّص:

إنّ سفيان بن عيينة عند هذا الفريق من الفقهاء والمحدّثين مجروح مردود الرواية، وعند الأكثر مذموم مطعون فيه.

اختلط في آخر عمره

ثمّ إنّه قد اختلط في أواخر حياته، كما نصّ عليه علماء الرجال، قال الذهبي:

روى محمّد بن عبدالله بن عمّار الموصلي، عن يحيى بن سعيد القطّان قال: أشهد أنّ سفيان بن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين ومائة، فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء.

ثمّ انبرى الذهبي للدفاع عن روايات القوم عن سفيان، مستبعداً كلام القطّان، ومغلّطاً الموصلي في نقله ـ وقد قال الزهري في حقّه: حافظ صدوق ... ثقة صاحب حديث[1] ـ فقال:

---

(١) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي: ٧٢.

قلت: سمع منه فيها محمّد بن عاصم صاحب ذاك الجزء العالي، ويغلب على ظنّي أنّ سائر شيوخ الأئمّة الستّة سمعوا منه قبل سنة سبع، فأمّا سنة ثمان وتسعين ففيها مات ولم يلقه أحد فيها، لأنّه توفّي [بمكّة] قبل قدوم الحاجّ بأربعة أشهر.

وأنا أستبعد هذا الكلام من القطّان، وأعدّه غلطاً من ابن عمّار، فإنّ القطّان مات في صفر من سنة ثمان وتسعين وقت قدوم الحاج، ووقت تحدّثهم عن أخبار الحجاز، فمتى تمكّن يحيى بن سعيد أن يسمع اختلاط سفيان ثمّ يشهد عليه بذلك، والموت قد نزل به، فلعلّه بلغه ذلك في أثناء سنة سبع، مع أنّ يحيى متعنّت جدّاً في الرجال، وسفيان فثقة مطلقاً، والله أعلم.[1]

أقول:

هذا، وقد ذكرنا ترجمته في كتاب الرسائل العشر، وهذا نصّها:

قد تكلّم فيه بعض الأعلام الأثبات... قال ابن حجر:

قال ابن عمّار: سمعت يحيى بن سعيد القطّان يقول: اشهدوا أنّ سفيان ابن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين ومائة فمن سمع منه في هذه السنة وبعدها فسماعه لا شيء.

قلت: قرأت بخطّ الذهبي: أنا أستبعد هذا القول وأجده غلطاً من ابن عمّار، فإنّ القطّان مات أول سنة ١٩٨ عند رجوع الحجّاج وتحدّثهم بأخبار الحجاز، فمتى يمكن من سماع هذا حتّى يتهيّأ له أنْ يشهد به.

ثم قال: فلعلّه بلغه ذلك في وسط السنة. انتهى.

---

(١) ميزان الإعتدال، ترجمة محمّد بن عبدالله بن عمّار الموصلي ٣ / ٥٩٦، رقم ٧٧٥٣. وفيه: «قال النسائي: ثقة صاحب حديث».

وهذا الذي لا يتّجه غيره، لأنّ ابن عمّار من الأثبات المتقنين، وما المانع أن يكون يحيى بن سعيد سمعه من جماعة ممّن حجّ في تلك السنة واعتمد قولهم وكانوا كثيراً، فشهد على استفاضتهم.

وقد وجدت عن يحيى بن سعيد شيئاً يصلح أنْ يكون سبباً لما نقله عنه ابن عمّار في حقّ ابن عيينة، وذلك ما أورده أبوسعد ابن السمعاني في ترجمة إسماعيل ابن أبي صالح المؤذّن من ذيل تاريخ بغداد بسند له قويّ إلى عبدالرحمن بن بشر ابن الحكم قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت لابن عيينة: كنت تكتب الحديث وتحدّث اليوم وتزيد في إسناده أو تنقص منه! فقال: عليك بالسماع الأول فإنّي قد سمنت.

وقد ذكر ابومعين الرازي في زيادة كتاب الإيمان لأحمد: أنّ هارون بن معروف قال له: إنّ ابن عيينة تغيّر أمره بآخره، وإنّ سليمان بن حرب قال له: إنّ ابن عيينة أخطأ في عامّة حديثه عن أيّوب. وكذا ذكر ... .[٢]

ثم أقول:

كيف يجتمع التهجّم على يحيى بن سعيد القطّان مع تلك المناقب والدرجات الرفيعة التي يذكرونها له في العلم والورع والإتقان، حتّى قال أحمد: ما رأيت مثله في كلّ أحواله؟

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) تهذيب التهذيب ٤ / ١٠٦ ـ ١٠٧.

وكيع بن الجرّاح

وأمّا وكيع بن الجرّاح ... والذي قال اليافعي في حوادث سنة ١٩٧:

وفيها توفي الإمام العالم أبوسفيان وكيع بن الجراح. روى عن الأعمش، قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع ... وقال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعاً، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كلّ ليلة. وقال أحمد: ما رأت عيني مثل وكيع.[١]

له قوادح

وقد ذكرت له قوادح، وتكلّم فيه بعض الأكابر منهم، ومن هنا، فقد أورده الذهبي في (الميزان) فقال:

قال ابن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدّثت بألفاظه لكانت عجباً. كان يقول: ثنا شعبي عن عيشة، وسئل أحمد بن حنبل: إذا اختلف وكيع وعبدالرحمان ابن مهدي بقول من نأخذ؟ فقال: عبدالرحمن يوافق أكثر وخاصّةً في سفيان،

وعبدالرحمن يسلم منه السلف ويجتنب شرب المسكر، وكان لا يرى أن تزرع أرض الفرات. قال ابن المديني في التهذيب: وكيع كان فيه تشيّع قليل. قال ابن حنبل: سمعت يحيى بن معين

يقول: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً فيه فلان كذا وفلان رافضي، ووكيع رافضي، فقلت له: وكيع خير منك. قال: منّي؟ قلت: نعم، فما قال لي شيئاً، ولو قال شيئاً لوثب عليه أصحاب الحديث، فبلغ ذلك وكيعاً فقال: يحيى صاحبنا.[٢]

وإنّما نسب إلى الرفض، لأنّه كان يتكلّم في عثمان ولا يترحّم عليه، ففي ترجمة الحسن بن صالح من (ميزان الإعتدال) وغيره:

قال وكيع: هو عندي إمام. فقيل: إنّه لا يترحّم على عثمان. فقال: أفتترحّم أنت على الحجّاج.[٣]

أقول:

وذكرنا ترجمته في (الرسائل العشر) بمناسبة روايته خبر تزويج الإمام علي عليه السّلام أُمّ كلثوم من عمر، فقلنا هناك:[٤]

وفيه «وكيع بن الجرّاح» أورده الذهبي في (ميزانه) فذكر عن أحمد بن حنبل القدح فيه بأُمور هي: سبّ السلف، وشرب المسكر، والفتوى بالباطل.

وذكر الخطيب بإسناده عن نعيم بن حمّاد، قال: «تعشّينا عند وكيع ـ أو قال: تغدّينا ـ فقال: أي شيء أجيئكم به؟ نبيذ الشيوخ أو نبيذ الفتيان؟ قال: قلت: تتكلّم بهذا؟! قال: هو عندي أحلّ من ماء الفرات».

---

(١) مرآة الجنان ١ / ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) ميزان الإعتدال ٤ / ٣٣٦، رقم ٩٣٥٦.

(٣) المصدر ـ ترجمة الحسن بن صالح ١ / ٤٩٩، رقم ١٨٦٩.

(٤) الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة: ٢٩، رقم ٨.

وذكر ابن حجر عن أحمد: «أخطأ وكيع في خمسمائة حديث».

وعن محمد بن نصر المروزي: «كان يحدّث بآخره من حفظه فيغيّر ألفاظ الحديث».

عبدالرزّاق بن همام

وأمّا عبدالرزاق بن همام ... فقد ذكرت له المناقب العظيمة والفضائل الجليلة في مختلف الكتب، نكتفي منها بما جاء في (مرآة الجنان) حيث قال اليافعي في حوادث السنة ٢١١:

وفي السنة المذكورة: توفي الحافظ العلاّمة المرتحل إليه من الآفاق، الشيخ الإمام عبدالرزاق بن همام، اليمني الصنعاني الحميري، صاحب المصنّفات، عن ست وثمانين. روى عن معمر وابن جريج والأوزاعي وطبقتهم. ورحل إليه الأئمّة إلى اليمن. قيل: ما رحل إلى أحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل ما دخل الناس إليه. وروى عنه خلائق من أئمّة الإسلام، منهم: الإمام سفيان بن عيينة، والإمام أحمد ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، ومحمود بن غيلان.[١]

وفي (ميزان الإعتدال):

[ع] عبدالرزاق بن همام بن نافع، الإمام، أبوبكر، الحميري مولاهم، الصنعاني، أحد الأعلام الثقات. ولد سنة ١٢٦ وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة فقال: جالست معمر بن راشد سبع سنين،

---

(١) مرآة الجنان ٢ / ٤٠.

وقدم الشام بتجارة فحجّ، وسمع من ابن جريج وعبيدالله بن عمر وعبدالله بن سعيد بن أبي هند وثور بن يزيد والأوزاعي وخلق، وكتب شيئاً كثيراً، وصنّف الجامع الكبير، وهو خزانة علم، ورحل النّاس إليه: أحمد وإسحاق ويحيى والذهلي والرمادي وعبد.[1]

ومع هذا كلّه، فقد تكلّم فيه بعض الأئمّة واتّهمه غيره بالكذب!

قال الذهبي:

أبوزرعة عبيدالله: حدّثنا عبدالله المسندي قال: ودّعت ابن عيينة فقلت: أُريد عبدالرزاق، قال: أخاف أن يكون من الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ... .

العقيلي: حدّثني أحمد بن زُكير [دكين] الحضرمي، حدثنا محمّد بن إسحاق بن يزيد البصري، سمعت مخلد الشعيري يقول: كنت عند عبدالرزاق، فذكر رجل معاوية، فقال: لا تقذر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان.

محمّد بن عثمان الثقفي البصري قال: لمّا قدم العباس بن عبدالعظيم من صنعاء، من عند عبدالرزاق، أتيناه فقال لنا ونحن جماعة: ألست قد تجشّمت الخروج إلى عبدالرزاق ووصلت إليه وأقمت عنده؟ والذي لا إله إلاّ هو: إنّ عبدالرزّاق كذّاب ... .[2]

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٦٠٩، رقم ٥٠٤٤.

(٢) المصدر ٢ / ٦١٠ ـ ٦١١، رقم ٥٠٤٤.

إسحاق بن راهويه

وأمّا إسحاق بن راهويه ... فإنّه وإنْ كان من الأئمّة الأعلام والمحدّثين العظام، لكنّه تغيّر في آخر عمره واختلط. قال في (الميزان):

قال أبوعبيدالله الآجري: سمعت أباداود يقول: إسحاق بن راهويه تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيّام فرميت به.

قال:

وذكر لشيخنا أبي الحجّاج حديث فقال: قيل: إسحاق اختلط في آخر عمره.[1]

---

(١) ميزان الإعتدال ١ / ١٨٣، رقم ٧٣٣.

روح بن عبادة

وأمّا روح بن عبادة، وقد أثنى عليه جماعة من الأكابر كما في (تذهيب التهذيب) حيث قال:

روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، أبومحمّد، البصري، أحد الحفّاظ والرؤساء، عن حسين المعلم وابن عون وهشام بن حسان وحاتم بن أبي صغيرة وزكريا بن إسحاق وابن جريج وعوف الأعرابي وخلق كثير، وعنه: أحمد وابن راهويه وإسحاق الكوسج وإبراهيم الجوزجاني وعبد بن حميد وأبوبكر الصاغاني ويحيى بن أبي طالب، وخلائق من آخرهم الكديمي.

قال الكديمي: سمعت علي بن المديني يقول: نظرت لروح بن عبادة في أكثر من مائة ألف حديث، كتبت منها عشرة آلاف.

قال يعقوب بن شبية: كان روح أحد من تحمّل الحمالات، وكان سريّاً مريّاً كثير الحديث جدّاً، صدوقاً، سمعت علي بن عبدالله يقول: من المحدّثين قوم لا يزالوا في الحديث ... فطلبوا ثمّ صنّفوا ثمّ حدّثوا، منهم روح بن عبادة.

وقال ابن معين: صدوق.[1]

---

(١) تذهيب التهذيب: مخطوط. وانظر: تهذيب التهذيب ٣ / ٢٥٣، رقم ٥٤٩.

وقال ابن حجر:

ثقة فاضل، له تصانيف.[1]

فإنّ القواريري تكلّم فيه وأنكر عليه جملةً من أحاديثه.

وقال أبوحاتم: لا يحتجّ به.

وقال النسائي: ليس بقوي.

وطعن فيه جماعة من الأئمّة. قال الذهبي في (الميزان):

روح بن عبادة [ابن العلاء بن حسان البصري]، القيسي، ثقة مشهور، حافظ، من علماء أهل البصرة. عن حسين المعلم وابن عون وخلق، وعنه: أحمد وعبد بن حميد وأبوبكر الصاغاني وخلق.

وروى الكديمي عن ابن المديني قال: نظرت لروح في أكثر من مائة ألف حديث، كتبت منها عشرة آلاف.

وقال ابن معين وغيره: صدوق.

وتكلّم فيه القواريري بلا حجّة.

وقال ابن المديني: ذكر عبدالرحمان روح بن عبادة فقلت: لا تفعل، فإنّ هاهنا قوماً يحملون كلامك، فقال: أستغفر الله، ثمّ دخل فتوضّأ، يذهب إلى أنّ الغيبة تنقض الوضوء.

وقيل: إنّ عبدالرحمان تكلّم فيه، لكونه وهم في إسناد، فلا ضير.

---

(١) تقريب التهذيب ١ / ٣٠٤، رقم ١٩٦٧.

وقال يعقوب بن شيبة: قال محمّد بن عمر: قال يحيى بن معين: هذا القواريري يحدّث عن عشرين شيخاً من الكذّابين، ثمّ يقول: لا أُحدّث عن روح.

ثمّ قال يعقوب: وسمعتُ عفّان لا يرضى أمر روح بن عبادة، ثمّ بلغني عنه أنّه قوّاه.

وقال أحمد بن الفرات: طعن على روح اثنا عشر رجلاً، فلم ينفذ قولهم فيه.

وروى الكتاني عن أبي حاتم قال: لا يحتجّ به.

وقال النسائي في العتق وفي الكنى: روح ليس بالقوي.

قلت: نعم، عبدالرحمان بن مهدي أقوى منه، وأمّا هو فصدوق صاحب حديث.

وقال يعقوب بن شيبة: كان روح أحد من يتحمّل الحمالات، وكان سرياً مريّاً، صدوقاً، كثير الحديث جدّاً.

وقال ابن المديني: لم يزل روح في الحديث منذ نشأ.

قال علي: وكان ابن مهدي يطعن على روح وينكر عليه أحاديث ابن أبي ذئب عن الزهري مسائل، فلمّا قدمت على معن أخرجها لي وقال: هي عند بصري لكم، سمعها معنا، فأتيت عبدالرحمان فأخبرته فأحسبه قال: استحلّه لي.

[قال] يعقوب بن شيبة: سمعت [عن] عفّان [أنّه] لا يرضى أمر روح بن عبادة.

وقال أبوعبيد الآجري: سمعت أباداود يقول: أكثر ما أنكر القواريري على روح تسعمائة حديث، حدّث بها عن مالك سماعاً.

مات روح سنة خمس ومائتين.[1]

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٥٨ ـ ٦٠، رقم ٢٨٠٢.

عبد بن حميد

وأمّا عبد بن حُميد، فإنّ فضائله ومكارمه مذكورة في (تذكرة الحفّاظ) وغيره من الكتب.[1]

لكنّ ابن تيميّة وأتباعه لا يرتضونه، لأنّه روى نزول قوله تعالى: (**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ...**) الآية، في أميرالمؤمنين عليه الصّلاة والسّلام، كما في (الدرّ المنثور) بتفسيرها:

أخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبوالشيخ وابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله: (**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ**) الآية. قال: نزلت في علي بن أبي طالب».[2]

فقال ابن تيميّة:

أجمع أهل العلم بالنقل على أنّها لم تنزل في علي بخصوصه.[3]

ثمّ قال:

---

(١) تذكرة الحفّاظ ٢ / ٥٣٤، رقم ٥٥٢.

(٢) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٢٩٣.

(٣) منهاج السنّة ٧ / ١١.

وأمّا أهل العلم الكبار أهل التفسير، مثل تفسير محمّد بن جرير الطبري وبقي بن مخلد وابن أبي حاتم [وأبي بكر ابن المنذر] وعبدالرحمن بن إبراهيم دحيم وأمثالهم، فلم يذكروا فيها مثل هذه الموضوعات، دع من هو أعلم منهم مثل: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، بل لا يذكر مثل هذا عند ابن حميد ولا عبدالرزاق، مع أنّ عبدالرزاق كان يميل إلى التشيّع، ويروي كثيراً من فضائل علي، وإنْ كانت ضعيفة، لكنّه أجلّ قدراً من أن يروي مثل هذا الكذب الظاهر.[1]

ومفهوم هذا الكلام أنّ «عبد بن حميد» ليس من أهل العلم الكبار أصحاب التفسير، بل ليس من صغارهم، لأنّ إخراج مثل هذا الحديث ليس من شأن العلماء ...

لكن ابن تيميّة في هذا الكلام ينكر أن يكون ابن جرير مثلاً من رواة هذا الحديث، سبحانك اللهمّ هذا بهتان عظيم ... فقد عرفت من كلام السيوطي روايته، وكذا رواية ابن أبي حاتم ... .

(١) منهاج السنّة ٧ / ١٣، باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

سُنيد بن داود

وأمّا سُنيد، فإنّه وإنْ ذكره ابن حبّان في الثقات، وقال ابن أبي حاتم: صدوق. لكنْ تكلّم فيه غير واحد من الأئمّة الأعلام.

قال الذهبي في (الميزان):

سنيد بن داود المصيصي المحتسب، واسمه الحسين، عن حمّاد ابن زيد وهشيم والطبقة، حافظ له تفسير، وله ما ينكر.

أنبأنا ابن علان، أنبأنا الكندي، أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا ابن شاذان، أخبرنا أبوسهل القطان، حدثنا عبدالكريم بن الهيثم، حدثنا سنيد، حدثنا فرج بن فضالة عن، معاوية بن صالح، عن نافع قال: سرت مع ابن عمر فقال: طلعت الحمراء؟ قلت: لا. ثمّ قلت: قد طلعت. فقال: لا مرحباً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله نجم سامع مطيع. قال: ما قلت إلاّ ما سمعت من رسول صلّى الله عليه وسلّم إنّ الملائكة قالت: يا ربّ! كيف صبرك على بني آدم؟ قال: إنّي ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنّا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم، فاختاروا هاروت وماروت، فنزلا، فألقى الله عليهما الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة، و[ذكر] الحديث بطوله.

وروى عنه أبوزرعة والأثرم وجماعة.

صدّقه أبوحاتم.

وقال أبوداود: ولم يكن بذاك.

وقال النسائي: الحسين بن داود ليس بثقة.

توفي سنيد سنة ست وعشرين ومائتين.[1]

وقال ابن حجر:

ضعيف، مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يلقن حجّاج بن محمّد شيخه.[2]

بل إنّ السيوطي ذكر في (اللآلي المصنوعة) تضعيف أبي داود والنسائي له، نقلاً عن كتاب الموضوعات لابن الجوزي.

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧، رقم ٣٥٦٧.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ٣٩٧، رقم ٢٦٥٤.

ابن أبي شيبة

وأمّا أبوبكر ابن أبي شيبة، فمناقبه وفضائله أشهر من أنْ تذكر، وأكثر من أنْ تحصر، قال المناوي في (فيض القدير):

ابن أبي شيبة، الحافظ الثبت العديم النظير، عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، صاحب المسند والأحكام والتفسير وغيرها ... وعنه: الشيخان وأبوداود وابن ماجة وخلق.[1]

لكنّه لمّا روى تهديد عمر بن الخطّاب فاطمة الزهراء بنت رسول الله وبضعته، الصدّيقة الطاهرة، بإحراق بيتها بمن فيه، فقد قدح فيه وجرحه ابن روزبهان وبعض المتعصّبين من أمثاله.

أقول:

هذا بعض الكلام على أئمّة التفسير الذين ذكرهم السيوطي.

وقد رأينا من اللازم التعرّض لحال جمع آخر من أئمّة التفسير من الطبقة الثانية والطبقة الثالثة، الذين لم يذكرهم السيوطي، تتميماً للبحث وتكميلاً للمرام ... .

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٣٦.

ابن شهاب الزّهري

فمنهم: الزّهري ... وصفه الشيخ عبدالحق الدهلوي في كتاب (تحصيل الكمال في أسماء الرجال) بـ «الإمام، أحد الفقهاء والمحدّثين، والعلماء الأعلام من التابعين بالمدينة، المشار إليه في فنون الشريعة»[١] وإليه نسب الأعور الواسطي تفسير أهل السنّة، نافياً رجوعهم في تفسير القرآن إلى أميرالمؤمنين ... .[٢]

إلاّ أنّ الدهلوي قال بعد ذلك بترجمته:

كان بصحبة الأُمراء

ويقال: إنّه قد ابتلي بصحبة الأُمراء بقلّة الديانة، لضرورات عرضت له، وكان أقرانه من العلماء والزهّاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم، فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟.

وهنا يناسب أن نورد كلام ابن الجوزي في ذمّ صحبة الأُمراء والسّلاطين، فإنّه قال في (تلبيس إبليس):

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء: مخالطتهم للأُمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم، مع القدرة على ذلك، وربّما رخّصوا لهم ما لا رخصة فيه، لينالوا من دنياهم عرضاً، فيقع بذلك

---

(١) تحصيل الكمال = رجال المشكاة، ترجمة ابن شهاب الزهري.

(٢) رسالة الأعور الواسطي: مخطوط.

الفساد لثلاثة: أوجه الأوّل: الأمير، فيقول: لولا أنّي على صواب لأنكر عليَّ الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي؟ والثاني: العامي، إنّه يقول: لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله، فإنّ فلاناً الفقيه لا يبرح عنده. والثالث: الفقيه، فإنّه يفسد دينه بذلك.[1]

وقال الغزالي في (إحياء العلوم) في علامات علماء الآخرة:

ومنها: أن يكون مستقصياً عن السلاطين، فلا يدخل عليهم البتّة، مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً، بل ينبغي أن يحترز من مخالطتهم وإن جاؤا إليه، فإنّ الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلّف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم، مع أنّهم ظلمة، ويجب على كلّ متديّن الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إمّا أن يلتفت إلى تجملهم، فيزدري نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم، فيكون مداهناً لهم، أو يتكلّف في كلامه كلاماً لمرضاتهم وتحسين أحوالهم، وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم، وذلك هو السحت، وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الأدرار والجوائز وغيرها.

وعلى الجملة، فمخالطتهم مفتاح للشرور، وعلماء الآخرة طريقتهم الإحتياط، وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: من بدا جفا ـ يعني من سكن البادية جفا ـ ومن اتّبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن.

---

(١) تلبيس ابليس: ١٤٨، مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: سيكون عليهم أُمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعده الله تعالى. قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال صلّى الله عليه وسلّم: لا، ما صلّوا.

وقال سفيان: في جهنّم واد لا يسكنه إلاّ القرّاء الزائرون للملوك.

وقال حذيفة رضي الله عنه: إيّاكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأُمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدّقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: العلماء أُمناء الرسل على عباد الله تعالى، ما لم يخالطوا السلاطين، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل، فاحذروهم واعتزلوهم. رواه أنس.

وقيل للأعمش: قد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك. فقال: لا تعجلوا، ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شرّ الخلق، والثلث الباقي لا يفلح منهم إلاّ القليل.

ولذلك قال سعيد بن المسيّب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأُمراء فاحترزوا منه، فإنّه لصّ.

وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: شرار العلماء الذين يأتون الأُمراء، وخيار الأُمراء الذين يأتون العلماء.

وقال مكحول الدمشقي: من تعلّم القرآن وتفقّه في الدين ثمّ صحب السلطان تملّقاً إليه وطمعاً فيما لديه، خاض في بحر من نار جهنّم بعدد خطاه.

وقال سمنون: ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيُسأل عنه فيقال: هو عند الأمير.

قال: وكنت أسمع أنّه يقال: إذا رأيتم العالم يحبّ الدنيا فاتّهموه على دينكم، حتّى جرّبت ذلك، إذ ما دخلت قط على السلطان إلاّ وحاسبت نفسي بعد الخروج، فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول كفافاً، مع أنّي لا آخذ منه شيئاً ولا أشرب لهم شربة ماء.

قال: وعلماء زماننا شرّ من علماء بني إسرائيل، يخبرون السلطان بالرّخص وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم، وكره دخولهم عليه، وكان ذلك نجاة لهم عند ربّهم.

وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال عبدالله بن المبارك: عنى به سعد بن أبيوقاص رضي الله عنه قال: وكان لا يغشى السلاطين، وينفر عنهم، فقال له بنوه: يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام، فلو أتيتهم. فقال: بني! أتى جيفة وقد أحاط بها قوم، والله لئن استطعت لا أُشاركهم فيها. قالوا: يا أبانا! إذن نهلك هزالاً. قال: يا بني! لأن أموت مؤمناً مهزولاً، أحبّ إليّ من أن أموت منافقاً سميناً.

قال الحسن رحمه الله تعالى: خصمهم والله، إذ علم أنّ التراب يأكل اللّحم والسمن دون الإيمان، وفي هذا إشارة إلى أنّ الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتّة، وهو مضاد للإيمان.

وقال أبوذر لسلمة: يا سلمة! لا تغش أبواب السلاطين، فإنّك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلاّ أصابوا من دينك أفضل منه.

وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم، لا سيّما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أنّ في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع، إلى أن يخيّل إليه أنّ الدخول عليه من الدين، ثمّ إذا دخل لم يلبث أن يتلطّف في الكلام ويداهن، ويخوض في الثناء والإطراء، وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا.

وكتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى الحسن: أمّا بعد; فأشر علَيّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب إليه: أمّا أهل الدين فلا يريدونك، وأمّا أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنّهم يصونون شرفهم أن يدنّسوه بالخيانة.

هذا في عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، وكان أزهد أهل زمانه، فإذا كان شرط أهل الدين هرب منه، فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته، ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلّمون في علماء الدنيا من أهل مكّة والشام وغيرهم، إمّا لميلهم إلى الدّنيا أو لمخالطتهم السلاطين، [حتّى قال بعضهم لو قيل: من أحمق الناس، لأخذت بيد القاضي وقلت: هذا].[1]

ترجمته في كتاب الرسائل العشر

---

(١) إحياء علوم الدين ١ / ١١٥ ـ ١١٨.

هذا، وقد ترجمنا للزهري في غير واحد من كتبنا، ومن ذلك في رسالتنا في (صلاة أبي بكر)، فإنه من عمدة رواة حديثها، وقد أوردنا هناك[1] ما يلي:

محمّد بن شهاب الزهري رجل مجروح عند يحيى بن معين[2] وعبدالحقّ الدهلوي، وكان من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السّلام، ومن الرواة عن عمر بن سعد اللّعين.

قال ابن أبي الحديد:

وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السّلام، وروى جرير بن عبدالحميد عن محمّد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً عليه السّلام فنالا منه. فبلغ ذلك عليَّ بن الحسين عليه السّلام فجاء حتّى وقف عليهما فقال: أمّا أنت يا عروة، فإنّ أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك، وأمّا أنت يا زهريّ، فلو كنت بمكّة لأريتُك كير أبيك.[3]

وقال:

وروى عاصم بن أبي عامر البجلي، عن يحيى بن عروة، قال: كان أبي إذا ذكر عليّاً نال منه.[4]

ويؤكّد هذا سعيه وراء إنكار مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام، كمنقبة سبقه إلى الإسلام، قال ابن عبدالبرّ:

---

(١) الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) هو من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمّة الجرح والتعديل، اتّفقوا على أنّه أعلم أئمّة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفّي سنة ٢٣٣. ترجم له في: تذكرة الحفّاظ ٢ / ٤٢٩ وغيرها.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢.

وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبدالرزّاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري.[١]

وقال الذهبي بترجمة عمر بن سعد:

وقال أحمد بن زهير: سئلت ابن معين أعمر بن سعد ثقة؟ فقال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟!.[٢]

وقال العلاّمة الشيخ عبدالحقّ الدهلوي بترجمة الزهري من «رجال المشكاة»:

إنّه قد ابتلي بصحبة الأُمراء وبقلّة الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزّهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم! فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟!.[٣]

وقال ابن حجر بترجمة الأعمش:

وحكى الحاكم عن ابن معين أنّه قال: أجود الأسانيد: الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله. فقال له إنسان: الأعمش مثل الزهري؟! فقال: برئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري؟! الزهري يرى العرض والإجازة ويعمل لبني أُميّة; والأعمش فقير، صبور، مجانب للسلطان، ورع، عالم بالقرآن.[٤]

ولأجل كونه من عمّال بني أُميّة ومشيّدي سلطانهم، كتب إليه الإمام السجّاد عليه السّلام ـ وكان الزهري يحضر عنده ويأخذ منه ـ كتاباً يعظه فيه، جاء فيه:

---

(١) الإستيعاب، ترجمة زيد بن حارثة ٢ / ٥٤٦.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ١٩٨ ـ ١٩٩. وانظر: الجرح والتعديل ٦ / ١١١ ـ ١١٢، رقم ٥٩٢.

(٣) رجال المشكاة، ترجمة الزهري.

(٤) تهذيب التهذيب ٤ / ١٩٧.

إنّ ما كتمت، وأخفّ ما احتملت، أنْ آنست وحشة الظالم، وسهّلت له الطّريق الغيّ ... جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسُلّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيّهم، سالكاً سبيلهم ... ، احذر، فقد نُبِّئت، وبادِر فقد أُجِّلْت ... .[١]

ترجمته في كتاب عبقات الأنوار

وترجم السيّد صاحب كتاب عبقات الأنوار للزّهري ترجمةً مطوّلة، أورد فيه بعض الكلمات، والكتاب المذكور عن بعض العلماء، وهذه جملةٌ ممّا ذكر:[٢]

لقد كان الزهري من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السّلام. قال ابن أبي الحديد:

وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السّلام. وروى جرير بن عبدالحميد عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً، فنالا منه، فبلغ ذلك علي بن الحسين فجاء حتّى وقف عليهما فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك.[٣]

ومن انحرافه ما ذكره ابن عبدالبر بترجمة زيد بن حارثة إنّه قال:

ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبدالرزاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري.[٤]

---

(١) ذكر الكتاب في: تحف العقول عن آل الرسول: ٢٧٤ ـ ٢٧٧، للشيخ ابن شعبة الحرّاني، من أعلام الإماميّة في القرن الرابع، وفي إحياء علوم الدين ٥ / ١١٣ ـ ١١٤ بعنوان: «ولمّا خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه . . .»! وفي بعض المصادر نسبته إلى أبي خازم كما سيأتي.

(٢) عبقات الأنوار، مبحث حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها». أُنظر: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١٢ / ٢١٠ ـ ٢١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢، رقم ٥٦، فصل في ذكر المنحرفين عن علي.

(٤) الإستيعاب ٢ / ٥٤٦.

ومن قوادحه:

روايته عن عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السّلام ـ ذكر ذلك علماء الرجال بترجمة عمر بن سعد ... قال الذهبي:

وعنه ابنه إبراهيم وقتادة والزهري ... حط عليه ابن معين لِقتاله الحسين.[1]

ومجالسته لبني أميّة وعمله لهم ـ وحكم من خالط الظالمين وجالسهم،

وعمل لهم وأخذ جوائزهم ـ واضح. قال الذهبي:

قال سعيد بن عبدالعزيز: أدّى هشام عن الزهري سبعة آلاف دينار ديناً، وكان يؤدّب ولده ويجالسه، قلت: وفد في حدود سنة ثمانين [٨٠] على الخليفة عبدالملك، فأعجب بعلمه ووصله وقضى دينه.[2]

وقال ابن حجر بترجمة الأعمش:

وحكى الحاكم عن ابن معين أنّه قال: أجود الأسانيد: الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله. فقال له إنسان: الأعمش مثل الزهري. فقال: برئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري! الزهري يرى العرض والإجازة، ويعمل لبني أميّة. والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان، ورع عالم بالقرآن.[3]

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوي:

---

(١) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستّة ٦١ / ٤٠٥٨. وانظر تهذيب التهذيب ٧ / ٣٩٦ وخلاصة تهذيب الكمال ٢ / ٢٧٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٤ / ١٩٧.

ويقال: إنّه قد ابتلي بصحبة الأمراء بقلّة الديانة، لضرورات عرضت له، وكان أقرانه من العلماء والزهّاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم، فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت.[1]

كتاب أبي حازم إلى الزهري

ومن هنا قال أبوحامد الغزالي: كتب إلى الزهري أخ له في الدّين كتاباً ينكر عليه ما كان منه من مخالطة سلاطين الجور ... قال:

ولما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه: عافانا الله وإيّاك أبابكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أنْ يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله لما فهّمك من كتابه وعلّمك من سنّة نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء. قال الله تعالى: (**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**) واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنّك آنست وحشة الظالم وسهّلت سبيل البغي، بدنوّك ممن لم يؤدِّ حقّاً ولم يترك باطلا حين أدناك، اتّخذوك قطباً تدور عليك رحى ظلمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلّماً يصعدون فيه إلى ضلالتهم، ويدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم (**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ**)الآية. وإنّك تعامل من لا يجهل

(١) رجال المشكاة: ترجمة الزهري.

ويحفظ عليك من لا يغفل فداوِ دينك فقد دخله سقم، وهيّئ زادك فقد حضر سفر بعيد، (**وَما يَخْفى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْء فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ**). والسّلام.[1]

وأورد جار الله الزمخشري هذا الكتاب في تفسير قوله تعالى: (**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ**) ... .[2]

وقال الطيبي بشرح الحديث: «اذا مدح الفاسق غضب الرب تعالى واهتزّ له العرش» ما نصّه:

قوله: اهتز له العرش. اهتزاز العرش عبارة عن وقوع أمر عظيم وداهية دهياء، لأن فيه رضىً بما فيه سخط الله وغضبه، بل يقرب أن يكون كفراً، لأنه يكاد يفضي إلى استحلال ما حرّمه الله تعالى. وهذا هو الداء العضال لأكثر العلماء والشعراء والقرّاء والمرائين في زماننا هذا. وإذا كان هذا حكم من مدح الفاسق فكيف بمن مدح الظالم وركن إليه ركوناً وقد قال تعالى: (**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ**).

الكشاف: النهي متناول للإنحطاط في هواهم والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبّه بهم، والتزّيي بزيّهم ومدّ العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. ولّما خالط الزهري السلاطين ... .[3]

وقد نقل عبارة الطيبي الملاّ علي القاري في شرح الحديث المذكور في (المرقاة).[1]

وفي (شرح الإحياء) أنّ الكتاب أطول ممّا ذكر، وأنّ كاتبه هو «أبوحازم الأعرج»، فلأمر ما لم يذكروا النصّ الكامل للكتاب، ولم يذكروا اسم كاتبه.[2] قال

---

(١) إحياء علوم الدين، كتاب الحلال والحرام ٥ / ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) تفسير الكشاف ٢ / ٢٩٦.

(٣) الكاشف في شرح المشكاة ٩ / ١٤١.

الزبيدي بعد شرح النصّ المتقدّم: «هذه القصّة أوردها أبونعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم بأطول مما هنا، وها أنا أسوقها بتمامها. قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن مقسم أبوالحسن، وأبوبكر محمد بن أحمد بن هارون الوراق الأجهاني قالا: حدّثنا أحمد بن محمد بن عبدالله صاحب ابن شجرة، حدّثنا هارون بن حميد الذهلي، حدثنا الفضيل بن عتبة عن رجل قد سمّاه وأراه عبدالحميد بن سليمان، عن الذيالي ابن عباد قال: كتب أبوحازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإيّاك ـ أبابكر ـ من الفتن ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك بها، اصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك بما أصح من بدنك وأطال من عمرك، وعلمت حجج الله تعالى ما حمّلك من كتابه وفقّهك فيه من دينه وفهّمك من سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكلّ حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى، ابتلى في ذلك شكرك وأبرء فيه فضله عليك، وقد قال: (**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابي لَشَديدٌ**).

أُنظر أيّ رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله فيسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها، وعن حججه عليك كيف قضيتها، ولا تحسبن الله تعالى راضياً منك بالتغرير، ولا قابلا منك التقصير، هيهات ليس كذلك في كتابه إذ قال: (**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ**) الآية. إنّك تقول: إنّك جدل ماهر عالم، قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم، إدلالاً منك بفهمك واقتداراً منك برأيك، فأين تذهب عن قول الله تعالى: (**ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ**) الآية.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧ / ٣٠٤٩.

(٢) قد تقدّم أنّ الكاتب هو الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه الصّلاة والسّلام كما في كتاب (تحف العقول عن آل الرسول).

إعلم أنّ أدنى ما ارتكبت وأعظم ما اقتفيت أنْ آنست الظالم وسهّلت له طريق الغي بدنوّك حين أدنيت وبإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أنّ ينوّه باسمك غداً مع الجرمة، وأن تسئل بإغضائك عمّا أردت عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لم يرد على أحد حقّاً ولا يرد باطلا حين أدناك، وأجبت من أراد للتدليس بدعائه إيّاك حين دعاك، جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم، وسلّماً إلى ضلالتهم، وداعياً إلى غيّهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلاّ دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم. فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك، وما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنّه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجّلا وكيف صيانتك من جعلك بكسوته ستيراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً.

مالك لاتنتبه من نومتك وتستقل من عثرتك فتقول: والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أمتُّ فيه باطلا، إنما شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه، فما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى: (**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى**). إنّك لست في دار مقام وإخلاد، اذنت بالرحيل فما بقاء امرئ بعد أقرانه. طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده. إنّك لن تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلا أنْ تتركه على ظهرك، ذهبت للذّة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، إحذر فقد أُتيت وتخلّص فقد ذهبت. إنّك تعامل من لا يجهل والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد، وداوِ دينك فقد دخله سقم شديد. ولا تحسبنّي أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكن

أردت أنّ تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما غرب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: (**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنينَ**).

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب. فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه، وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه، أو عملت شيئاً جهلوه، بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة. وكلفهم بك، أنْ صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلوا وإن حرّمت حرّموا، وليس ذلك عندك ولكنهم أكبّهم عليك رغبتهم فيما في يدك وتغلب عماهم وغلبة الجهل عليك وعليهم وحب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم. أمّا ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة، ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك، وتاقت أنفسهم إلى أنْ يدركوا بالعلم ما أدركت ويبلغوا منه مثل الذي بلغت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك قعره وفي بلاء لا يقدّر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

إعلم أنّ الجاه جاهان: جاه يجزيه الله على يدي أوليائه لأوليائهم فهؤلاء قال الله تعالى: (**أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ**) وما أخوفني أن تكون نظيراً لمن عاش مستوراً عليه في دينه مقتوراً عليه في رزقه، معزولة عنه

البلايا مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه وظهور جلده وكمال شهوته، فغنى بذلك، حتّى إذا كبرت سنّه ودقّ عظمه وضعفت قوته وانقطعت شهوته ولذّته فتحت عليه الدنيا شر مفتوح، فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها وأعشت عينيه زهرتها وصفت لغيره منفعتها. فسبحان الله ما أبين هذا الغبن وأخسر هذا الأمر، فهلاّ إذا عرضت فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في كتابه إلى سعد حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه ـ عندما فتح الله على سعد ـ أمّا بعد فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتّى تلقى

الماضين الذين دفنوا في اسمالهم لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا.

فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنّك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث في سنه والجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله. إنّا لله وإنّا إليه راجعون على من المعوّل وعند من المستعتب ونحتسب عند الله مصيبتنا ونشكوا إليه بثنا وما نرى منك. ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به. والسّلام عليك ورحمة الله تعالى».[١]

ترجمة أبي حازم الأعرج

ولا يخفى أنّ أباحازم الأعرج من كبار علماء أهل السنة، ومن مشاهير رجال الصحاح الستّة، قال ابن حبان: «سلمة بن دينار ... وكان قاصّ أهل المدينة، من عبّادهم وزهّادهم، بعث إليه سليمان بن عبدالملك بالزهري أنّ ايتني، فقال له الزهري: أجب الأمير، وقال أبوحازم وما لي إليه حاجة، فإن كان له حاجة فليأتني».[٢]

وقال ابن الأثير: «من عبّاد أهل المدينة وثقاتهم، والمشهورين من تابعيهم ...».[٣]

وقال الذهبي: «أحد الأعلام... قال ابن خزيمة: ثقة لم يكن في زمانه مثله. توفي سنة ١٤٠ وقيل ١٤٤».[٤]

وقال الذهبي:

مناقب أبي حازم كثيرة، وكان فقيهاً ثبتاً كثير العلم كبير القدر.[١]

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ٢٤٦ ـ ٢٤٩.

(٢) الثقات ٤ / ٣١٦.

(٣) جامع الأُصول: ١٢ / ٤٧٠، رقم ١١١٠.

(٤) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستّة ١ / ٤٥٢، رقم ٢٠٢٩.

وقال ابن حجر:

ثقة عابد، من الخامسة، مات في خلافة المنصور.[٢]

حال والد الزهري وجدّه

ولا يخفى أنّ الزهري قد ورث العداء لأهل البيت من أجداده، فقد «كان أبوجدّه عبدالله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليقتلنّه أو ليقتلنّ دونه.

وروي: أنّه قيل للزهري: هل شهد جدك بدراً؟ فقال: نعم ولكن من ذلك الجانب. يعنى إنّه كان في صف المشركين.

وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير ...».[٣]

بل ذكر بعض العلماء: أن جدّه هو الذي شجّ وجه رسول الله صلّى الله عليهوآلهوسلّم.[٤]

هذا، والزهري مشهور بالتّدليس، قال الذهبي: «كان يدلِّس في النادر».[٥]وقال أيضاً: «قال أبوقدامة السرخسي قال يحيى بن سعيد: مرسل الزهري شرّ من مرسل غيره ...».[٦] وذكره سبط ابن العجمي في (التبيين لأسماء المدلّسين) ونصّ على أنّه «مشهور به».

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ١٣٤.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ٣٧٦، رقم ٢٤٩٦.

(٣) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٨.

(٤) أُنظر: ترجمة عبدالله بن شهاب من الإستيعاب وأُسد الغابة في معرفة الصّحابة، وغزوة أحد من كتب السّير: السيرة النبويّة لابن هشام، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيّم، وسبل الهدى والرشاد، وإنسان العيون لنورالدين الحلبي.

(٥) ميزان الاعتدال ٤ / ٤٠، رقم ٨١٧١.

(٦) تذكرة الحفاظ ١ / ١١١، رقم ٩٧.

جويبر بن سعيد

ومنهم: جويبر بن سعيد، وهو من رجال ابن ماجة، ومن أئمّة التفسير عندهم.

قال الذهبي بترجمته من (ميزان الإعتدال):

جويبر بن سعيد، أبوالقاسم الأزدي البلخي، المفسّر، صاحب الضحّاك:

قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال الجوزجاني: لا يشتغل به.

وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث.

قلت: له عن أنس شيء، وروى عنه حمّاد بن زيد [بن أسلم] وابن المبارك ويزيد بن هارون وطائفة.

أبومالك: عن جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس مرفوعاً قال: تجب الصّلاة على الغلام إذا عقل والصّوم إذا أطاق.

ويروى عن جويبر عن الضحاك عن ابن عبّاس حديث: من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبداً.

قال أبوقدامة السرخسي: قال يحيى القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يثقونهم في الحديث، ثمّ ذكر ليث بن أبي سليم وجويبراً والضحّاك ومحمّد بن السائب وقال: هؤلاء لا يحمد حديثهم، ويكتب التفسير عنهم.[1]

وفي (تقريب التهذيب):

ضعيف جدّاً.[2]

(١) ميزان الإعتدال ١ / ٤٢٧، رقم ١٥٩٣.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ١٦٨، رقم ٩٨٩.

أبوصالح باذام

ومنهم: أبوصالح باذام، وهو من رجال السنن الأربعة، وذكروا له فضائل.

ولكن أورده الذهبي في (ميزان الإعتدال) ونقل الكلمات في قدحه وجرحه فقال ما نصّه:

باذام أبوصالح، تابعي، ضعّفه البخاري، وقال النسائي: باذام ليس بثقة، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدي: عامّة ما يرويه تفسير.

قلت: روى عن مولاته أُم هاني وأخيها علي وأبي هريرة.

وعنه: مالك بن مغول وسفيان الثوري وابن أُخته عمّار بن محمّد.

وقال يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا ترك أباصالح مولى أُم هاني.

وقال محمّد بن قيس عن حبيب بن أبي ثابت: كنّا نسمّي أباصالح باذام مولى أُم هاني دروعزن.

وقال زكريا بن أبي زائدة: كان الشعبي يمرّ بأبي صالح فيأخذ بأُذنه فيهزّها ويقول: ويلك، تفسّر القرآن وأنت لا تحفظ القرآن؟!

وقال إسماعيل بن أبي خالد: كان أبوصالح يكذب، فما سألته عن شيء إلاّ فسّره لي.

وروى ابن إدريس عن الأعمش قال: كنّا نأتي مجاهداً فنمرّ على أبي صالح وعنده بضعة عشر غلاماً ما نرى أنّ عنده شيئاً.

ابن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يذكر عن سفيان قال: قال الكلبي قال لي أبوصالح: كلّ ما حدّثتك كذب.

وروى مفضّل بن مهلهل عن مغيرة قال: إنّما كان أبوصالح صاحب الكلبي يعلّم الصبيان، وضعّف تفسيره.

وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء. وقال عبدالحق في أحكامه: ضعيف جدّاً، فأنكر هذه العبارة عليه أبوالحسن ابن القطّان.[1]

وفي (الميزان) أيضاً:

أبوصالح مولى أُم هاني، اسمه باذام، تركه ابن مهدي وقوّاه غيره، وقال أبوأحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وانتصر له يحيى القطّان وقال: لم أر أحداً من أصحابنا تركه، وما سمعنا أحداً يقول فيه شيئاً.[2]

---

(١) ميزان الإعتدال ١ / ٢٩٦، رقم ١١٢١.

(٢) المصدر ٤ / ٥٣٨، رقم ١٠٣٠٢.

ليث بن أبي سليم

ومنهم: ليث بن أبي سليم، وقد وصفه بعضهم بمحامد كثيرة ومناقب غزيرة، لكنَّ غير واحد من أعلامهم تكلّم فيه وجرحه، فقد قال الذهبي في (ميزان الإعتدال):

ليث بن أبي سليم الكوفي الليثي، أحد العلماء.

قال أحمد: مضطرب الحديث لكن حدّث عنه الناس.

وقال يحيى والنسائي: ضعيف.

وقال ابن معين أيضاً: لا بأس به.

وقال ابن حبّان: اختلط في آخر عمره.

وقال الدارقطني: كان صاحب سنّة، إنّما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد حسب.

وقال عبدالوارث: كان من أوعية العلم.

وقال أبوبكر ابن عيّاش: كان ليث من أكثر النّاس صلاة وصياماً ... .

قلت: حدّث عنه شعبة وابن عليّة وأبومعاوية والنّاس.

وقال ابن إدريس: ما جلست إلى ليث إلاّ سمعت منه ما لم أسمع منه.

وقال عبدالله بن أحمد: حدّثنا أبي قال: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً في أحد منه في ليث ومحمّد بن إسحاق وهمام، لا يستطيع أحدٌ أن يراجعه فيهم.

وقال ابن معين: ليث أضعف من عطاء بن السائب.[1]

وفي (تذهيب التهذيب):

قال عبدالله بن أحمد [بن حنبل] عن أبيه: [سمعت أبي يقول: ليث بن أبي سليم] مضطرب الحديث، [ولكن حدّث عنه النّاس].

وقال أيضاً: [سمعت أبي يقول:] ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً [في أحد] منه في ليث بن أبي سليم و[محمّد] ابن إسحاق وهمام، لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم.

وقال [أيضاً: سمعت] عثمان بن أبي شيبة [قال:] سألت جريراً عن ليث [ويزيد بن أبي زياد] وعطاء بن السائب فقال: كان يزيد أحسنهم استقامة [في الحديث]، ثمّ عطاء وكان ليث أكثر تخليطاً.

قال عبدالله [ابن أحمد]: وسألت أبي عن هذا فقال: أقول كما قال [جرير] ...

[ابن احمد] قال [أيضاً] وقلت ليحيى بن معين: ليث [بن أبي سليب] أضعف من يزيد [ابن أبي زياد] وعطاء [بن السائب]؟ قال: نعم.

وقال لي يحيى مرّة أُخرى: ليث أضعف من يزيد بن أبي زياد، ويزيد فوقه في الحديث.

وقال معاوية بن صالح: عن يحيى بن معين: ليث بن أبي سليم ضعيف إلاّ أنّه يكتب حديثه.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: حدّثنا يحيى بن معين، عن يحيى بن سعيد القطّان أنّه كان لا يحدّث عن ليث بن أبي سليم.

وقال علي بن المديني: سمعت يحيى يقول: مجالد أحبّ إليّ من ليث وحجّاج ابن أرطاة.

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٤٢٠ ـ ٤٢١، رقم ٦٩٩٧.

وقال أيضاً: قلت لسفيان: إنّ ليث روى عن طلحة بن مصرف عن أبيه عن جدّه رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم يتوضّأ، فأنكر ذلك سفيان وعجب منه أن يكون جدّه طلحة لقي النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبومعمر القطيعي: كان ابن عيينة يضعّف ليث بن أبي سليم.

وقال علي بن محمّد الطنافسي: سألت وكيعاً عن حديث من حديث ليث بن أبي سليم، فقال: ليث كان سيفاً لا يسعى ليثاً.

وقال محمّد بن خلف التيمي عن قبيصة قال شعبة لليث بن أبي سليم: أنّى اجتمع لك عطاء وطاوس ومجاهد؟ فقال: إذ أبوك يضرب بالخف ليلة عرسه.

قال قبيصة: فقال رجل كان جالساً لسفيان: فما زال شعبة مبغضاً لليث منذ يومئذ.

وقال ـ أي عبدالرحمان بن أبي حاتم ـ : سمعت أبي وأبازرعة يقولان: ليث لا يشتغل به، هو مضطرب الحديث.

وقال أيضاً: سمعت أبازرعة يقول: ليث بن أبي سليم ليّن الحديث، لا يقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث.[1]

(١) تذهيب التهذيب: مخطوط. تهذيب التهذيب ٨ / ٤١٨.

عبدالله بن أبي نجيح

ومنهم: عبدالله بن أبي نجيح، وقد قال الذهبي بأنّه من الأئمّة الثقات، وعن ابن المديني كونه من المحدّثين الأثبات ...

لكن البخاري نسب إليه القول بالقدر، وعن ابن المديني الجزم بكونه من القدريّة. قال الذهبي: عبدالله بن أبي نجيح المكي صاحب التفسير، أخذ عن مجاهد وعطاء، وهو من الأئمّة الثقات.

وقال يحيى القطان: لم يسمع التفسير كلّه من مجاهد، بل كلّه عن القاسم بن أبي بزّة.

وقال العقيلي: ثنا آدم بن موسى: سمعت البخاري قال: عبدالله بن أبي نجيح كان يتّهم بالإعتزال والقدر.

وقال ابن المديني: كان يرى الإعتزال.

وقال أحمد: أفسدوه بآخره وكان جالس عمرو بن عبيد.

وقال علي: سمعت القطان يقول: كان ابن أبي نجيح من رؤوس الدعاة.

وقال ابن المديني أيضاً: أمّا الحديث فهو فيه ثقة، وأمّا الرأي، فكان قدريّاً معتزليّاً، وقد ذكره الجوزجاني فيمن رمي بالقدر هو وزكريّا بن إسحاق وشبل بن عباد وابن أبي ذئب وسيف بن سليمان».[1]

هذا، وقد ذكر ابن حجر في (تهذيب التهذيب) نقلاً عن النسائي أنّه كان يدلّس.[2]

وكذا في (تقريب التهذيب).[3]

وقد تقدّم بعض الكلام في ذمّ القدريّة وذمّ التدليس. ولا نعيد.

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٥١٥، رقم ٤٦٥١.

(٢) تهذيب التهذيب ٦ / ٥٠.

(٣) أُنظر: تقريب التهذيب ١ / ٥٤١، رقم ٣٦٧٣.

عيسى بن ميمون

ومنهم: عيسى بن ميمون، الذي وثّقوه، ولكنْ قالوا: إلاّ أنّه يرى القدر.

ففي (ميزان الإعتدال):

عيسى بن ميمون، أبوموسى المكي، الجرشي المعروف بابن دايه، له تفسير صغير، أخذ عن مجاهد وقيس بن سعد وابن أبي نجيح.

روى عنه ابن عيينة وأبوعاصم، وقرأ القرآن عن ابن كثير.

وثّقه أبوحاتم وأبوداود وزاد أبوداود: إلاّ أنّه يرى القدر.

وقال ابن معين: ليس به بأس.[1]

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٢٧، رقم ٦٦١٩.

مقاتل بن حيّان

ومنهم: مقاتل بن حيّان، وقد وثّقه غير واحد من الأئمّة، لكنْ نسبه بعضهم إلى الكذب، وحاول الذهبي تبرأته، وقال بعضهم: لا أحتجّ به، وهذا نصّ ما جاء في (الميزان):

مقاتل بن حيان، أبوبسطام النبطي البلخي، الخراساني الخراز، أحد الأعلام. روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبي وشهر بن حوشب وخلق، وعنه ابن المبارك وبكير بن معروف وعيسى غنجار وآخرون. وروى عنه من شيوخه علقمة بن مرثد، وذلك في صحيح مسلم.

وكان عابداً كبير القدر صاحب سنّة وصدق، هرب أيّام أبي مسلم الخراساني إلى كابل، ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا.

وثّقه يحيى بن معين وأبوداود وغيرهما.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال أبوالفتح الأزدي: سكتوا عنه.

ثمّ ذكر أبوالفتح عن وكيع أنّه قال: ينسب إلى الكذب، كذا قال أبوالفتح، وأحسبه التبس عليه مقاتل بن حيان بمقاتل بن سليمان، فابن حيان صدوق قوي الحديث، والذي كذّبه وكيع فابن سليمان.

ثمّ قال أبوالفتح: ثنا أبويعلى الموصلي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، عن حميد الرؤاسي، عن الحسن بن صالح، عن هارون أبي محمّد، عن مقاتل، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً قال: قلب القرآن يس، فمن قرأها كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرّات.

قلت: الظاهر أنّه مقاتل بن سليمان، وقد جاء توثيق يحيى بن معين لابن حيّان من وجوه عنه.

وقال فيه الدارقطني: صالح الحديث.

نعم، أمّا ابن خزيمة فقال: لا أحتج بمقاتل بن حيان.

قلت: مات قبل الخمسين ومائة فيما أرى.[1]

(١) ميزان الإعتدال ٤ / ١٧١ ـ ١٧٢، رقم ٨٧٣٩.

مقاتل بن سليمان

ومنهم: مقاتل بن سليمان، الذي قيل: إنّ النّاس كلّهم عيال عليه في التفسير، ووصفه الأعلام بالأوصاف الجليلة.[1]

لكنّ تفسيره مشحون بالأخبار المصنوعة والآثار الموضوعة، بل إنّه متّخذ من اليهود والنصارى.

وكان هو من المشبّهة الذين يشبّهون الباري تعالى بالمخلوقين.

ومنهم من نسبه إلى الكذب ...

وقد جاء التصريح بهذه الأضاليل في تراجمه على لسان الأكابر، ففي (ميزان الإعتدال) ما نصّه:

قال أبوحنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه حتّى قال إنّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل ـ يعني في الإثبات ـ حتّى جعله مثل خلقه.

وقال وكيع: كان كذّاباً.

وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إنْ لم يخرج الدجّال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أنّي كذّاب ... .

وقال الجوزجاني: كان دجّالاً جسوراً ... .

---

(١) ميزان الإعتدال ٤ / ١٧٣، رقم ٨٧٤١.

وقال ابن حبّان: كان يأخذ عن اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبّه الربّ بالمخلوق، وكان يكذب في الحديث.

وقال أبومعاذ الفضل بن خالد المروزي: سمعت خارجة بن مصعب يقول: لم أستحل دم يهودي، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوةً لشققت بطنه.[1]

وفي (تنزيه الشريعة):

مقاتل بن سليمان البلخي المفسّر قال وكيع وغيره: كذّاب، وقال النسائي هو من المعروفين بوضع الحديث.[2]

وفي (تاريخ بغداد):

سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير ـ يعني في البدعة والكذب ـ: جهم بن صفوان وعمر بن صبيح ومقاتل بن سليمان ... .

وسمعت أبايوسف يقول: بخراسان صنفان ما على الأرض أبغض إليَّ منهما: المقاتليّة والجهميّة.[1]

فهذا حال من كلّ النّاس عيال عليه في التفسير، وهذا حال تفسيره ... .

---

(١) ميزان الإعتدال ٤ / ١٧٣ ـ ١٧٥، رقم ٨٧٤١.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ / ١١٩، رقم ٣٦٢.

السدّي الكبير

ومنهم: السدي الكبير، أخرج عنه مسلم والأربعة، وأثنى عليه العلماء وعلى تفسيره:

وقال السيوطي:

قال أبوبكر ابن أبي إدريس: ليس أحد بعد الصّحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدّي، وبعده سفيان الثوري.[٢]

وقال اليافعي:

الإمام السدي المفسّر الكوفي المشهور.[٣]

وقال الذهبي:

قال ابن عدي: هو عندي مستقيم الحديث، صدوق.[٤]

وقال السمعاني:

والمشهور بهذه النسبة: إسماعيل بن عبدالرحمان بن أبي ذئب وقيل: ابن أبي كريمة السدي الأعور، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة، من بني عبد مناف، حجازي الأصل، سكن الكوفة، يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه وعبد خير وأبي صالح، وقد رأى ابن عمر رضي الله عنهما، وهو السديّ الكبير، ثقة مأمون.

روى عنه: الثوري وشعبة وزائدة وسماك بن حرب وإسماعيل بن أبي خالد وسليمان التيمي.

ومات سنة سبع وعشرين ومائة، في إمارة ابن هبيرة.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ١٦٤ ـ ١٦٥، رقم ٧١٤٣.

(٢) تدريب الراوي ٢ / ٤٠٠.

(٣) مرآة الجنان ١ / ٢١١، سنة ١٢٧.

(٤) تذهيب التهذيب: مخطوط. وانظر: تهذيب التهذيب ١ / ٢٧٤، رقم ٥٧٢.

وكان إسماعيل بن أبي خالد يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي.

قال أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ: إسماعيل بن عبدالرحمن السدّي، يكنى أبا محمّد، صاحب التفسير، وإنّما سمّي السدّي لأنّه نزل بالسدّة، وكان أبوه من كبار أهل إصبهان، توفي سنة سبع وعشرين ومائة، في ولاية بني مروان.

روى عن أنس بن مالك، وأدرك جماعة من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، منهم: سعد بن أبيوقاص وأبوسعيد الخدري وابن عمر وأبوهريرة وابن عبّاس.

حدّث عنه: الثوري وشعبة وأبوعوانة والحسن بن صالح.

قال ابن أبي حاتم: إسماعيل بن عبدالرحمن السدّي الأعور، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة، أصله حجازي، يعدّ في الكوفيّين، وكان شريك يقول: ما ندمت على رجل لقيته أن لا أكون كتبت كلّ شيء لفظ به، إلاّ السدّي.

قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدّي إلاّ بخير، وما تركه أحد.[1]

وفي (الإتقان) نقلاً عن الحليمي في الإرشاد:

وتفسير إسماعيل السدّي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عبّاس.

وروى عن السدّي الأئمّة مثل: الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أنّ أمثل التفاسير تفسير السدّي.[2]

ومع ذلك كلّه ... فإليك بعض الكلمات في جرحه والطعن عليه في كتبهم:

ففي (الميزان):

---

(١) الأنساب ٣ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٧، رقم ٦٣٨٩.

إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة، السدّي، الكوفي. عن أنس وعبدالله البهيّ وجماعة. وعنه: الثوري وأبوبكر ابن عيّاش وخلق. ورأى أباهريرة.

قال يحيى بن القطّان: لا بأس به.

وقال أحمد: ثقة.

وقال ابن معين: في حديثه ضعف.

وقال أبوحاتم: لا يحتجّ به.

وقال ابن عدي: هو عندي صدوق.

وروى شريك عن سَلْم بن عبدالرحمن قال: مرّ إبراهيم النخعي بالسدّي وهو يفسّر لهم القرآن فقال: أمّا إنّه يفسّر تفسير القوم.

قال عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت: سمعت الشعبي وقيل له إنّ إسماعيل السدي قد أُعطي حظّاً من علم القرآن. فقال: قد أُعطي حظّاً من جهل بالقرآن.

وقال الفلاّس عن ابن مهدي: ضعيف ... .

وقال الجوزجاني عن معتمر عن ليث قال: كان بالكوفة كذّابان، فمات أحدهما: السدي والكلبي.[1]

وفي (الكاشف):

قال أبوحاتم: لا يحتجّ به.[2]

وفي هامشه للبدخشي:

---

(١) ميزان الإعتدال ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧، رقم ٩٠٧.

(٢) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستّة ١ / ٢٧٤، رقم ٣٩١.

قال السعدي: هو كذّاب شتّام.

وقال أبوزرعة: ليّن.[1]

(١) الحاشية على الكاشف: مخطوط.

محمّد بن السّائب الكلبي

ومنهم: محمّد بن السائب الكلبي ... «صاحب التفسير وعلم النسب، كان إماماً في هذين العلمين».[1]

وأخرج عنه الترمذي وغيره من كبار الأعلام.[2]

وقال ابن عدي:

وللكلبي غير ما ذكرت من الحديث أحاديث صالحة، خاصّة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع منه، وبعده مقاتل بن سليمان، إلاّ أنّ الكلبي يفضَّل على مقاتل بن سليمان، لما قيل في مقاتل من المذاهب الرديئة.

وحدّث عن الكلبي الثوري وشعبة، فإن كانا حدّثا عنه بالشيء اليسير غير المسند، وحدّث عنه: ابن عيينة وحمّاد بن سلمة وهشيم وغيرهم من ثقات الناس، ورضوه في التفسير ... .[1]

وقال الخطيب في تاريخه:

وقال الحسن بن عثمان القاضي: وجدت العلم بالعراق والحجاز ثلاثة: علم أبي حنيفة وتفسير الكلبي ومغازي محمّد بن إسحاق.[2]

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ١٥٧.

وقال البزدوي:

ليس كل من اتّهم بوجه ساقط الحديث، مثل الكلبي ... .[٣]

فقال شارحه بشرح هذه الجملة:

قوله: مثل الكلبي. هو أبوسعيد محمّد بن السائب الكلبي صاحب التفسير ويقال له أبوالنضر أيضاً، طعنوا فيه بأنّه يروي تفسير كلّ آية عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، ويسمّى زوائد الكلبي، وبأنّه روى حديثاً عند الحجّاج، فسأله عمّن يرويه، فقال: عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، فلمّا خرج قيل له: هل سمعت ذلك من الحسن؟ فقال: لا، ولكنّي رويت عن الحسن غيظاً له.

وذكر في الأنساب أنّ الثوري ومحمّد بن إسحاق يرويان عنه ويقولان: حدّثنا أبوالنضر، حتّى لا يعرف.

قال: وكان الكلبي سبئيّاً من أصحاب عبدالله بن سبأ، من أولئك الّذين يقولون: إنّ عليّاً لم يمت، وأنّه راجع إلى الدنيا قبل قيام السّاعة، فيملؤها عدلاً كما

ملئت جوراً، وإذا رأوا سحابة قالوا: أميرالمؤمنين فيها، والرعد صوته، والبرق سوطه، حتّى تبرّأ واحد منهم وقال:

ومن قوم إذا ذكروا عليّاً *** يفضّلون الصّلاة على السحاب

مات الكلبي سنة ست وأربعين ومائة.

وأمثاله: مثل عطاء بن السائب وربيعة بن عبدالرحمن وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم، اختلطت عقولهم فلم يقبل رواياتهم التي بعد الإختلاط، وقبلت الروايات التي قبله.

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥ / ٤٢٧، رقم ٥٢٣٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٤٦، رقم ٧٢٩٧.

(٣) كشف الأسرار شرح أُصول البزدوي ٣ / ١١٢.

فإن قيل: ما نقل عن الكلبي يوجب الطعن عامّاً، فينبغي أن لا يقبل رواياته جميعاً.

قلنا: إنّما يوجب ذلك إذا ثبت ما نقلوا عنه بطريق القطع، فأمّا إذا اتّهم به، فلا يثبت حكمه في غير موضع التهمة، وينبغي أن لا يثبت في موضع التهمة أيضاً، إلاّ أنّ ذلك يورث شبهة في الثبوت، وبالشبهة تردّ الحجّة وينتفي ترجيح الصدق في الخبر، فلذلك لم يثبت. أو معناه ليس كلّ من اتّهم بوجه ساقط الحديث، مثل الكلبي وعبدالله بن لهيعة والحسن بن عمارة وسفيان الثوري وغيرهم، فإنّه قد طعن في كلّ واحد منهم بوجه، ولكن علوّ درجتهم في الدّين وتقدّم رتبتهم في العلم والورع، منع من قبول ذلك الطعن في حقّهم ومن ردّ حديثهم به، إذ لو ردّ حديث أمثال هؤلاء بطعن كلّ واحد، انقطع طريق الرواية واندرس الأخبار، إذ لم يوجد بعد الأنبياء عليهم السّلام من لا يوجد فيه أدنى شيء ممّا يجرح به إلاّ من شاء الله تعالى، فلذلك لم يلتفت إلى مثل هذا الطعن، ويحمل على أحسن الوجوه، وهو قصد الصيانة كما ذكر.[1]

وقال القاضي العامري في كتاب (الناسخ والمنسوخ):

قد خرّجت هذا من التفاسير التي سمعتها من الأئمّة رحمهم الله، منها ما سمعت من الأستاذ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الإسفرايني رحمه الله، مثل تفسير مقاتل بن سليمان والحلبي والكلبي ... ولم أعتمد إلاّ بما صحّ عندي بتواتر واستفاضة، أو روي في الصحاح بغير طعن الطاعن، والله الموفّق لذلك.[2]

لكن العجب، أنّ أئمّة القوم يطعنون في الكلبي وتفسيره، فمنهم من يقول هو كاذب، ومنهم من ينادي بضلالته وإلحاده، ومنهم من يحرّم أنْ يُنظر في تفسيره ... .

---

(١) كشف الأسرار شرح أُصول البزدوي ٣ / ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) الناسخ والمنسوخ للقاضي العامري: مخطوط، مقدّمة الكتاب.

قال الذهبي في (ميزان الإعتدال):

قال أحمد بن زهير لأحمد بن حنبل: يحلّ النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا.

عبّاس عن ابن معين قال: الكلبي ليس بثقة.

وقال الجوزجاني وغيره: كذّاب.

وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبّان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه، أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه.[١]

وفي (تذكرة الموضوعات):

وقد قال أحمد في تفسير الكلبي: من أوّله إلى آخره كذب، لا يحلُّ النظر فيه.[٢]

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٥٥٨ ـ ٥٥٩، رقم ٧٥٧٤.

(٢) تذكرة الموضوعات: ٨٢.

علي بن أبي طلحة

ومنهم: علي بن أبي طلحة، وهو من رواة تفسير ابن عبّاس، ووصف السيوطي نسخته بالجودة، وأورد كلاماً لأحمد في الاعتماد عليه، قال في (الإتقان):

وقد ورد عن ابن عبّاس في التفسير ما لا يحصى كثرةً، وفيه روايات وطرق مختلفة، فمن جيّدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه.

قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً. أسنده أبوجعفر النحاس في ناسخه.

قال ابن حجر: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً، فيما يعلّقه عن ابن عبّاس. وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً، بوسائط بينهم وبين أبي صالح.[1]

أقول:

لكن المشكلة هي:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٦.

أوّلاً: إنّ في إسناد هذه النسخة إرسالاً، لأنّ ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عبّاس، قال في (الإتقان):

وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عبّاس التفسير، إنّما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير.[1]

لكنّ ابن حجر يحاول دفع هذا الإشكال، قال السيوطي:

قال ابن حجر: بعد أنْ عرفت الواسطة وهو ثقة، فلا ضير في ذلك.[2]

وثانياً: إنّ الرجل مطعون في وثاقته، ففي (ميزان الإعتدال) للذهبي:

علي بن أبي طلحة، عن مجاهد وأبي الوداك وراشد بن سعد، وأخذ تفسير ابن عبّاس عن مجاهد، فلم يذكر مجاهداً، بل أرسله عن ابن عبّاس.

قال أحمد بن محمّد بن عيسى في تاريخ حمص: إسم أبيه سالم بن مخارق، فأعتقه العبّاس.

ومات علي سنة ثلاث وأربعين ومائة.

وقال أحمد بن حنبل: له أشياء منكرات.

وقال أبوداود: كان يرى السيف.

وقال النسائي: ليس به بأس.

قلت: حدّث عنه معاوية بن صالح وسفيان الثوري، عداده في أهل حمص، قال دحيم: لم يسمع علي بن أبي طلحة التفسير من ابن عبّاس.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٦.

(٢) المصدر.

قلت: روى معاوية بن صالح عنه عن ابن عبّاس تفسيراً كبيراً ممتعاً.[1]

وفي (حاشية الكاشف):

قال يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث، يعني علي بن أبي طلحة.[2]

وثالثاً: إنّ هذه النسخة يرويها أبوصالح عن معاوية بن صالح، وهو أيضاً مجروح جدّاً، قال في (الميزان):

معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي، قاضي الأندلس، أبوعمرو، روى عن مكحول والكبار، وعنه: ابن وهب وعبدالرحمن بن مهدي وأبوصالح وطائفة.

وثّقه أحمد وأبوزرعة وغيرهما.

وكان يحيى القطان يتعنّت ولا يرضاه، وقال أبوحاتم: لا يحتجّ به، وكذا لم يخرّج له البخاري، وليّنه ابن معين ... .[3]

ورابعاً: إنّ أباصالح ـ كاتب الليث ـ أيضاً غير صالح. قال في (الميزان):

عبدالله بن صالح بن محمّد بن مسلم الجهني المصري، أبوصالح، كاتب الليث بن سعد على أمواله، هو صاحب حديث وعلم مكثر، وله مناكير، حدّث عن

معاوية بن صالح والليث وموسى بن علي وخلق، وعنه شيخه الليث وابن وهب وابن معين وأحمد بن الفرات، والناس.

قال عبدالملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون، سمع من جدّي حديثه.

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ١٣٤، رقم ٥٨٧٠.

(٢) الحاشية على الكاشف: مخطوط.

(٣) ميزان الإعتدال ٤ / ١٣٥، رقم ٨٦٢٤.

وقال أبوحاتم: سمعت محمّد بن عبدالله بن عبدالحكم وسئل عن أبي صالح فقال: تسألني عن أقرب رجل إلى الليث، لزمه سفراً وحضراً، وكان يخلو معه كثيراً، لا ينكر لمثله أن يكون قد سمع منه كثرة ما أخرج عن الليث.

وقال أبوحاتم: سمعت ابن معين يقول: أقلّ أحواله أن يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له، ويمكن أن يكون ابن أبي ذئب كتب إليه بهذا الدرج.

قال: وسمعت أحمد بن صالح يقول: لا أعلم أحداً روى عن الليث عن ابن أبي ذئب إلاّ أبوصالح.

وقال أحمد بن حنبل: كان أوّل أمره متماسكاً ثمّ فسد بأخرة، يروي عن ليث عن ابن أبي ذئب، ولم يسمع الليث من ابن أبي ذئب شيئاً.

وقال أبوحاتم: هو صدوق أمين ما علمته.

وقال أبوزرعة: لم يكن عندي ممّن يتعمّد الكذب، وكان حسن الحديث.

وقال أبوحاتم: أخرج أحاديث في آخر عمره أنكروها عليه، [نرى] أنّها ممّا افتعل خالد بن نجيح، وكان أبوصالح يصحبه، وكان سليم الناحية، لم يكن وزن أبي صالح الكذب، كان رجلاً صالحاً.

وقال أحمد بن محمّد [بن] الحجاج بن رشدين: سمعت أحمد بن صالح يقول: متّهم ليس بشيء ـ يعني الحمراوي عبدالله بن صالح ـ .

وسمعت أحمد بن صالح يقول في عبدالله بن صالح، فأجروا عليه كلمة أُخرى.

وقال ابن عبدالحكم: سمعت أبي عبدالله يقول ما لا أُحصي وقد قيل له: إنّ يحيى ابن بكير يقول في أبي صالح شيئاً، فقال: قل له: هل حدّثك الليث قطّ إلاّ وأبوصالح عنده، وقد كان يخرج معه إلى الأسفار وهو كاتبه، فتنكر أن يكون عنده ما ليس عند غيره.

وقال سعيد بن منصور: كلّمني يحيى بن معين قال: أحبّ أن تمسك عن عبدالله ابن صالح، فقلت: لا أمسك عنه وأنا أعلم النّاس به، إنّما كان كاتباً للضياع.

وقال أحمد: كتب إليّ ـ وأنا بحمص ـ يسألني الزيارة.

قال الفضيل بن محمّد الشعراني: إنّي مارأيت أباصالح إلاّ وهو يحدّث أو يسبّح.

قال صالح جَزَرة: كان ابن معين يوثّقه، وهو عندي يكذب في الحديث.

وقال النسائي: ليس بثقة، يحيى بن بكير أحبّ إلينا منه.

وقال ابن المديني: لا أروي عنه شيئاً.

وقال ابن حبّان: كان في نفسه صدوقاً، إنّما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له، فسمعت ابن خزيمة يقول: كان له جار كان بينه وبينه عداوة، كان يضع الحديث على شيخ أبي صالح ويكتبه بخط يشبه خط عبدالله ويرميه في داره بين كتبه، فيتوهّم عبدالله أنّه خطّه فيحدّث به.

وقال ابن عدي: هو عندي مستقيم الحديث، إلاّ أنّه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمّد.

قلت: وقد روى عنه البخاري في الصحيح على الصحيح، ولكنّه يدلّسه فيقول: حدثنا عبدالله ولا ينسبه وهو هو، نعم علّق البخاري حديثاً فقال فيه: قال الليث بن سعد: حدّثني جعفر بن ربيعة، ثمّ قال في آخر الحديث: حدّثني عبدالله بن صالح، حدثنا الليث، فذكره، ولكن هذا عند ابن حمويه السرخسي دون صاحبيه.

وفي الجملة; ما هو بدون نعيم بن حمّاد، ولا إسماعيل بن أبي أويس، ولا سويد ابن سعيد، وحديثهم في الصحيحين، ولكلّ منهم مناكير تغتفر في كثرة ما روى، وبعضها منكر واه، وبعضها غريب محتمل.

وقد قامت القيامة على عبدالله بن صالح بهذا الخبر الذي قال: حدّثنا نافع يزيد، عن زهرة بن معبد، عن سعيد بن المسيّب، عن جابر، مرفوعاً: إنّ الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيّين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة: أبابكر وعمر وعثمان وعليّاً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلّهم خير.

قال سعيد بن عمرو، عن أبي زرعة: بُلي أبوصالح بخالد بن نجيح، في حديث زهرة بن معبد عن سعيد، وليس له أصل.

قلت: قد رواه أبوالعبّاس محمّد بن أحمد الأثرم ... .[1]

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٤٤٠ ـ ٤٤٢، رقم ٤٣٨٣.

سعيد بن بشير

ومنهم: سعيد بن بشير، صاحب قتادة، من رجال السنن الأربعة، وهذه ترجمته في (الميزان):

سعيد بن بشير، صاحب قتادة، سكن دمشق، وحدّث عن قتادة والزهري وجماعة، وعنه: أبومسهر وأبوالجماهر ويحيى الوحاظي.

قال أبومسهر: لم يكن في بلدنا أحفظ منه، وهو منكر الحديث.

وقال أبوحاتم: محلّه الصّدق.

وقال البخاري: يتكلّمون في حفظه.

وقال بقيّة: سألت شعبة عنه فقال: ذاك صدوق اللّسان.

وقال عثمان عن ابن معين: ضعيف.

وقال عبّاس عن ابن معين: ليس بشيء.

وقال الفلاّس: حدّثنا عنه ابن مهدي ثمّ تركه.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن الجوزي: قد وثّقه شعبة ودحيم.

وقال ابن عيينة: حدّثنا سعيد بن بشير وكان حافظاً.

وقال أبوزرعة النصري: قلت لأبي الجماهر: كان سعيد بن بشير قدريّاً؟ قال: معاذ الله.

وسمعت أبامسهر يقول: أتيت سعيداً أنا ومحمّد بن شعيب فقال: والله لا أقول إنّ الله يقدّر الشر ويعذّب عليه، ثمّ قال: أستغفر الله، أردت الخير فوقعت في الشرّ ... .

قال يعقوب الفسوي: سألت أبامسهر عن سعيد بن بشير فقال: لم يكن في جندنا أحفظ منه، وهو ضعيف، منكر الحديث.

وقال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات.

وذكره أبوزرعة في الضعفاء وقال: لا يحتجّ به، وكذا قال أبوحاتم ... .

ولسعيد تفسير رواه عنه الوليد.

قال ابن عدي: لا أرى بما يروي بأساً، ولعلّه يهم ويغلط.

وله عند أهل دمشق تصانيف، رأيت له تفسيراً مصنّفاً، والغالب عليه الصّدق.

قيل: مات سنة ثمان وستّين ومائة.[1]

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ١٢٨ ـ ١٣٠، رقم ٣١٤٣.

الفريابي

ومنهم: الفريابي ... فإنّه وإنْ مدح ووثّق، كما في (الوافي بالوفيات) حيث قال:

محمّد بن يوسف بن واقد، أبوعبدالله الفريابي، ولد سنة عشرين ومائة، كان عالماً زاهداً ورعاً، من الطبقة السادسة، قال: رأيت في المنام أنّي دخلت كرماً فيه عنب، فأكلت من عنبه كلّه إلاّ الأبيض، فقصصت رؤياي على سفيان الثوري فقال: تصيب من العلوم كلّها، إلاّ الفرائض فإنّها جوهر العلم، كما أنّ العنب الأبيض جوهر العنب، وكان كما قال.

روى عن الثوري وغيره. وروى عنه الإمام أحمد وغيره.

قال البخاري: كان الفريابي من أفضل أهل زمانه، وكان ثقة صدوقاً مجاب الدعوة.

توفي سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين.[١]

ومع هذا، فقد أورده الذهبي في (الميزان)، وحكى عن يحيى بن معين أنّه حكم على بعض أحاديثه بالبطلان، وعن العجلي أنّ الفريابي أخطأ في مائة وخمسين حديثاً.[٢]

---

(١) الوافي بالوفيات ٥ / ١٥٩.

(٢) ميزان الإعتدال ٤ / ٧١ ـ ٧٢، رقم ٨٣٤٠.

عثمان بن أبي شيبة

ومنهم: عثمان بن أبي شيبة.

قال اليافعي في (تاريخه):

الحافظ عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي، وكان أسنّ من أخيه أبي بكر. رحل وطوّف، وصنّف التفسير والمسند، وحضر مجلسه ثلاثون ألفاً.[١]

وقال الذهبي في (الميزان):

عثمان بن أبي شيبة [خ م دق]، أبوالحسن، أحد أئمّة الحديث الأعلام، كأخيه أبي بكر.[٢]

ومع ذلك، فقد تُكلّم فيه من جهات، قال في (الميزان):

قال عبدالله: وقلت لأبي: حدّثنا عثمان، حدثنا جرير، عن شيبة بن نعامة، عن فاطمة بنت حسين بن علي، عن فاطمة الكبرى، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: لكلّ بني أب عصبة ينتمون إليه، إلاّ ولد فاطمة، أنا عصبتهم.

وقلت له: حدّثنا عثمان، حدثنا أبوخالد الأحمر، عن ثور بن يزيد، عن أبي الزبير، عن جابر عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود.

---

(١) مرآة الجنان ٢ / ٩٢، سنة ٢٣٩.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٥، رقم ٥٥١٨.

فأنكر أبي هذه الأحاديث مع أحاديث من هذا النحو، أنكرها جدّاً وقال: هذه موضوعة أو كأنّها موضوعة.

وقال أبي: أبوبكر أخوه أحبّ إليّ من عثمان.

فقلت: إنّ يحيى بن معين يقول: إنّ عثمان أحبّ إليّ.

فقال أبي: لا.

ورواها أبوعلي ابن الصواف، عن عبدالله، عن أبيه وزاد فقال: ما كان أخوه أبوبكر يُطَنِّف نفسه لشيء من هذه الأحاديث، نسأل الله السلامة.

وقال: كنّا نراه يتوهّم هذه الأحاديث.[1]

قال يحيى: ثقة مأمون.

قلت: إلاّ أنّ عثمان كان لا يحفظ القرآن فيما قيل.

فقال أحمد بن كامل: حدثنا الحسن بن الحباب: أنّ عثمان بن أبي شيبة قرأ عليهم في التفسير: (**أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ**) قالها: الف لام ميم.

قلت: لعلّه سبق لسان، وإلاّ فقطعاً كان يحفظ سورة الفيل، وهذا تفسيره قد حمله النّاس عنه.[2]

وقال السيوطي في (تدريب الراوي):

أورد الدارقطني في كتاب التصحيف كلّ تصحيف وقع للعلماء حتّى في القرآن، من ذلك ما رواه أنّ عثمان بن أبي شيبة قرأ على أصحابه في التفسير: «وجعل السفينة في رجل أخيه. فقيل له: إنّما

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٦، رقم ٥٥١٨.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٧، رقم ٥٥١٨.

هو (**جَعَلَ السِّقايَةَ في رَحْلِ أَخيهِ**). فقال: أنا وأخي أبوبكر لا نقرأ لعاصم. قال: وقرأ عليهم في التفسير (**أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفيلِ**) قال: ا ل م. كأوّل البقرة.[1]

وفي (الميزان):

قال الخطيب في جامعه: لم يحك عن أحد من المحدّثين من التصحيف في القرآن الكريم، أكثر ممّا حكي عن عثمان بن أبي شيبة، ثمّ ساق بسنده عن إسماعيل بن محمّد التستري: سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ «فإن لم يصبها وابل فظل» وقرأ مرّة «من الخوارج مكلّبين».

وقال أحمد بن كامل القاضي: حدثنا أبوالشيخ الأصبهاني محمّد بن الحسن قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة «بطشتم خبّازين».

وقال محمّد بن عبيدالله بن المنادي: قال لنا عثمان بن أبي شيبة: «ن والقلم» في أي سورة هو؟

وقال مطين: قرأ عثمان بن أبي شيبة «فضرب لهم سنور له ناب» فردّوا عليه فقال: قراءة حمزة عندنا بدعة.

وقال يحيى بن محمّد بن كاس النخعي: حدثنا إبراهيم بن عبدالله الخصاف قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة تفسيره فقال: «جعل السفينة [في رجل أخيه]» فقيل: إنّما هو «السقاية». فقال: أنا وأخي لا نقرأ لعاصم.[2]

وكما حمل الذهبي خطأ عثمان في سورة الفيل على سبق اللّسان، حاول حمل تصحيفاته على المزاح والدعابة! فقال:

---

(١) تدريب الراوي ٢ / ١٩٥، النوع الخامس والثلاثون.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٧، رقم ٥٥١٨.

قلت: فكأنّه كان صاحب دعابة، ولعلّه تاب وأناب ...[1]

لكن الدعابة في ألفاظ القرآن توجب الفسق، ولذا قال «لعلّه تاب وأناب» وهل يكفي «لعلّ» لو كان ذلك منه «دعابة»؟

والألطف من ذلك تمنّيه موت إسحاق من أجل الشهرة والرئاسة، قال في (الميزان):

قال إبراهيم بن أبي طالب الحافظ: دخلت عليه فقال لي: إلى متى لا يموت إسحاق؟

فقلت: شيخ مثلك يتمنّى موت شيخ مثله؟!

فقال: دعني، فلو مات لصفا لي جوّي.[2]

أقول:

فهذا حال أتباع التّابعين عند أئمة الحديث والرجال من أهل السنّة المتقدّمين والمتأخّرين، ومع ذلك قيل في حقّهم:

ويلحق بالتابعين أتباعهم ممّن نشطوا على انتهاج طريقتهم ونسجوا كرائم الآثار على منوالهم، وهم كثرة من علماء أجلاّء، بهم دارت رحى العلم في أرجاء البلاد وملأوا الآفاق صيتاً وشهرة، فكانوا قدوه أهل العلم مصدراً ومرجعاً، يرجع إليهم روّاد العلم والفضيلة من كلّ صوب ومكان!

---

(١) المصدر.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٧، رقم ٥٥١٨.

الطبقة الرابعة

* الطبري
* ابن أبي حاتم
* الحاكم النيسابوري
* ابن مردويه
* ابن المنذر
* ابن أبي داود
* النقّاش

قال السيوطي

وبعدهم: ابن جرير الطبري، وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها، ثمّ ابن أبي حاتم، وابن ماجة، والحاكم، وابن مردويه، وأبوالشيخ ابن حيان، وابن المنذر، في آخرين.

وكلّها مسندة إلى الصّحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك، إلاّ ابن جرير، فإنّه يتعرّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والإستنباط، فهو يفوقها بذلك.[1]

أقول:

إنّ أفضل وأشرف تفاسير هذه الطبقة:

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٥٠٠.

تفسير ابن جرير الطبري

كما قال السيوطي، بل لقد ادّعى الإجماع على ذلك، حيث قال:

فإن قلت: فأيّ التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أنْ يعوّل عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء والمعتبرون على أنّه لم يُؤلّف في التفسير مثله.[١]

وقال النووي:

له كتاب التاريخ المشهور، وكتاب في التفسير لم يصنّف أحد مثله.[٢]

وقال ياقوت الحموي نقلاً عن الخطيب:

وله الكتاب المشهور في تاريخ الأُمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنّف أحدٌ مثله.[١]

قال ياقوت:

ومن كتبه: كتابه المسمّى جامع البيان عن تأويل القرآن.

قال أبوبكر ابن كامل: أملى علينا من كتاب التفسير مائة وخمسين آية، ثمّ خرجه بعد ذلك إلى آخر القرآن فقرأه علينا، وذلك في سنة سبعين ومائتين، واشتهر الكتاب وارتفع ذكره. وأبوالعبّاس

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٥٠١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٧٨.

أحمد بن يحيى ثعلب وأبوالعبّاس محمّد بن يزيد المبرد يَحْيَيان، ولأهل الإعراب والمعاني معقلان، وكان أيضاً في الوقت غيرهما مثل: أبي جعفر الرستمي وأبي الحسن بن كيسان والمفضّل بن سلمة والجعد وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم من النحويّين من فرسان هذا اللسان، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً، وقرأه كلّ من كان في وقته من العلماء، وكلّ فضّله وقدّمه.

قال أبوجعفر: حدّثتني به نفسي وأنا صبي ... .

قال أبوجعفر: استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله، فأعانني.

وقال أبومحمّد عبدالله بن أحمد بن جعفر الفرغاني: أخبرني شيخ من جِسْرِ بن عفيف قال: رأيت في النوم كأنّي في مجلس أبي جعفر والنّاس يقرؤون عليه كتاب التفسير، فسمعت هاتفاً بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن كما أُنزل فليسمع هذا الكتاب ... .

ولم يتعرّض ـ أي الطبري ـ لتفسير غير موثوق به، فإنّه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمّد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمّد بن عمر الواقدي، لأنّهم عنده أظنّاء.[٢]

وقال السمعاني في (الأنساب):

قال أبوحامد الإسفرائني: لو سافر رجل إلى الصين، حتّى يحصل له كتاب تفسير محمّد بن جرير، لم يكن ذلك كثيراً.[١]

وأمّا محمّد بن جرير الطبري نفسه، فتوجد مكارمه ومحامده في الكتب التالية:

تذكرة الحفّاظ ٢ / ٧١٠ ـ ٧١٦.

---

(١) معجم الأُدباء ١٨ / ٤١، رقم ١٧.

(٢) معجم الأُدباء ١٨ / ٦١ ـ ٦٥، رقم ١٧.

طبقات الشافعيّة للسبكي ٣ / ١٢٠ ـ ١٢٨.

طبقات الحفّاظ: ٦٠.

وفيات الأعيان ٤ / ١٩١ ـ ١٩٢.

مرآة الجنان ٢ / ٢٦٠.

تاريخ بغداد ٢ / ١٦٢ ـ ١٦٩.

تهذيب الأسماء واللّغات ١ / ٩٦ ـ ٩٨.

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٦٧ ـ ٢٨٢.

وغيرها من كتب التاريخ وتراجم الرّجال.

قال ياقوت الحموي في (معجم الأُدباء) نقلاً عن الخطيب:

كان أحد أئمّة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عزّ وجلّ، عارفاً بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصّحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيّام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأُمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنّف أحد مثله، وكتاب سمّاه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه، لم يتمه.

(قال ابن خزيمة) ـ لمّا لاحظ تفسير ابن جرير ـ : وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ... .

---

(١) الأنساب ٤ / ٤٦.

قال أبومحمّد بن عبدالعزيز بن محمّد الطبري: كان أبوجعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأُمّة، ولا ظهر من كتب المصنّفين وانتشر من كتب المؤلّفين ما انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء مع الرواية كذلك، على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات، من غير تعويل على المناولات والإجازات، ولا على ما قيل في الأقوال، بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة ... .

كان كالقاري الذي لا يعرف إلاّ القرآن، وكالمحدّث الذي لا يعرف إلاّ الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلاّ الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلاّ النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلاّ الحساب، وكان عاملاً بالعبادات، جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها.[1]

أقول:

وإذا كان الطبري بهذه المنزلة، فلماذا يسقط كلامه عن الإعتبار إذا احتجَّ به أصحابنا في مورد ويُتكلَّم فيه؟

لقد احتجّ العلاّمة الحلّي برواية الطبري تهديد عمر بن الخطّاب فاطمة الزهراء الطاهرة عليها السّلام بإحراق بيتها، فقال ابن روزبهان في جوابه:

من أسمج ما افتراه الروافض هذا الخبر، وهو إحراق عمر بيت فاطمة. وما ذكر أنّ الطبري ذكره في التاريخ، فالطبري من الروافض، مشهور بالتشيّع، مع أنّ علماء بغداد هجروه، لغلوّه في الرفض والتعصّب، وهجروا كتبه ورواياته وأخباره.

---

(١) معجم الأُدباء ١٨ / ٤١ ـ ٤٣ و ٥٩ و ٦١، رقم ١٧.

وكلّ من نقل هذا الخبر فلا يشك أنّه رافضي متعصّب، يريد إبداء القدح والطعن على الأصحاب، لأنّ العاقل المؤمن الخبير بأخبار السلف ظاهر عليه أنّ هذا الخبر كذب صراح وافتراء بيّن، لا يكون أقبح منه ولا أبعد من أطوار السلف.[1]

وإذا كان الطبري من الروافض، شمله كلّ ما ذكره ابن تيميّة وغيره للروافض، من القبائح والمثالب التي تفوق الحصر وتتجاوز حدّ الشرح والتبيين ...

هذا، وقد سبقه إلى الإتّهام بالتشيّع الفخر الرازي في كتابه (نهاية العقول) في الكلام على النصّ على إمامة أميرالمؤمنين عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

الثالث: إنّ هذا النص لو كان كذباً لما دعا إلى روايته إلاّ الهوى، فكان ينبغي أنْ لا يرويه من لا يهوى مقتضاه، وقد رواه أصحاب الحديث كابن جرير الطبري، وليس هو من الإماميّة، فبطل أن يكون كذباً.

فأجاب الرازي أوّلاً بأنّ الطبري لم يرو هذا النص ثمّ قال:

ثمّ إن سلّمنا أنّه ذكره، فلعلّه رواه قبل أن تثبت عنده صحّة هذا الحديث، فإنّ من المحدّثين من يروي كلّ غثّ وسمين.

ثمّ إن سلّمنا ذلك، فلا نسلّم أنّه ما كان متّهماً بالتشيّع.[2]

فكان ابن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ممّن يروي الغثّ والسمين، وكان متّهماً بالتشيّع ... !!

---

(١) ورد القول في دلائل الصدق ٧ / ١٣٧.

(٢) نهاية العقول ٤ / ٤٣٣.

هذا، ومن العجائب تناقض ابن تيميّة تجاه ابن جرير وتفسيره، فإنّه لمّا لم يخرج ابن جرير حديث نزول آية الولاية في أميرالمؤمنين عليه السّلام، جعل ابن تيميّة يمدحه ويمدح تفسيره، وينصُّ على خلوّه من الموضوعات،[١] حتّى إذا رأى أنّه قد روى بتفسير آية الإنذار نصّ النبي على أمير المؤمنين علي عليه السّلام، بالإمامة والخلافة والولاية من بعده ... جعل يذمّ تفسير ابن جرير ومؤلِّفه بشدّة ...!![٢]

وأيضاً، فقد تكلّم فيه بعضهم بسبب ذهابه في الفقه إلى جواز المسح على الرجلين في الوضوء، حتّى قيل: كان يضع للروافض[٣] فراجع رسالتنا في تلك المسألة.[٤]

---

(١) منهاج السنّة ٧ / ١٧٩.

(٢) المصدر ٧ / ٣٠٠.

(٣) أُنظر: ميزان الإعتدال ٣ / ٤٩٩.

(٤) حكم الأرجل في الوضوء.

تفسير ابن أبي حاتم

المحدث الحافظ، الفقيه، المفسّر، الرجالي، الذي ترجم له ابن قاضي شهبة في (طبقات الشافعيّة) فقال:

عبدالرحمان بن محمّد بن إدريس، أبومحمّد، ابن أبي حاتم، الحنظلي الرازي، أحد الأئمّة في الحديث والتفسير والعبادة والزهد والصلاح، حافظ ابن حافظ، أخذ عن أبيه وأبي زرعة، وصنّف الكتب المهمّة، كالتفسير الجليل المقدار، في أربع مجلّدات، غالبه آثار مسندة ... .[1]

وفي (فوات الوفيات):

قال أبوعلي الخليلي: كان يعدّ من الأبدال، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل.[2]

وذكر السيوطي في (اللآلي المصنوعة) بعد حديث تكليم الله موسى:

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقد التزم أنْ يخرّج فيه أصحّ ما ورد، ولم يخرّج حديثاً موضوعاً ألبتّة.[1]

وفي (الإتقان) بعد ذكر تفسير السدّي:

---

(١) طبقات الشافعيّة ١ / ١١١، رقم ٥٨.

(٢) فوات الوفيات ١ / ٦٣١، رقم ٢٥٧.

ولم يورد منه ابن أبي حاتم شيئاً، لأنّه التزم أنْ يخرّج أصحّ ما ورد.[٢]

لكنّ ابن تيميّة يقول ـ في الجواب عن الإستدلال بالحديث الوارد بذيل الآية (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) الذي رواه ابن أبي حاتم أيضاً، كما في (الدرّ المنثور) ـ :[٣]

والجواب من وجوه:

الأوّل: المطالبة بصحّة النقل، وما ادّعاه من نقل النّاس كافّة، من أظهر الكذب عند أهل العلم بالحديث، فإنّ هذا الحديث ليس في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل، لا في الصحاح ولا في المسانيد والسنن والمغازي والتفسير التي يذكر فيها الإسناد الذي يحتجّ به، وإذا كان في بعض كتب التفسير التي ينقل فيها الصحيح والضعيف مثل تفسير الثعلبي والواحدي والبغوي بل وابن جرير وابن أبي حاتم، لم يكن مجرّد رواية واحد من هؤلاء دليلاً على صحّته باتفاق أهل العلم، فإنّه إذا عرف أنّ تلك المنقولات فيها صحيح وضعيف، فلابدّ من بيان أنّ هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف، وهذا الحديث غايته أن يوجد في بعض كتب التفسير التي فيها الغثّ والسمين، بل وفيها أحاديث

كثيرة موضوعة مكذوبة، مع أنّ كتب التفسير التي يوجد فيها هذا مثل تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم والثعلبي والبغوي ينقل فيها بالأسانيد الصحيحة ما يناقض هذا.[٤]

وقال:

---

(١) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ١٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٧.

(٣) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٥ / ٩٧.

(٤) منهاج السنة ٧ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

الثالث: إنّ هذا الحديث كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلاّ وهو يعلم أنّ هذا كذب موضوع، ولهذا لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات، لأنّ أدنى من له معرفة بالحديث يعلم أنّ هذا كذب.[1]

وعلى هذا، فإنّ جميع المدائح المذكورة لابن أبي حاتم وتفسيره تذهب أدراج الرّياح.

هذا بالنسبة إلى تفسيره.

وأمّا بالنسبة إلى كتابه في الجرح والتعديل، فقد ذكر الخطيب البغدادي في (الكفاية) ما نصّه:

وبالإسناد عن أبي الحسن علي بن محمّد البخاري يقول: سمعت محمّد ابن الفضل العبّاسي يقول: كنّا عند عبدالرحمان بن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل، فدخل عليه يوسف بن الحسين الرازي فقال: يا أبامحمّد، ما هذا الذي تقرؤه على الناس؟ فقال: كتاب صنّفته في الجرح والتعديل. فقال: وما الجرح والتعديل؟ فقال: أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة. فقال له يوسف بن الحسين: استحييت لك يا أبامحمّد من هؤلاء القوم، قد حطّوا رواحلهم في الجنّة منذ مائة سنة ومائتي سنة، وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض. فبكى عبدالرحمن وقال: يا أبايعقوب، لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفي هذا الكتاب لما صنّفته.[2]

ولكنّ هذا الكلام يدلّ على جهل ابن أبي حاتم وعدم فهمه، للزوم المفسدة العظيمة في الدين والشريعة لولا الجرح والتعديل للرجال ... ولذا قال ابن الجوزي:

قلت: عفا الله عن ابن أبي حاتم، فإنّه لو كان فقيهاً لردّ عليه كما ردّ الامام أحمد على أبي تراب، ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل. ثمّ كون القوم في الجنّة

---

(١) المصدر ٧ / ٣٠٢.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٥٥.

لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم، وتسمية ذلك غيبة حديث سوء. ثمّ من لا يدري الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه؟ .[1]

(١) تلبيس إبليس: ٤٠٩.

تفسير الحاكم النّيسابوري

الذي قال عنه المناوي في (فيض القدير):

قال السبكي: إتفق العلماء على أنّه من أعظم الأئمّة الذين حفظ الله بهم الدين.[١]

وقال ابن قاضي شهبة:

وقد أطنب عبدالغافر في مدحه وذكر فضائله وفوائده ومحاسنه ـ إلى أنْ قال: ـ مضى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلّف بعده مثله.[٢]

وقال ابن الأثير في وصف منزلته في علم الحديث:

كان عالماً بهذا الفن، خبيراً بغوامضه، عارفاً بأسراره.[٣]

إلاّ أنّه قد تكلّم فيه وفي أهمّ كتبه وهو المستدرك على الصحيحين بعض أكابر القوم، قال الذهبي في (الميزان):

قد قال ابن طاهر: سألت أباإسماعيل عبدالله الأنصاري عن الحاكم أبي عبدالله فقال: إمام في الحديث، رافضي خبيث.[٤]

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٣٤.

(٢) طبقات الشافعيّة ١ / ١٩٤، رقم ١٥٣.

(٣) جامع الأُصول ١ / ١٦٢.

(٤) ميزان الإعتدال ٣ / ٦٠٨، رقم ٧٨٠٤.

وترجم له ـ أي الذهبي ـ في كتاب سير أعلام النبلاء[1] ـ وأورد الكلمات في حقّه، فذكر عن بعضهم أنه قال: إنّ الله يحبّ الإنصاف، ما الرجل برافضي.

وكان السّبب في ذلك تصحيحه بعض الأحاديث الدالّة على أفضليّة الإمام علي عليه السّلام، كحديث الطير المشويّ الذي دعا فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطّائر. فجاء علي فأكل معه». وكحديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها...».

ورمي كتابه المستدرك بأنْ ليس فيه حديث واحد على شرط البخاري ومسلم.

وأُجيب: هذه مكابرة وغلو.

وحكى عن ابن طاهر: إن المستدرك ذكر بين يدي الدارقطني، فقال: نعم. يستدرك عليهما حديث الطير؟!

وأُجيب: هذه حكاية منقطعة بل لم تقع.

وكأنّ رمي الكتاب ومؤلّفه لم يشف غليل ابن طاهر ومن لّف لفّه، فزعم: «انّ الحاكم أخرج حديث الطير من المستدرك» لمّا بلغه اعتراض الدارقطني، فأُجيب «إن حديث الطير موجود في المستدرك»[2] وقد ألفّه بعد موت الدارقطني بمدّة.[1]

وقال السبكي:

حكى شيخنا الذهبي أنّ الحاكم سئل عن حديث الطير فقال: لا يصحّ، ولوصحّ لَما كان أحد أفضل من علي بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ثمّ قال شيخنا: وهذه الحكاية سندها صحيح، فما باله أخرج حديث الطير في المستدرك؟! ...

---

(١) أُنظر: سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٤ ـ ١٧٦.

(٢) طبقات الشافعيّة الكبرى ٤ / ١٦٤.

قال السبكي:

وقد جوّزت أنْ يكون زيد في كتابه، وألاّ يكون هو أخرجه! وبحثت عن نسخ قديمة من المستدرك، فلم أجد ما ينشرح الصدر لعدمه، وتذكّرت قول الدارقطني: إنّه يستدرك حديث الطير، فغلب على ظنّي أنّه لم يوضع عليه، ثمّ تأمّلت قول من قال: إنّه أخرجه من الكتاب، فجوّزت أن يكون خرّجه، ثمّ أخرجه من الكتاب، وبقي في بعض النسخ، فإنْ ثتب هذا صحّت الحكايات ويكون خرّجه في الكتاب قبل أن يظهر له بطلانه، ثمّ أخرجه من لاعتقاده عدم صحته، كما في هذه الحكاية التي صحّح الذهبي سندها، ولكنّه بقي في بعض النسخ، إمّا لانتشار النسخ بالكتاب، أو لإدخال بعض الطاعنين إيّاه فيه، فكلّ هذا جائز، والعلم عند الله تعالى.[٢]

ولهذا الحديث وأمثاله ممّا أخرجه الحاكم وصحّحه، فقد كسر المتعصّبون منبر الحاكم ومنعوه من الخروج من داره.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ١٦٨ ـ ١٦٩.

تفسير ابن ماجة

وأمّا تفسير ابن ماجة القزويني، فمن الرّجال الذين روى عنهم فيه:

عيسى بن قرطاس الكوفي: قال ابن حجر في (تقريب التهذيب):

عيسى بن قرطاس الكوفي، متروك، وقد كذَّبه الساجي، من السادسة.[١]

محمّد بن عبدالله الأنصاري: قال الذهبي:

قال العقيلي: منكر الحديث.

وقال ابن حبّان: منكر الحديث جدّاً.

وقال ابن طاهر: كذّاب، وله طامّات.[٢]

وقال ابن حجر: كذّبوه.[٣]

نوح بن درّاج: قال ابن حجر:

متروك، وقد كذّبه ابن معين.[٤]

وقال الذهبي:

---

(١) تقريب التهذيب ١ / ٧٧٤، رقم ٥٩٨٣.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٥٩٨، رقم ٧٧٦٤.

(٣) تقريب التهذيب ٢ / ٩٥، رقم ٦٠٣٨.

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ٢٥٤، رقم ٧٢٣١.

قال النسائي وغيره: ضعيف.

وقال أبوداود: كذّاب يضع الحديث.[1]

نوح بن أبي مريم

وغيرهم...

وأمّا كتابه السّنن، فقد كثر تكلّم العلماء في أحاديثه حتّى أنّ غير واحد منهم أخرجه من الصّحاح الستّة لكثرة الأحاديث الضّعيفة فيه.

(١) ميزان الإعتدال ٤ / ٢٧٦، رقم ٩١٣٣.

تفسير ابن مردويه

وأمّا تفسير ابن مردويه، فقد نصّ المولوي عبدالعزيز الدهلوي صاحب التحفة الإثنا عشريّة في رسالته في (أُصول الحديث) بأنّه من التفاسير المشهورة، إلاّ أنّه أورده في عداد كتب الطبقة الرابعة، مصرّحاً بأنّ أحاديث هذه الكتب ليست بقابلة للاعتماد للدلالة على عقيدة أو حكم.

كما أنّ ابن الجوزي قد حكم بالوضع على أحاديث كثيرة في هذا التفسير.

تفسير ابن المنذر

الذي جاء في (طبقات الشافعيّة) لابن قاضي شهبة بترجمته:

محمّد بن إبراهيم بن المنذر، أبوبكر النيسابوري، الفقيه، نزيل مكّة، أحد الأئمّة الأعلام، وممّن يقتدى بنقله في الحلال والحرام، صنّف كتباً معتبرة عند أئمّة الإسلام، منها ... التفسير وغير ذلك، وكان مجتهداً لا يقلّد أحداً.[1]

لكنْ في (ميزان الإعتدال) ما نصّه:

قال فيه مسلمة بن قاسم الأندلسي: كان لا يحسن الحديث. ونسب إلى العقيلي: إنّه كان يحمل عليه وينسبه إلى الكذب، وكان يروي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي، ولم ير الربيع ولا سمع منه، وذكر غير ذلك. توفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، ولا عبرة بقول مسلمة فيه، وأمّا العقيلي فكلامه من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض، مع أنّه لم يذكره في كتاب الضعفاء له.[2]

---

(١) طبقات الشافعية ١ / ٩٨، رقم ٤٤.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٤٥٠ ـ ٤٥١، رقم ٧١٢٣.

تفسير ابن أبي داود السجستاني

الذي ذكر الذّهبي مناقبه فقال:

قد كان أبوبكر من كبار الحفّاظ والأئمّة الأعلام، حتّى قال الخطيب: سمعت الحافظ أبامحمّد الخلاّل يقول: كان أبوبكر أحفظ من أبيه أبي داود.

وروى ابن شاهين عن أبي بكر أنّه كتب في شهر عن أبي سعيد الأشج ثلاثين ألفاً.

وقال أبوبكر النقّاش والعهدة عليه: سمعت أبابكر ابن أبي داود يقول: إنّ تفسيره فيه مائة ألف وعشرون ألف حديث.

قلت: ولد سنة ثلاثين ومائتين، ورحل به أبوه، فلقي الكبار وسمع عيسى ابن حمّاد صاحب الليث بن سعد وطبقته، وانفرد عن طائفة.

قال أبوبكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان: ذهب أبوبكر إلى سجستان فاجتمعوا عليه وسألوه أن يحدّثهم فقال: ليس معي كتاب. فقالوا: ابن أبي داود وكتاب؟ قال: فأثاروني فأمليت عليهم من حفظي ثلاثين ألف حديث، فلمّا قدمت بغداد قال البغداديّون: لعبت بأهل سجستان ثمّ فيّجوا فيجاً اكتروه بستة دنانير ليكتب لهم النسخة، فكتبت وجيء بها فعرضت على الحفّاظ فخطؤوني في ستّة أحاديث منها ثلاثة رويتها كما سمعت.

وقال الحافظ أبوعلي النيسابوري: سمعت ابن أبي داود يقول: حدّثت بأصبهان من حفظي بستّة وثلاثين ألف حديث، ألزموني الوهم في سبعة أحاديث، فلمّا رجعت وجدت في كتابي منها خمسة على ما حدّثتهم.[1]

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٤٣٥، رقم ٤٣٦٨.

لكنّ ابن أبي داود مجروح ومقدوح بقوادح عظيمة كالنصب والكذب، حتّى أنّهم نقلوا عن أبيه ـ أبي داود صاحب السنن ـ اتّهامه بالكذب ... وقد أورده الذهبي في (الميزان) فقال:

عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، أبوبكر، الحافظ الثقة، صاحب التصانيف، وثّقه الدارقطني فقال: ثقة إلاّ أنّه كان كثير الخطأ في الكلام على الحديث.

وذكره ابن عدي وقال: لولا ما شرطنا وإلاّ لما ذكرته ـ إلى أن قال: ـ وهو معروف بالطلب، وعامّة ما كتب مع أبيه وهو مقبول عند أصحاب الحديث. وأمّا كلام أبيه فيه فما أدري أيش تبيّن له منه.

حدثنا علي بن عبدالله الداهري، سمعت أحمد بن محمّد بن عمرو كركرة، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أباداود يقول: ابني عبدالله كذّاب.

قال ابن صاعد: كفانا ما قال أبوه فيه.

ثمّ قال ابن عدي: سمعت موسى بن القاسم الأشيب يقول: حدّثني أبوبكر، سمعت إبراهيم الأصبهاني يقول: أبوبكر ابن أبي داود كذّاب.

وسمعت أباالقاسم البغوي وقد كتب إليه أبوبكر ابن أبي داود رقعة يسأله عن لفظ حديث لجدّه، فلمّا قرأ رقعته قال: أنت ـ والله ـ عندي منسلخ من العلم.

وسمعت عبدان، سمعت أباداود السجستاني يقول: من البلاء أنّ عبدالله يطلب للقضاء.

وسمعت محمّد بن الضحّاك بن عمرو بن أبي عاصم يقول: أشهد على محمّد بن يحيى بن مندة بين يدي الله أنّه قال: أشهد على أبي بكر ابن أبي داود بين يدي الله تعالى أنّه قال: روى الزهري عن عروة قال: حفيت أظافير فلان، من كثرة ما كان يتسلّق على أزواج النّبي صلّى الله عليه وسلّم.

قلت: هذا لم يسنده أبوبكر إلى الزهري، فهو منقطع. ثمّ لا يسمع قول الأعداء بعضهم في بعض، ولقد كاد أن يضرب عنق عبدالله لكونه حكى هذا، فشدّ منه محمّد بن عبدالله بن حفص الهمداني وخلّصه من أمير أصبهان أبي ليلى، وكان انتدب له بعض العلويّة خصماً، ونسب إلى عبدالله المقالة، وأقام الشهادة عليه ابن مندة المذكور ومحمّد بن عبّاس الأخرم وأحمد بن علي الجارود، فأمر أبوليلى بقتله، فأتى الهمداني وجرح الشهود ... .[1]

وأيضاً في (الميزان):

قلت: كان ـ أي عبدالله بن سليمان ـ قوي النفس، وقع [فتنة] بينه وبين ابن صاعد وبين ابن جرير، نسأل الله العافية.

قال ابن شاهين: أراد الوزير علي بن عيسى أن يصلح بين أبي بكر ابن أبي داود وابن صاعد، فجمعهما وحضر القاضي أبوعمر، فقال الوزير لأبي بكر: أبومحمّد ابن صاعد أكبر منك فلو قمت إليه. فقال: لا أفعل. فقال له: أنت شيخ زيف. قال أبوبكر: الشيخ الزيف الكذّاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال الوزير: من الكذّاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قال أبوبكر: هذا، ثمّ قال: إنّي أذلّ لأجل رزق يصل إليّ على يدك، والله لاأخذت من يدك شيئاً أبداً، وعليَّ مائة بدنة إن أخذت منك شيئاً، فكان المقتدر بعد يزن رزقه بيده ويبعثه على يد خادم.

وقال محمّد بن عبدالله القطّان: كنت عند محمّد بن جرير فقال رجل: ابن أبي داود يقرأ على النّاس فضائل علي رضي الله عنه. فقال ابن جرير: تكبيرةٌ من حارس.

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤، رقم ٤٣٦٨.

قلت: وقد قام ابن أبي داود وأصحابه ـ وكانوا خلقاً كثيراً ـ على ابن جرير ونسبوه إلى بدعة اللّفظ، فصنّف الرجل معتقداً حسناً سمعناه، تنصّل فيه ممّا قيل عنه وتألّم لذلك.[1]

هذا، وقد ذمّه ابن الجوزي على روايته الخبر الطويل الموضوع في فضائل السّور وفرّقه عليها، مع علمه بوضعه وبطلانه! قال:

وإنّما عجبت من أبي بكر ابن أبي داود كيف فرّقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنّه حديث محال، ولكنْ شره جمهور المحدّثين، فإنّ من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل، وهذا قبيح منهم، لأنّه قد صحَّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: من حدّث عنّي حديثاً يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين.[2]

وقد أورد السيوطي كلام ابن الجوزي هذا مع إسقاط الجملة الأخيرة منه التي فيها ذمّ لجمهور المحدّثين ... .[3]

فكان ابن أبي داود مطعوناً عند ابن الجوزي والسيوطي أيضاً.

وحرمة رواية الحديث الموضوع ـ مع العلم بوضعه ـ ممّا استفاض فيه الحديث النبوي واتفق عليه العلماء.

---

(١) ميزان الإعتدال ٢ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥، رقم ٤٣٦٨.

(٢) كتاب الموضوعات ١ / ٢٤٠.

(٣) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٢٠٨.

تفسير أبي بكر النقّاش

وهو من مشاهير مفسّريهم، وقد اعتمد على تفسيره علماؤهم، حتّى أنّ صاحب (التحفة) رجّح روايته في نزول آية الولاية في المهاجرين والأنصار على رواية الثعلبي نزولها في أميرالمؤمنين عليه السّلام.[1]

وقال السيوطي في (اللآلي المصنوعة):

وأمّا النقّاش، فهو أحد العلماء بالقرآن، وأحد الأئمّة في التفسير، قال الذهبي: صار شيخ المقرئين في عصره، على ضعف فيه، أثنى عليه أبوعمرو الداني، وحدّث بمناكير.[2]

واعتمد السبكي على توثيق أبي عمرو الداني، قال:

محمّد بن الحسن بن محمّد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند، أبوبكر النقّاش، الموصلي ثمّ البغدادي، الإمام في القراءات والتفسير وكثير من العلوم ... وثّقه أبوعمرو الداني وقبله وزكّاه ... .[1]

لكنّ تكلّمهم فيه وفي تفسيره كثير:

قال السمعاني:

---

(١) التحفة الإثنا عشريّة: ١٩٨.

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٢٤٥.

وذكر طلحة بن محمّد بن جعفر النقّاشَ فقال: كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص.

وسُئل أبوبكر البرقاني عن النقّاش فقال: كلّ حديثه منكر.

وقال البرقاني وذكر تفسير النقّاش فقال: ليس فيه حديث صحيح.

وكان هبة الله الطبري اللالكائي يقول: تفسير النقّاش ذلك إشفاء الصدور وليس بشفاء الصدور.[٢]

وأورد الذهبي الكلمات المذكورة في (الميزان)[٣] وفيه أيضاً:

محمّد بن الحسن، روى عنه إسحاق بن محمّد السوسي أحاديث مختلفة في فضل معاوية، ولعلّه النقّاش صاحب التفسير، فإنّه كذّاب.[٤]

وكذا في (لسان الميزان)[٥] و(وفيات الأعيان).[٦]

---

(١) طبقات الشافعيّة الكبرى ٣ / ١٤٥ ـ ١٤٦، رقم ١٢٩.

(٢) الأنساب ٥ / ٥١٧ ـ ٥١٨، «النقّاش».

(٣) ميزان الإعتدال ٣ / ٥٢٠، رقم ٧٤٠٤.

(٤) المصدر ٣ / ٥١٦، رقم ٧٣٩٠.

(٥) لسان الميزان ٥ / ١٣٢، رقم ٤٤١.

(٦) وفيات الأعيان ٤ / ٢٩٨، رقم ٦٢٧.

طبقة المتأخّرين

* الزجّاج

* أبوحيّان

* الفخر الرازي

قال السيوطي بعد الطبقات الأربع:

ثمّ ألّف في التفسير خلائق، فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال بتراً، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثمّ صار كلّ من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثمّ ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانّاً أنّ له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير، حتّى رأيت من حكى في قوله تعالى: (**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالِّينَ**) نحو عشر أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وجميع الصّحابة والتابعين وأتباعهم، حتّى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسّرين.[1]

ثمّ قال: بعد الطبقات الخمس:

ثمّ صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كلٌّ منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه.

فالنحوي تراه ليس له همٌّ إلاّ الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافيّاته، كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر ... .

وصاحب العلوم العقليّة خصوصاً الإمام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتّى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية، وقال

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٥٠٠، رقم ٦٤١١.

أبوحيّان في البحر: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كلّ شيء إلاّ التفسير.

والمبتدع ليس له قصد إلاّ تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث أنّه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال، سارع إليه.[1]

أقول:

والآن، فلننظر في أحوال هذه الطبقة من المفسّرين:

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٥٠١، رقم ٦٤١٢.

الزجّاج

فأمّا الزجّاج، وتراجمه موجودة في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان، وتاريخ بغداد، والوافي بالوفيات، وبغية الوعاة[1] وغيرها ...

فقد ذكروا عنه قصّةً فيها الإعتراف بالخيانة والكذب طمعاً في حطام الدنيا، وذلك «أنّ القاسم بن عبيدالله، كان قد وعده أنّه إن صار وزيراً أن يعطي الزجاج عشرين ألف، فلمّا أصبح وزيراً قال للزجاج: «أجلس النّاس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار، واستجعل عليها ولا تمتنع من مسألتي في شيء إلى أن يحصل لك القدر» قال [الزجاج]: ففعلت ذلك. وكنت أعرض عليه كلّ يوم رقاعاً فيوقّع لي فيها، وربّما قال لي: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول: كذا وكذا، فيقول لي: غبنت، هذا يساوي كذا وكذا، إرجع فاستزد، فأُراجع القوم وأُماكسهم فيزيدونني، حتّى أبلغ الحدّ الذي رسمه، فحصلت على عشرين ألف دينار فأكثر في مديدة فقال لي بعد شهور: حصل مال [النذر]؟ فقلت: لا، وجعل يسألني في كلّ شهر هل حصل؟ فأقول: لا، خوفاً من انقطاع الكسب، إلى أنْ سألني يوماً فاستحييت من الكذب المتّصل فقلت: قد حصل ببركة الوزير.[2]

---

(١) وفيات الأعيان ١ / ٤٩، رقم ١٣، مرآة الجنان ٢ / ١٩٨، سنة ٣١١، تاريخ بغداد ٦ / ٨٩، رقم ٣١٢٦، الوافي بالوفيات ٥ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ١ / ٤١١، رقم ٨٢٥.

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ١ / ٤١١ ـ ٤١٢، رقم ٨٢٥، الوافي بالوفيات ٥ / ٢٢٩، تاريخ بغداد ٦ / ٨٨ ـ ٨٩ بتفاوت يسير.

أبوحيّان الأندلسي

وأمّا أثير الدين أبوحيّان الأندلسي، فترجمته في طبقات السبكي والوافي بالوفيات وبغية الوعاة والدرر الكامنة وفوات الوفيات وغيرها.[١]

لكنّ أباحيّان كان يتكلّم في ابن تيميّة ويتهجّم عليه ويرميه بكلّ سوء[٢] وهذا من نقائصه، وهو يوجب الحطّ له من المحبّين لابن تيميّة ...

وأبوحيّان ـ كما في (بغية الوعاة) ـ: «كان يفتخر بالبخل، كما يفتخر الناس بالكرم»[٣] وهذه رذيلة عظيمة لا يخفى قبحها على أحد!!

ومن معايبه ما ذكره الصفدي في (الوافي) قال:

كان الشيخ تقي الدين قد نزل عن تدريس مدرسة لولده ـ نسيت أنا المدرسة واسم ابنه ـ فلمّا حضر الشيخ أثيرالدين درس قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز، قرأ آية تفسيرها درس ذلك اليوم وهي قوله تعالى: (**قَدْ خَسِرَ الَّذينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ**)، فبرز أبوحيّان من الحلقة وقال: يا مولانا قاضي القضاة قدّموا أولادهم، قدّموا أولادهم، يكرّر ذلك. فقال قاضي القضاة: ما معنى هذا؟ قال ابن دقيق

---

(١) طبقات السبكي ٩ / ٢٧٦، رقم ١٣٣٦، الوافي بالوفيات ٥ / ١٧٥، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ١ / ٢٨، رقم ٥١٦، الدرر الكامنة ٢ / ١٢١ ـ ١٢٤، فوات الوفيات ٢ / ٤٦٢، رقم ٥٠٦.

(٢) الدرر الكامنة ٢ / ١٢٣.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ١ / ٢٨٢، رقم ٥١٦. أُنظر: الدرر الكامنة ٢ / ١٢٤.

العيد: نزل لولده فلان عن تدريس المدرسة الفلانية، فنقل المجلس إلى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد فقال: أمّا أبوحيّان ففيه دعابة أهل الأندلس ومجونهم، وأمّا أنت يا قاضي القضاة، فيبدّل القرآن في حضرتك وما تنكر هذا الأمر.

فما كان عن قليل حتّى عزل ابن بنت الأعز من القضاء ابن دقيق العيد، وكان إذا خلا شيء من الوظائف التي تليق بالشيخ أثيرالدين أبي حيان يقول الناس: هذه لأبي حيان يخرجها الشيخ تقي الدين لغيره.

فهذا هو السبب الموجب لحطّ أبي حيّان وشناعته عليه ... .[1]

(١) الوافي بالوفيات ٤ / ١٣٩.

الفخر الرازي

وأمّا الفخر الرازي، فإنّه وإنْ لُقب بالإمام واشتهر تفسيره الكبير بين الخاصّ والعام، إلاّ أنّ فيه وفي تفسيره أنواعاً من الكلام:

الكذب

فقد أنكر ـ في مقام تكذيب حديث الغدير ـ حضور أميرالمؤمنين علي عليه السّلام حجّة الوداع فقال:

إن الشيعة يزعمون أنه عليه السّلام إنما قال هذا الكلام بغدير خم في منصرفه من الحج، ولم يكن علي مع النبي صلّى الله عليه وآله في ذلك الوقت; فإنه كان باليمن.[١]

إنّه لم يكن جاهلا بحضور الإمام مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، لأن ذلك من ضروريّات التاريخ الإسلامي، ولكن التعصّب قد يلجئ الإنسان إلى الكذب ...

ولذا، فقد ردّ عليه غير واحد من العلماء:

قال ابن حجر المكي:

ولا التفات لمن قدح في صحّته، ولا لمن ردّه بأنّ عليّاً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي صلّى الله عليه وآله.[٢]

وقال القاري:

وأبعد من ردّه بأنّ عليّاً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي صلّى الله عليه وآله.[٣]

نعم، قد روى ذلك أصحاب الصّحاح عند القوم، وهم البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ...

ولم يكن يخفى ذلك على الرازي، ولكنّه التعصّب المذموم الأعمى.

التعصّب

وفي تفسيره أباطيل وأضاليل كثيرة جدّاً، نتعرّض هنا لبعضها:

كقوله في آية النجوى، وهي قوله تعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ... * ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقات ...**)

هذه الآية المباركة التي تعدّ من جلائل مناقب الإمام علي عليه السّلام وفيها الذم الواضح لغيره من الصّحابة، حيث أنه تصدّق ولم يفعلوا، فإنه قال:

أقول: على تقدير أن أفاضل الصّحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك، فهذا لم يجر إليهم طعناً، وذلك الإقدام على هذا العمل ممّا يضّيق قلب الفقير، فإنه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه ويوحش قلب الغنيّ، فإنّه لمّا لم يفعل الغنيّ ذلك وفعله غيره، صار ذلك الفعل سبباً للطعن في من لم يفعل، فهذا الفعل لمّا كان سبباً لحزن الفقراء وحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبير مضرّة; لأنّ الذي يكون سبباً للأُلفة أولى ممّا يكون سبباً للوحشة.

---

(١) نهاية العقول ٤ / ٤٨٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ٤٢.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩ / ٣٩٤٤.

وأيضاً: فهذه المناجاة ليست من الواجبات، ولا من الطاعات المندوبة، بل قد بيّنّا أنّهم إنّما كلّفوا بهذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة، ولمّا كان الأولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة، لم يكن تركها سبباً للطعن ... .

وأمّا قوله: (**وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ**)، فليس في الآية أنّه تاب عليكم من هذا التقصير، بل يحتمل أنّكم إذا كنتم تائبين راجعين إلى الله وأقمتم الصّلاة وآتيتم الزكاة، فقد كفاكم هذا التكليف.[1]

ولا يخفى ما فيه:

فإنّ قوله: «على تقدير أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك ... فإنّ هذا الفعل لمّا كان سبباً ...» ردّ على الله في أمره بالتصدّق ...

وقوله: «ولمّا كان الاولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سبباً للطعن» طعن في أميرالمؤمنين في سبيل رفع الطّعن على الصّحابة!!

وقوله: «وأمّا قوله: «وتاب الله عليكم» فليس في الآية أنه تاب عليكم في هذا التقصير بل يحتمل ...» فتفسير لكلام الله بالرأي، وحكم من فسّر القرآن برأيه معلوم.

وكلّ هذا السّعي للتقليل من شأن هذه الفضيلة ولدفع الطعن على الشيخين غيرهما من الصّحابة ...!!

ولقد بلغ كلام الرّازي هذا من الشفاعة حدّاً جعل نظام الدين النيسابوري يعترض عليه ويقول:

قلت: هذا الكلام لايخلو عن تعصّب مّا، ومن أين يلزمنا أنْ نثبت مفضوليّة علي رضي الله عنه في كلّ خصلة؟ ولم لايجوز أنْ يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصّحابة؟ فقد روي عن

---

(١) تفسير الرازي ٢٩ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

ابن عمر: كان لعليّ رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة رضي الله عنها، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وهل يقول منصف أن مناجاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نقيصة؟ على أنه يرد في الآية نهي عن المناجاة، وإنّما ورد تقديم الصّدقة على المناجاة، فمن عمل بالآية حصل له الفضيلة من جهتين: سدّ خلّة بعض الفقراء، ومن هجة محبّة نجوى الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ففيها القرب منه وحلّ المسائل العويصة وإظهار أنّ نجواه أحبّ إلى المناجي من المال.[1]

وكقوله بتفسير الآية: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّة عَلَى الْكافِرينَ يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِم**)[2]

هذه الآية التي قال الشريف المرتضى:

وقد ادّعى قوم من أهل الغباوة والعناد أنّ قوله تعالى: (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ**) المراد به أبوبكر، من حيث أنه قاتل أهل الردّة. ولسنا نعرف قولا أبعد من الصّواب من هذا القول، حتّى أنه ليكاد أن يعلم بطلانه ضرورة، لأن الله تعالى إذا كان قد وصف من أراده بالآية بالعزة على الكافرين، وبالجهاد في سبيله مع اطراح خوف اللوم كيف يجوز أن يظن عاقل توجه الآية إلى من لم يكن له حظ من ذلك الوصف لأن المعلوم أن أبابكر لم يكن له نكاية في المشركين، ولا قتيل في الإسلام ولا وقف في شيء من حروب النبي صلّى الله عليه وآله موقف أهل البأس والعناء، بل كان الفرار سنته، والهرب ديدنه، وقد انهزم عن النبي صلّى الله عليه وآله في جملة المنهزمين في مقام بعد مقام!

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ / ٢٧٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

وكيف يوصف بالجهاد في سبيل الله على الوجه المذكور في الآية من لا جهاد له جملة، وهل العدول بالآية عن أمير المؤمنين عليه السّلام مع العلم الحاصل لكل أحد بموافقة أوصافه بها، إلى أبي بكر إلا عصبية ظاهرة وانحراف شديد!

وقد روي نزولها في قتال أمير المؤمنين عليه السّلام أهل البصرة عنه عليه السّلام نفسه، وعن عبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، وإذا عضد ما ذكرناه من مقتضى الآية الرواية زالت الشبهة، وقويت الحجة.[1]

فتبع الرازي من وضعهم السيد بأهل الغباوة والعناد، وادّعى أن المراد بالآية هو أبوبكر، ثمّ قال في مقام الردّ على قول الإماميّة:

أما قول الروافض لعنهم الله: إن هذه الآية في حق علي رضي الله عنه بدليل أنه صلّى الله عليه وسلّم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وكان ذلك هو علي عليه السّلام، فنقول: هذا الخبر من باب الآحاد، وعندهم لا يجوز التمسك به في العمل، فكيف يجوز التمسك به في العلم!

وأيضاً: إن إثبات هذه الصّفة لعلي لا يوجب انتفاءها عن أبي بكر، وبتقدير أن يدلّ على ذلك لكنه لا يدلّ على انتفاء ذلك المجموع عن أبي بكر، ومن جملة تلك الصفات كونه كراراً غير فرار، فلما انتفى ذلك عن أبي بكر لم يحصل مجموع تلك الصفات له، فكفى هذا في العمل بدليل الخطاب، فأما انتفاء جميع تلك الصفات فلا دلالة في اللّفظ عليه، فهو تعالى إنما أثبت هذه الصفة المذكورة في هذه الآية حال اشتغاله بمحاربة المرتدين بعد ذلك، فهب أن تلك الصفة ما كانت حاصلة في ذلك الوقت، فلم يمنع ذلك من حصولها في الزمان المستقبل!

---

(١) الشافي في الإمامة ٢ / ٢٤٧.

ولأن ما ذكرناه تمسّك بظاهر القرآن، وما ذكروه تمسك بالخبر المذكور المنقول بالآحاد، ولأنه معارض بالأحاديث الدالة على كون أبي بكر محبّاً لله ولرسوله. وكون الله محباً له وراضياً عنه. قال تعالى في حق أبي بكر: (**وَلَسَوْفَ يَرْضى**)[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: إن الله يتجلّى للناس عامّة ويتجلّى لأبي بكر خاصّة. وقال: ما صبّ الله شيئاً في صدري إلاّ وصبّه في صدر أبي بكر! وكلّ ذلك يدلّ على أنه كان يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.[2]

وهذا كلام رجل شديد التعصّب، أمّا في صدره، فادّعى أنّ حديث: لاعُطيّن الراية غداً رجلا ... من باب الآحاد، وأنه عند الإماميّة لا يجوز التمسّك به في العمل فكيف يجوز التمسك به في العلم؟

وهذا باطل من وجوه:

الأول: إنْ هذا الحديث من الأحاديث القطعية الّتي لا شك في صدورها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، خاصّةً عند أهل السنّة القائلين بقطعيّة صدور ما أخرج في كتابي البخاري ومسلم، فإنّ هذا الحديث مما اتّفق عليه الشيخان، وقد ذهب ابن الصّلاح وأبويعلي الحنبلي وابن تيميّة وابن حجر وابن كثير وغيرهم، بل نسب إلى أهل الحديث قاطبةً وإلى أكثر أهل الكلام إلى قطعيّة ما أخرجه الشيخان، قال الحافظ السيوطي بشرح التقريب مازجاً به:

وإذا قالوا: صحيح متفق عليه، أو على صحته، فمرادهم إتفاق الشيخين لا إتفاق الأُمّة. قال ابن الصّلاح: لكنْ يلزم من إتفاقهما إتفاق الأُمة عليه، لتلقّيهم له بالقبول. وذكر الشيخ ـ يعني

---

(١) سورة الليل: الآية ٢١.

(٢) تفسير الرازي ١٢ / ٢٣.

ابن الصلاح ـ: (إنّ ما رواياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحّته، والعلم القطعي حاصل فيه) قال: خلافاً لمن نفى ذلك ...

قال البلقيني: ما قاله النووي وابن عبدالسلام ومن تبعهما ممنوع، فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصّلاح عن جماعة من الشافعية، كأبي إسحاق وأبي حامد الإسفراييني، والقاضي أبي الطيّب، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وعن السرخسي ومن الحنفية، والقاضي عبدالوهاب من المالكية، وأبي يعلى، وأبي الخطّاب، وابن الزاغوني من الحنابلة، وابن فورك، وأكثر أهل الكلام من الأشعريّة، وأهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة. بل بالغ ابن طاهر المقدسي في صفة التصوف فألحق به ما كان على شرطهما وإنْ لم يخرجاه وقال شيخ الإسلام: ما ذكره النووي في شرح مسلّم من جهة الأكثرين، أمّا المحقّقون فلا، فقد وافق ابن الصلاح أيضاً محققون ...

وقال ابن كثير: وأنا مع ابن الصّلاح فيما عوّل عليه وأرشد إليه.

قلت: وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه».[1]

وقال ملا علي القاري في (شرح نخبة الفكر):

وانتصر لابن الصّلاح: المصنّف، ومن قبله شيخه البلقيني تبعاً لابن تيمية.

وقال الزين العراقي في (شرح الألفية):

حكم الصحيحين الماضي ذكرهما فيما أسند فيهما وغيره والتعليق:

وأقطع بصحة لما قد أسندا *** كذا له وقيل ظناً ولَدى

محقّقيهم قد عزاة النووي *** وفي الصحيح بعض شيء قد روي

مضعَّفا ذالهما بلا سند *** أشياء فإ يجزم فصحح أو ورد

---

(١) تدريب الراوي ١ / ١٤٣.

ممرّضاً فلا ولكن يشعر *** بصحّة الأصل له كيُذكر

ش: واقطع بصحة لما قد أسند أي أن الذي أورده البخاري ومسلم مجتمعين ومنفردين بإسناديهما المتصل دون ما سيأتي إستثناؤه من المنتقد والتعاليق وشبههما مقطوع بصحته لتلقى الأُمّة المعصومة في إجماعها عن الخطأ كما وصفه صلّى الله عليه وسلّم بقوله: لا تجتمع أُمّتي على ضلالة; أي ما أسنده البخاري ومسلم، يريد ما رواياه بإسنادهما المتّصل فهو مقطوع بصحته. كذا قال ابن الصلاح، قال: والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافاً لقول من نفى، ... وقد سبقه إلى نحو ذلك: محمد بن طاهر المقدسي، وأبونصر عبدالرحيم بن عبدالخالق ابن يوسف.

قال النووي: وخالف ابن الصلاح المحققون والأكثرون فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر.[1]

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوي في (تحقيق البشارة إلى تعميم الإشارة):

«ثم المتواتر يفيد العلم اليقيني ضرورياً. وقد يفيد خبر الواحد أيضاً العلم اليقيني لكن نظرياً بالقرائن، على ما هو المختار. قال الشيخ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في شرح نخبة الفكر: والخبر المحتف بالقرائن أنواع، منها: المشهور إذا كانت له طرق متبائنة سالمةً من ضعف الرواة والعلل. ومنها: ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما ما لم يبلغ حدّ التواتر، فإنه احتفّ بقرائن، منها جلالتهما في هذا الشأن وتقدّمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول ...».

وثانياً: إنّ هذا الحديث من الأحاديث القطعية عند الإمامية.

وثالثاً: إنّ للامامية التمسّك بالأخبار الآحاد في مقام إلزام أهل السنّة، لأنهم يجوزون الأخذ بها في المسائل الاعتقادية.

---

(١) فتح المغيث في شرح ألفية الحديث ١ / ٥٨.

ورابعاً: إنْ المشهور عند الإماميّة جواز التمسّك بخبر الواحد في العمل.

وأمّا في ذيل كلامه، فقد قال: قال تعالى في حق أبي بكر: (**وَلَسَوْفَ يَرْضى**).

واستدلّ بحديثين.

فأمّا نزول الآية في حقّ أبي بكر، فدعوى لا دليل على إثباتها مطلقاً.

وأمّا الحديثان، فهما حديثان موضوعان باعتراف كبار علماء القوم:

وكقوله في آية الولاية وهي قوله تعالى: (**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ**):[1]

قال فخر الرازي في تفسيره:

«روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب. روي أن عبدالله بن سلاّم قال: لمّا نزلت هذه الآية قلت: يا رسول أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع ... .

الأول: إن كلّ من أثبت بهذه الآية إمامة شخص قال إن ذلك الشخص هو علي، وقد ثبت بما قدمنا دلالة هذه الآية على إمامة شخص، فوجب أن يكون ذلك الشخص هو علي، ضرورة أنه لا قائل بالفرق.

والثاني: تظاهرت الروايات على أن هذه الآية نزلت في حق علي، ولا يمكن المصير إلى قول من يقول إنها نزلت في أبي بكر لأنها لو نزلت في حقه لدلت على إمامته، وأجمعت الأُمة على أن هذه الآية لا تدل على إمامته، فبطل هذا القول.

والثالث: أن قوله: (**وَهُمْ راكِعُونَ**)، لا يجوز جعله عطفاً على ما تقدم، لأن الصّلاة قد تقدمت، والصّلاة مشتملة على الركوع، فكانت إعادة ذكر الركوع تكراراً، فوجب جعله حالا، أي يؤتون الزكاة حال

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

كونهم راكعين، وأجمعوا على أن إيتاء الزكاة حال الركوع لم يكن إلا في حق علي، فكانت الآية مخصوصة به ودالة على إمامته من الوجه الذي قررناه، وهذا حاصل استدلال القوم بهذه الآية على إمامة علي ...

بَيَّنَّا بالبرهان البيّن أن الآية المتقدمة وهي قوله: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ ...**) الخ. من أقوى الدلائل على صحة إمامة أبي بكر، فلو دلت هذه الآية على صحة إمامة علي بعد الرسول، لُزم التناقض بين الآيتين وذلك باطل، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أن عليّاً هو الإمام بعد الرسول ... إن علي بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض، فلو كانت هذه الآية دالّة عى إمامته لا حتجّ بها في محفل من المحافل، وليس للقوم أن يقولوا: إنه تركه للتقية لأنهم ينقلون عنه أنه تمسّك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع فضائله ومناقبه، ولم يتمسك البتة بهذه الآية في إثبات إمامته، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله ...

هب أنها دالّة على إمامة علي، لكنا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلّت على حصول الإمامة في الحال: لأن عليّاً ما كان نافذ التصرف في الأُمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن علياً سيصير إماماً بعد ذلك، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت.

فإن قالوا: الأُمّة في هذه الآية على قولين: منهم من قال: إنها لا تدلّ على إمامة علي، ومنهم من قال: إنها تدلّ على إمامته، وكلّ من قال بذلك قال: إنها تدل على إمامته بعد الرسول من غير فصل، فالقول بدلالة الآية على إمامة علي لا على هذا الوجه قول ثالث، وهو باطل.

لأنا نجيب عنه فنقول: ومن الذي أخبركم أنه ما كان أحد في الأُمّة قال هذا القول، فإن من المحتمل، بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآية على إمامة علي، فإن السائل يورد على ذلك الإستدلال هذا السؤال.[1]

وهذا كلام متعصّب بغيض، وذلك:

لأنّ ما ذكره في الجواب عن الاستدلال بالآية بقوله: بيّنا بالبرهان البيّن ... باطلٌ، كما تقدّم. ولو سلّمنا، فإنّ دلالة تلك الآية على إمامة أبي بكر ظنيّة ودلالة آية الولاية قطعيّة، فكين يلزم التناقض؟

وأيضاً، فقوله: هب أنها دالّة على إمامة علي ...

باطل، لأن حمل الآية على أنه سيصير إماماً، أي بعد الثلاثة، باطل لوجهين:

أحدهما: أنه لا موجب لهذا الحمل أصلا، وعدم كونه نافذ التصرّف حال حياة الرسول لا يدلّ على عدم ولايته وإمامته.

والثاني: إنه يتوقّف على حقيّة إمامة الثلاثة قبله بالأدلّة الشرعيّة. وهذا ما لا يمكن إثباته أبداً.

التلبيس

واعترف الرازي بكونه من أهل التلبيس، فقد جاء في أحواله أنه وعظ مرةً عند السلطان شهاب الدين، فقال: يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى، وأن مردّنا إلى الله، فأبكى السّلطان.[2]

وما أكثر تلبياته في تفسيره وغيره من كتبه ... !

التحريفُ والخيانة في النقل

---

(١) تفسير الرازي ١٢ / ٢٦ ـ ٢٩.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٣ / ٢١٩.

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: (**وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْض في كِتابِ اللهِ**):

تمسك محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في كتابه إلى أبي جعفر المنصور بهذه الآية في أن الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو علي بن أبي طالب، فقال: قوله تعالى: (**وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْض**) يدلّ على ثبوت الولاية، وليس في الآية شيء معين في ثبوت هذه الأولوية، فوجب حمله على الكلّ إلاّ ما خصّه الدليل، وحينئذ يندرج فيه الإمامة، ولا يجوز أن يقال: إن أبابكر كان من أولي الأرحام لما نقل أنه عليه السلام أعطاه سورة براءة ليبلغها إلى القوم، ثمّ بعث علياً خلفه وأمر بأن يكون المبلغ هو علي وقال: لا يؤديها إلا رجل مني، وذلك يدل على أن أبابكر ما كان منه فهذا هو وجه الإستدلال بهذه الآية.

والجواب: إن صحّت هذه الدلالة كان العباس أولى بالإمامة، لأنه كان أقرب إلى رسول الله من علي. وبهذا الوجه أجاب أبوجعفر المنصور عنه».[1]

أقول:

حرَّف الرازي ما نقله عن محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى! فرسالته الى المنصور مشهورة في مصادر التاريخ! ومما جاء في رواية الطبري:

فإن الحق حقنا، وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا، وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته ووُلده أحياء! ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا.

---

(١) تفسير الرازي ١٥ / ٢١٤.

لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء! وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القرابة والسابقة والفضل.[1]

وهو استدلال بالنص والوصية، وهل يخفى ذلك على الرازي؟!

وفي تفسير قوله تعالى: زوَّر الرازي عزل النبي صلّى الله عليه وآله لأبي بكر من إبلاغ سورة براءة، فجعله منقبة لأبي بكر وانتقاصاً من علي عليه السّلام!

قال:

وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبابكر سنة تسع أن يكون على الموسم، فلما نزلت هذه السّورة أمر علياً أن يذهب إلى أهل الموسم ليقرأها عليهم، فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدّي عني إلاّ رجل منّي، فلما دنا علي سمع أبوبكر الرغاء، فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله صلّى الله عليه سلّم فلما لحقه قال: أمير أو مأمور؟ قال: مأمور، ثمّ ساروا.[2]

ثمّ قال:

واختلفوا في السّبب الذي لأجله أمر عليّاً بقراءة هذه السّورة عليهم، وتبليغ هذه الرسالة إليهم، فقالوا السّبب فيه أن عادة العرب أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه، إلاّ رجل من الأرقاب فلو تولاّه أبوبكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا من نقض العهود، فربما لم يقبلوا فأزيحت علتهم بتولية ذلك علياً رضي الله عنه.

وقيل لما خصّ أبابكر بتوليته أمير الموسم، خصّ علياً بهذا التبليغ تطييباً للقلوب ورعاية للجوانب! وقيل قرر أبابكر علي الموسم وبعث علياً خلفه لتبليغ هذه الرسالة، حتّى يصلّي على خلف

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٦، سنة ١٤٥.

(٢) تفسير الرازي ١٥ / ٢١٨.

أبي بكر ويكون ذلك جارياً مجرى التنبيه على إمامة أبي بكر والله أعلم! وقرر الجاحظ هذا المعنى فقال: إن النبي صلّى الله عليه وسلّم بعث أبابكر أميراً على الحاج وولاه الموسم وبعث علياً يقرأ على الناس آيات من سورة براءة، فكان أبوبكر الإمام وعلي المؤتم، وكان أبوبكر الخطيب وعلي المستمع، وكان أبوبكر الرافع بالموسم والسابق لهم والأمر لهم، ولم يكن ذلك لعلي!

وأمّا قوله صلّى الله عليه وآله: لا يبلّغ عني إلاّ رجل مني، فهذا لا يدلّ على تفضيل علي على أبي بكر، ولكنه عامل العرب بما يتعارفونه فيما بينهم، وكان السيّد الكبير منهم إذا عقد لقوم حلفاً أو عاهد عهداً لم يحل ذلك العهد والعقد إلاّ هو أو رجل من أقاربه القريبين منه كأخ أو عم، فلهذا المعنى قال النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك القول.[1]

أقول: لا حظ قوله:

وأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أبابكر سنة تسع أن يكون على الموسم فلمّا نزلت هذه السّورة أمر عليّاً أن يذهب إلى أهل الموسم ليقرأها عليهم![2]

فقد ارتكب الرازي ثلاث تزويرات!

أوّلها: أوهم أن نزول السّورة كان بعد حركة أبي بكر!

وثانيها: أخفى نزول جبرئيل وأمره للنبي صلّى الله عليه وآله أن يسحبها من أبي بكر ويعطيها علياً عليه السّلام!

وثالثها: أخفى رجوع أبي بكر إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسؤاله: هل نزل فيَّ شيء؟! وقد رواه أحمد، وفيه:

---

(١) تفسير الرازي ١٥ / ٢١٩.

(٢) المصدر ١٥ / ٢١٨.

ورجع أبوبكر إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجل منك.[١]

وقد رأى الرازي ذلك، لكن مرض التعصب المذموم، دفعه الى التزوير!

كلمات العلماء فيه

ذكره السّيوطي وتكلّم عليه، ونقل بعض الكلام فيه، في (الإتقان).

أمّا الذهبي، فقد قال في (الميزان):

الفخر ابن الخطيب، صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليّات، لكنّه عريّ من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة. نسأل الله أن يثبّت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النجوم، سحر صريح، فلعلّه تاب من تأليفه إنْ شاء الله.[٢]

وابن تيميّة ذكر الرازي في عداد الجبريّة، وهذه عبارته:

ثمّ المثبتون للصّفات، منهم: من يثبت الصّفات المعلومة بالسمع كما يثبت الصفات المعلومة بالعقل، وهذا قول أهل السنّة الخاصّة: أهل الحديث ومن وافقهم، وهو قول أئمّة الفقهاء وقول أئمّة الكلام من أهل الإثبات، كأبي محمّد بن كلاب وأبي العبّاس القلانسي وأبي الحسن الأشعري وأبي عبدالله ابن مجاهد وأبي الحسن الطبري والقاضي أبي بكر الباقلاني، ولم يختلف في ذلك قول الأشعري وقدماء أئمة أصحابه. لكن المتأخرون من أتباعه كأبي المعالي وغيره لا يثبتون إلاّ الصّفات العقليّة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٥١.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٣٤٠، رقم ٦٦٨٦.

وأمّا الخبريّة، فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقّف فيها، كالرازي والآمدي وغيرهما، ونفاة الصفات الخبريّة، منهم من يتأوّل نصوصها ومنهم من يفوّض معناها إلى الله».[1]

وجاء ابن حجر في (لسان الميزان) وفصّل الكلام حول الرازي بعد كلام الذهبي، وهذه عبارته:

الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليّات لكنّه عريّ من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة، نسأل الله أن يثبّت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النجوم، سحر صريح، فلعلّه تاب من تأليفه إن شاء الله، إنتهى. وقد عاب التاج السبكي على

المصنّف ذكره هذا الرجل في هذا الكتاب وقال: إنّه ليس من الرواة، وقد تبرّء المصنّف من الهوى والعصبيّة في هذا الكتاب فكيف ذكر هذا وأمثاله ممّن لا رواية لهم كالسيف الآمدي، ثمّ اعتذر عنه بأنّه يرى أنّ القدح في هؤلاء من الديانة، وهذا بعينه التعصّب في المعتقد، والفخر كان من أئمّة الأُصول، وكتبه في الأصلين شهيرة سائرة، وله ما يقبل وما يرد، وقد ترجم له جماعة من الكبار بما ملخّصه: ان مولده سنة ٥٤٣ في رمضان واشتغل على والده، وكان من تلامذة البغوي، ثمّ اشتغل على الكمال السمناني، وتمهّر في عدّة علوم، وعقد مجلس الوعظ، وكان إذا وعظ يحصل له وجد زائد، ثمّ أقبل على التصنيف، فصنّف: التفسير الكبير، والمحصول في أُصول الفقه، والمعالم، والمطالب العالية والأربعين، والخمسين، والملخّص، والمباحث المشرقيّة، وطريقة في الخلاف، ومناقب الشافعي.

وكان في أوّل أمره فقيراً، ثمّ اتفق أنّه صاهر تاجراً متموّلاً وله ولدان فزوّجهما ابنتيه، ومات التاجر، فتقلّب الفخر في ذلك المال وصار من رؤساء ذلك الزّمان، يقوم على رأسه خمسون مملوكاً بمناطق الذهب وحُلَل الوشي; قاله ابن الرسب في تاريخه ... قال: وكانت له أوراد من صلاة وصيام

---

(١) منهاج السنّة ٢ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

لا يخلّ بها، وكان مع تبحّره في الأُصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز، وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصّر في حلّها ... .

وقد ذكره ابن دحية بمدح وذمّ، وذكره أبوشامة فحكى عنه أشياء رديّة، وكانت وفاته بهراة، يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة.

ورأيت في الإكسير في علم التفسير للنجم الطوفي ما ملخّصه: ما رأيت في التفاسير، أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي، ومن تفسير الإمام فخر الدين، إلاّ أنّه كثير العيوب، فحدّثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمياحي المغربي أنّه صنّف كتاب المآخذ في مجلّدين، بيّن فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج، وكان ينقم عليه كثير أو يقول: يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ... قال الطوفي: ولعمري إنّ هذا دأبه في كتبه الكلاميّة والحكميّة حتّى اتّهمه بعض النّاس، ولكنّه خلاف ظاهر حاله، لأنّه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ما كان عنده من يخاف منه حتّى يستر عنه، ولعلّ سببه أنّه كان يستفرغ أقوالاً في تقرير دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى، ولا شكّ أنّ القوى النفسانيّة تابعة للقوى البدنيّة، وقد صرّح في مقدّمة نهاية العقول أنّه مقرّر مذهب خصمه تقرير الوارد خصمه أن تقريره لم يقدر على الزيادة على ذلك.

وذكر ابن خليل السكوني في كتابه الرد على الكشّاف: أنّ ابن الخطيب قال في كتبه في الأُصول: أنّ مذهب الجبر هو المذهب الصحيح، وقال بصحّة الأعراض ويبقى صفات الله الحقيقيّة، وزعم أنّها مجرّد نسب وإضافات كقول الفلاسفة، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنّه نصر كلامه، فهجره أهل مصر وهمّوا به فاستتر، ونقلوا عنه أنّه قال عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم، ومنها ما قاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين،

والمتكلّم يستدلّ على القدم بوجوب تأخّر الفعل ولزوم أوليّته، والفيلسوف يستدلّ على قدمه باستحالة تعطّل الفاعل عن أفعاله.

وقال في شرح الأسماء الحسنى: أنّ من أَخَّرَ عقاب الجاني مع علمه بأنّه سيعاقبه فهو الحقود. وقد تعقّب بأنّ الحقود من أخّر مع العجز، أمّا مع القدرة فهو الحليم، والحقود إنّما يعقل في حقّ المخلوق دون الخالق بالإجماع.

ثمّ أسند عن ابن الطبّاخ: أنّ الفخر كان شيعيّاً، يقدّم محبّة أهل البيت كمحبّة الشيعة، حتّى قال في بعض تصانيفه: وكان علي شجاعاً بخلاف غيره، وعاب عليه تسميته لتفسيره مفاتيح الغيب ولمختصره في المنطق الآيات البيّنات، وتقريره لتلامذته في وصفه: بأنّه الإمام المجتبى، استاذ الدنيا، أفضل العالم، فخر ابن آدم، حجّة الله على الخلق، صدر صدور العرب والعجم. هذا آخر كلامه. إنتهى.[1]

وقال الشيخ عبدالوهّاب الشعراني في (إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء الكاملين):

وقد طلب الشيخ فخرالدين الرازي الطريق إلى الله تعالى، فقال له الشيخ نجم الدين الكبرى: لا تطيق مفارقة صنمك الذي هو علمك، فقال: يا سيّدي، لابدّ إن شاء الله تعالى، فأدخله الشيخ الخلوة وسلبه جميع ما معه من العلم، فصاح في الخلوة بأعلى صوته: لا أُطيق. فأخرجه وقال: أعجبني صدقك وعدم نفاقك.[2]

وقال ابن كثير:

---

(١) لسان الميزان ٥ / ٤٢٦ ـ ٤٢٩، رقم ١٣١١.

(٢) إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء الكاملين: ٩٣ ـ ٩٤.

الفخر الرازي المتكلّم صاحب التفسير والتصانيف، يعرف بابن خطيب الري، واسمه محمد بن عمر بن الحسين بن على القرشى التيمى البكري، أبوالمعالى وأبوعبدالله المعروف بالفخر الرازي، ويقال له ابن خطيب الري، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتى مصنف، منها التفسير الحافل والمطالب العالية، والمباحث الشرقية، والأربعين، وله أصول الفقه والمحصول وغيره، وصنف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد، وفيه غرائب لا يوافق عليها، وينسب إليه أشياء عجيبة، وقد ترجمته في طبقات الشافعية، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم، وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى، وملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار، وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس، وكان له خمسون مملوكاً من الترك وكان يحضر في مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة، وكانت له عبادات وأوراد، وقد وقع بينه وبين الكرامية في أوقات وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغون في الحط عليه، ويبالغ هو أيضاً في ذمهم. وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم، وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنّه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه.

وقال الشيخ شهاب الدين أبوشامة في الذيل في ترجمته: كان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سباً وتكفيراً بالكبائر، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه سما فمات ففرحوا بموته، وكانوا يرمونه بالمعاصى مع المماليك وغيرهم، قال: وكانت وفاته في ذى الحجة، ولا كلام في فضله ولا فيما كان يتعاطاه، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً، وليس ذلك من صفة العلماء، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه، وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله: قال محمد البادى، يعنى العربي يريد به النبي صلّى الله عليه وسلّم، نسبة إلى البادية. وقال محمد الرازي

يعنى نفسه، ومنها أنّه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة وغير ذلك، قال وبلغنى أنّه خلف من الذهب العين مائتي ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والعقار والآلات، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان محمد بن تكش.[1]

(١) البداية والنهاية ١٣ / ٦٦ ـ ٦٧.

فهرس المصادر

١. **إتحاف الورى بأخبار أُم القرى:** النجم محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن فهد، تحقيق: فهيم محمّد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة.

٢. **الإتقان في علوم القرآن:** جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر سيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م.

٣. **الإحتجاج:** أحمد بن على بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق سيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان، سنة ١٣٨٦ هـ .

٤. **الإحكام في أصول الأحكام:** أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مطبعة العاصمة، القاهرة.

٥. **الإحكام في أصول الأحكام:** على بن محمد الآمدي، تحقيق: عبدالرزاق العفيفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٢ هـ .

٦. **إحياء علوم الدين:** أبوحامد الغزالي، دار المعرفه، بيروت، الطبعة الأُولى.

٧. **الإختصاص:** محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، تحقيق على أكبر الغفاري، سيد محمود الزرندي، دار المفيد، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤ هـ .

٨ . **الأربعين في فضائل أميرالمؤمنين:** جمال الدين المحدّث الشيرازي، مخطوط.

٩ . **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، المطبعة الكبرى، الأميريّة، مصر، الطبعة السابعة، سنة ١٣٢٣ هـ .

١٠ . **إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء الكاملين:** عبدالوهاب الشعراني، تحقيق: محمّد عبدالقادر نصار وأحمد فريد المزيدي، دار الكرز للنشر والتوزيع، قاهره، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٦ م.

١١ . **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** محمّد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٢ . **الإستيعاب في معرفة الأصحاب:** يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٢ هـ .

١٣ . **أُسد الغابة في معرفة الصّحابة:** عزّ الدين إبن الأثير الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤ . **الإصابة في تمييز الصحابة:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمّد مغوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

١٥ . **الأُصول:** أبوبكر محمّد بن أحمد السرخسي، تحقيق: أبوالوفاء أفغاني، دار الكتاب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.

١٦ . **الإعلام بسيرة النبي:** محمّد بن يوسف الزرندي، مخطوط.

١٧ . **الإكتفاء في مناقب الخلفاء:** إبراهيم بن عبدالله الوصابي اليمني، مخطوط.

١٨ . **إكمال الكمال:** علي بن هبة الله ابن ماكولا، دار إحياء التراث العربي.

١٩ . **ألف باء في أنواع آداب وفنون المحاضرات واللغة:** يوسف بن محمّد البلوي المالقي (ابن الشيخ)، مخطوط.

٢٠ . **الأمالي:** الشيخ الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بابويه القمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠ هـ .

٢١ . **الإمامة والتبصرة:** علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٣٦٣ ش.

٢٢ . **الإمامة والسياسة:** أبومحمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمّد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، سنة١٤١٣ هـ .

٢٣ . **الأنساب:** عبدالكريم بن محمّد التميمي السمعاني، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨ هـ .

٢٤ . **السيرة الحلبيّة (إنسان العيون):** علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي القاهري، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٥ . **بحار الأنوار:** محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ .

٢٦ . **البداية والنهاية:** إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٧ . **البرهان في تفسير القرآن:** سيد هاشم البحراني، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة، قم.

٢٨ . **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد** عليهم السلام**:** أبوجعفر محمّد بن الحسن فرّوخ الصفّار، منشورات الأعلمي، طهران، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٤ ش.

٢٩ . **بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة:** جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمّد ابوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان.

٣٠ . **تاج العروس من جواهر القاموس:** محب الدين محمّد مرتضى الزبيدي الحنفي، تحقيق: علي الشيري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٤ هـ .

٣١ . **تاريخ الإسلام:** محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩ هـ .

٣٢ . **تاريخ الخلفاء:** جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: لجنة من الأُدباء، مطابع معتوق أفوانه.

٣٣ . **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس:** حسين بن محمّد بن الحسن الدياربكري، دار صادر، بيروت.

٣٤ . **التاريخ الصغير:** محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٣٥ . **تاريخ الطبري:** محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٣٦ . **التاريخ الكبير:** محمّد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الاسلامية، دياربكر ـ تركيا.

٣٧ . **تاريخ المدينة:** عمر بن شبه النميري البصري (ابن شبه)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم ـ إيران، سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٣٦٨ ش.

٣٨ . **تاريخ اليعقوبي:** أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٣٩ . **تاريخ بغداد:** أحمد بن علي أبوبكر الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٤٠ . **تاريخ مدينة دمشق:** علي بن الحسن (إبن عساكر)، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥ هـ .

٤١ . **تأويل مختلف الحديث:** أبومحمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمّد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٢ م.

٤٢ . **التبيان في تفسير القرآن:** الشيخ أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٩ هـ .

٤٣ . **تحصيل الكمال في أسماء رجال المشكاة:** عبدالحق الدهلوي، مخطوط.

٤٤ . **تحف العقول عن آل الرسول:** الشيخ أبومحمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، قرن الرابع، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤ هـ .

٤٥ . **تحفه اثنا عشريه:** عبدالعزيز الدهلوي، الكتابخانه، بيشاور ـ باكستان.

٤٦ . **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:** جلال الدين السيوطي، دار الفكر، سنة ١٤١٤ هـ .

٤٧ . **تدوين القرآن:** علي الكوراني العاملي، دار القرآن الكريم، الطبعة الأُولى.

٤٨ . **تذكرة الحفاظ:** شمس الدين محمّد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩ . **تذكرة الفقهاء:** حسن بن يوسف بن المطهر العلاّمة الحلّي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٤ هـ .

٥٠ . **تذكرة الموضوعات:** محمّد طاهر بن علي الهندي الفتني.

٥١ . **تذكرة خواصّ الأُمّة بذكر خصائص الأئمّة:** يوسف بن قُزُغْلي سبط ابن الجوزي الحنفي، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، إيران، سنة ١٤١٨ هـ .

٥٢ . **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف:** أبومحمّد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧ هـ .

٥٣ . **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم):** إسماعيل بن عمر القرشي البصري، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٥٤ . **تفسير البغوي (معالم التنزيل):** أبومحمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: خالد عبدالرحمن عك، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٥ هـ .

٥٥ . **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل):** عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الفكر.

٥٦ . **تفسير الثعالبي (جواهر الحسان في تفسير القرآن):** عبدالرحمن بن محمّد الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٨ هـ .

٥٧ . **تفسير الجلالين:** جلال الدين محمد المحلّى وجلال الدين السيوطي، تحقيق: مروان سوار، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٥٨ . **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب):** محمّد بن عمر (الفخر الرازي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٥٩ . **تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن):** محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥ هـ .

٦٠ . **تفسير العياشي:** محمّد بن مسعود بن عياش السمرقندي (العياشي)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٦١ . **تفسير القرطبي:** محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق وتصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٦٢ . **تفسير القمي:** علي بن إبراهيم القمي، السيّد طيب الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، قم، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٤ هـ .

٦٣ . **تفسير فرات الكوفي:** فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمّد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٦٤ . **التفسير والمفسّرون:** محمّد حسين الذهبي، آوند دانش للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

٦٥ . **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب:** محمدهادي المعرفت، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩ هـ .

٦٦ . **تقريب التهذيب:** أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥ هـ .

٦٧ . **تلبيس إبليس:** أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد ابن الجوزي، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٦٨ . **التمهيد في بيان التوحيد:** أبوشكور محمّد بن عبدالسعيد الكشي السالمي، طبع حجر، طهران، ١٨٩٢ م.

٦٩ . **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** أبوعمر يوسف بن عبدالله النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمّد عبدالكبير البكري، مؤسسة القرطبي.

٧٠ . **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة:** علي بن محمد الكناني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله بن محمّد الغماري، مكتبة القاهرة، مصر.

٧١ . **تهذيب الأحكام:** محمّد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٦٤ ش.

٧٢ . **تهذيب الأسماء واللغات:** أبوذكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٧٣ . **تهذيب التهذيب:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤ هـ .

٧٤ . **تهذيب الكمال من أسماء الرجال:** يوسف بن عبدالرحمن المزّي، تحقيق: بشّار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٦ هـ .

٧٥ . **تهذيب اللغة:** محمّد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ٢٠٠١ م.

٧٦ . **الثقات:** محمّد بن حبّان التميمي البستي (ابن حبّان)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٩٣ هـ .

٧٧. **الجامع لأحكام القرآن:** محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ .

٧٨ . **جامع الأُصول في أحاديث الرسول:** مجدالدين أبوالسعادات المبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأُولى.

٧٩ . **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:** جلال الدين السيوطي، دار الفكر، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠١ هـ .

٨٠ . **جامع بيان العلم وفضله:** يوسف بن عبدالبر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، سنة ١٣٩٨ هـ .

٨١ . **الجرح والتعديل:** عبدالرحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، دار الكتب العربي، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٨٢ . **جمع الجوامع:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تخريج وتعليق وضبط: خالد عبدالفتاح شبل، دارالكتب العلميه، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٨٣ . **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم:** محمّد بن فتوح الحميدي، تحقيق: على حسين البواب، دار النشر ودار ابن حزم، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٣ هـ .

٨٤ . **جواهر العقدين في فضل الشرفين:** علي بن عبدالله السمهودي، دراسة تحقيق: موسى بناي العليلي، مطبعة النعماني، بغداد، سنة ١٤٠٥ هـ .

٨٥ . **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام:** الشيخ محمّد حسن النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة، سنة ١٩٨١ م.

٨٦ . **الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة:** أبومحمّد عبدالقادر بن محمّد ابن أبي الوفاء القرشي، تحقيق: عبدالفتّاح محمّد الحلو، هجر للطباعة والنشر.

٨٧ . **الحاشية على الكاشف:** محمّد بن الحسن البدخشي، مخطوط.

٨٨ . **حديث الثقلين تواتره فقهه كما في كتب السنة نقد لما كتبه الدكتور السالوس:** السيد علي الحسيني الميلاني، الحقائق، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٣٠ هـ .

٨٩ . **حكم الأرجل في الوضوء:** السيد علي الحسيني الميلاني، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٧ هـ ـ ١٣٨٥ ش.

٩٠ . **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥ هـ .

٩١ . **خصائص أميرالمؤمنين:** أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

٩٢ . **خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** أحمد بن عبدالله الخزرجي، مخطوط.

٩٣ . **الدرّ المنثور في التفسير المأثور:** جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر.

٩٤ . **دراسات في منهاج السنة:** سيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الاسلامية، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٨ هـ .

٩٥ . **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٦ . **دلائل الصدق لنهج الحق:** محمّد حسن المظفّر، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دمشق، سنة ١٣٨٠ هـ .

٩٧ . **ذكر أخبار إصبهان:** أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل، سنة ١٩٣٤ م.

٩٨ . **ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة:** محمّد بن جمال الدين مكّي العاملي الجزيني، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩ هـ .

٩٩ . **رسالة الأعور الواسطي:** يوسف الأعور الواسطي، مخطوط.

١٠٠ . **الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنة:** السيد علي الحسيني الميلاني، مطبعة ياران، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ .

١٠١ . **روضة العلماء والمذكرين:** علي بن يحيى الزندويسي، مخطوط.

١٠٢ . **روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر:** أبوالوليد محمّد بن الشحنة الحلبي، مخطوط.

١٠٣ . **الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة:** أبوجعفر أحمد المحب الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٤ . **زاد المعاد في هدى خير العباد:** محمّد بن أبي بكر ابن القيّم الجوزية، دار ابن حزم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت والكويت.

١٠٥ . **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد:** محمّد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.

١٠٦ . **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي:** عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكّي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٠٧ . **سنن ابن ماجه:** أبوعبدالله محمّد بن يزيد القزويني، علّق عليه: محمّد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠٨ . **سنن أبي داود:** أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمّد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

١٠٩ . **سنن الترمذي:** محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

١١٠ . **سنن الدارمي:** أبومحمّد عبدالله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، مطبعة الإعتدال، دمشق، سنة ١٣٤٩ هـ .

١١١ . **السنن الكبرى:** أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١ هـ .

١١٢ . **سير أعلام النبلاء:** محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، سنة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م.

١١٣ . **السيرة النبوية:** إسماعيل بن كثير الدمشقي (ابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧١ م.

١١٤ . **الشافي في الإمامة:** علم الهدى علي بن حسين الموسوي البغدادي (السيد المرتضى)، مؤسسه الإسماعيليان، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠ هـ .

١١٥ . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** أبوالفلاح عبدالحيّ ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٦ . **شرح السنّة:** أبومحمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، الطبعة الأُولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: السيد الجميلي.

١١٧ . **شرح العضدي على مختصر ابن الحاجب:** عبدالرحمن بن أحمد بن الإيجي، ضبطه ووضع حواشيه: فادي نصيف وطارق يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١١٨ . **شرح المقاصد في علم الكلام:** سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

١١٩ . **شرح صحيح البخاري:** ابن بطال أبوالحسن علي بن خلف بن عبدالملك، تحقيق: أبوتميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

١٢٠ . **شرح صحيح البخاري:** ابن أبي الحديد، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م.

١٢١ . **شرح صحيح مسلم (النووي):** يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٢٢ . **شرح منهاج الكرامة والردّ على منهاج ابن تيمية:** السيد علي الحسيني الميلاني، الحقائق، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٨ هـ .

١٢٣ . **شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر:** نورالدين علي بن سلطان محمّد القاري الهروي، تحقيق قدّم له: الشيخ عبدالفتح أبوغدّة، دار الأرقم، لبنان ـ بيروت.

١٢٤ . **شرح نهج البلاغة:** ابن أبي الحديد، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م.

١٢٥ . **الشفا بتعريف حقوق المصطفى:** أبوالفضل عياض اليحصبي، مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء لأحمد بن محمّد بن محمّد الشمني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٢٦ . **صحيح البخاري:** محمّد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

١٢٧ . **صحيح الترمذي:** محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٨ . **صحيح مسلم:** أبوالحسين مسلم بن الحجّاج، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

١٢٩ . **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة:** أحمد بن حجر الهيتمي المكي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

١٣٠ . **الصواقع الموبقة:** محمّد نصرالله الكابلي، مخطوط.

١٣١ . **الضعفاء والمتروكين:** ابوالفرج عبدالرحمن بن على (ابن الجوزي)، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٦ هـ .

١٣٢ . **الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع:** شمس الدين محمّد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٣٣ . **طبقات الشافعية:** أبوبكر بن أحمد بن محمّد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: الحالفظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٧ هـ .

١٣٤ . **طبقات الشافعية الكبرى:** تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: محمود محمّد الطناحي وعبدالفتاح محمّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣ هـ .

١٣٥ . **طبقات الشافعيّة:** عبدالرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، سنة ٢٠٠٢ م.

١٣٦ . **الطبقات الكبرى:** محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠ هـ .

١٣٧ . **العِبر في خبر من غبر:** شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: فوائد سيد أمين، التراث العربي، الكويت، سنة ١٩٦١ م.

١٣٨ . **عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار:** كنتوري ميرحامد حسين، محقّق ومصحّح وناشر: غلام رضا مولانا البروجردي، قم، سنة ١٤٠٤ هـ .

١٣٩ . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين:** تقي الدين محمّد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، تحقيق: محمّد عبدالقادر أحمد عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٤٠ . **العقد الفريد:** أبوعمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه (ابن عبد ربّة الأندلسي)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤ هـ .

١٤١ . **علل الشرائع:** الشيخ الصدوق أبوجعفر محمّد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م.

١٤٢ . **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري:** بدرالدين محمود بن أحمد العيني، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٤٣ . **العناية في شرح الهداية:** محمّد بن محمّد بن محمود ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، دار الفكر.

١٤٤ . **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي** صلّى الله عليه وسلّم: قاضي أبوبكر ابن العربي، حقّقه وعلّق حواشيه: محبّ الدين الخطيب، الدار السعودية للنشر، الطبعة الأُولى، القاهرة سنة ١٣٧١ هـ ; الطبعة الثانية، جدّة، سنة ١٣٨٧ هـ .

١٤٥ . **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير:** محمّد بن عبدالله بن يحيى ابن سيد الناس، مكتبة القدسي، القاهرة، سنة ١٣٥٦ هـ .

١٤٦ . **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين حسن بن محمد بن حسين قمى نيشابورى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م.

١٤٧ . **الغيبة:** ابن أبي زينب محمّد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، أنوار الهدى، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢ هـ .

١٤٨ . **الفائق في غريب الحديث:** محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمّد البجاوي ومحمّد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

١٤٩ . **الفتاوى الكبرى:** تقي الدين ابن تيميّة، تحقيق: محمّد عبدالقادر عطاء ـ مصطفى عبدالقادر عطاء، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٥٠ . **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية.

١٥١ . **الفتوحات المكيّة:** محيي الدين بن عربي، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.

١٥٢ . **الفرج بعد الشدّة:** المحسن بن علي بن محمّد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

١٥٣ . **فردوس الأخبار:** شيرويه بن شهردار أبوشجاع الديلمي، تحقيق: سعيد بن بسيوني الزغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٤ . **الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة:** ابن الصباغ عليّ بن أحمد المالكي المكي، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢ هـ .

١٥٥ . **فضائل خلفاء الأربعة وغيرهم:** أبونعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: صالح بن محمّد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٥٦ . **الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين:** أحمد بن زيني دحلان، قاهره، سنة ١٣١٠ هـ .

١٥٧ . **فضائل الصحابة:** أحمد بن شعيب النسائي، دارالكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٥٨ . **فضائل الصحابة:** أحمد بن حنبل أبوعبدالله الشيباني، تحقيق: وصي الله محمّد عبّاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١٥٩ . **فوات الوفيات:** محمّد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٩٧٣ م.

١٦٠ . **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير:** محمّد بن عبدالرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م.

١٦١ . **قاموس الرجال:** محمّد تقي التستري، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩ هـ .

١٦٢ . **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:** شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن الذهبي، دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن، جدّة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

١٦٣ . **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن):** شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ـ الرياض، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٦٤ . **الكافي:** أبوجعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، مرتضى الآخوندي، تهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ .

١٦٥ . **الكامل في ضعفاء الرجال:** أبوأحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٦٦ . **كتاب التوحيد:** محمّد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة.

١٦٧ . **كتاب الثقات:** محمّد بن حبّان بن أحمد البستي، تحت مراقبة محمّد عبدالمعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن ـ الهند، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٩٣ هـ .

١٦٨ . **كتاب العين:** أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٦٩ . **كتاب المعارف:** أبومحمّد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، حقّقه وقدّم له: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

١٧٠ . **كتاب الموضوعات:** أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبدالرحمن محمّد عثمان، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.

١٧١ . **كتائب أعلام الأخيار:** محمود بن سليمان الكَفَوي الرومي، مخطوط.

١٧٢ . **كشف الأسرار عن أُصول فخر الإسلام البزدوي:** عبدالعزيز بن أحمد بن محمّد علاءالدين البخاري، تحقيق: عبدالله محمود محمّد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٧٣ . **كشف الظنون:** مصطفى بن عبدالله (حاجي خليفة)، تحقيق: محمّد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلگه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٧٤ . **كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (بالخصائص الكبرى):** جلال الدين عبدالرحمن أبوبكر السيوطي، دار الكتاب العربي، حيدرآباد الدكن ـ الهند، سنة ١٣٢٠ هـ .

١٧٥ . **الكفاية في علم الرواية:** أبوأحمد بن علي (الخطيب البغدادي)، تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٥ هـ .

١٧٦ . **كمال الدين وتمام النعمة:** محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق)، تحقيق علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، سنة ١٤٠٥ هـ .

١٧٧ . **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال:** علاء الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

١٧٨ . **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري:** شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م والطبعة الثانية، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

١٧٩ . **اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة:** جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية.

١٨٠ . **لسان الميزان:** ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٦ هـ .

١٨١ . **مباحث في علوم القرآن:** صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، ١٩٧٧ م.

١٨٢ . **مجمع بحار الأنوار فى غريب التنزيل ولطائف الأخبار:** محمّد طاهر الصديقي الفتني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ـ الهند، سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٨٣ . **مجمع البيان في تفسير القرآن:** أبوعلي الطبرسي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ .

١٨٤ . **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ .

١٨٥ . **المحاسن:** أبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، طهران، سنة ١٣٧٠.

١٨٦ . **محاضرات الأُدباء ومحاضرات الشعراء والبلغاء:** أبوالقاسم الحسين بن محمّد الراغب الإصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ .

١٨٧ . **محاضرات الأُدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب:** أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

١٨٨ . **المحلّى:** علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسى، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار الفكر، بيروت.

١٨٩ . **تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقايق التأويل):** أبوالبركات عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمّد الشعار، دار النفائس، بيروت، سنة ٢٠٠٥ م.

١٩٠ . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان:** عبد الدين أسعد اليافعي المكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٩١ . **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** نورالدين علي بن سلطان بن محمّد القاري الهروي، دارالفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٩٢ . **مروج الذهب:** على بن حسين مسعودى، الشركة العالمية، الطبعة الأُولى، سنة ١٩٨٩ م.

١٩٣ . **المستدرك على الصحيحين:** محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١ هـ .

١٩٤ . **المستصفى في علم الأُصول:** أبوحامد محمّد بن محمّد بن محمّد، تحقيق: محمّد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م.

١٩٥ . **مسند أبي يعلى:** أحمد بن علي أبويعلى موصلى تميمى، تحقيق حسين سالم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، سنة ١٤٠٤ هـ .

١٩٦ . **مسند أحمد بن حنبل:** أحمد بن حنبل شيباني، دار صادر، بيروت.

١٩٧ . **المصنّف:** أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

١٩٨ . **المصنّف:** عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٩٩ . **مطالب السئول في مناقب آل الرسول** عليهم السلام**:** محمّد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية.

٢٠٠ . **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي):** الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد بن عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

٢٠١ . **معجم الأُدباء:** ياقوت الحموي، دارالفكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٠٢ . **المعجم الأوسط:** أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمّد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، سنة ١٤١٥ هـ .

٢٠٣ . **المعجم الصغير:** سليمان بن احمد طبرانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠٤ . **المعجم الكبير:** سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٠٥ . **المعجم المختص بالمحدّثين:** شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٢٠٦ . **معجم المؤلّفين تراجم مصنفي الكتب العربية:** عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، بيروت.

٢٠٧ . **معجم رجال الحديث:** السيد أبوالقاسم الموسوي الخوئي، منشورات مدينة العلم، آية اللّه العظمى الخوئي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ .

٢٠٨ . **معجم مقاييس اللغة:** أبوحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٠٩ . **المغني في الضعفاء:** شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سوريا، ١٣٩١ هـ .

٢١٠ . **المغني في الضعفاء:** شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢١١ . **المفاتيح شرح المصابيح:** الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني، مخطوط.

٢١٢ . **مفتاح النجاء في مناقب آل العباء:** محمّد بن رستم معتمد خان البدخشي، مخطوط.

٢١٣ . **مقدمة فتح الباري:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨ هـ .

٢١٤ . **الملل والنحل:** محمّد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمّد سيد گيلانى، دار المعرفة، بيروت.

٢١٥ . **من لا يحضره الفقيه:** الشيخ ابن بابويه الصدوق القمي، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٤ هـ .

٢١٦ . **مناقب الإمام الشافعي:** محمّد بن عمر بن الحسين فخرالدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٢١٧ . **مناقب علي بن أبي طالب** عليه السلام **وما نزل من القرآن في علي** عليه السلام**:** أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصفهاني، جمّعه ورتّبه وحقّقه: عبدالرزاق محمّد حسين حرز الدين، دار الحديث، قم، سنة ١٤٢٢ هـ ـ ١٣٨٠ ش.

٢١٨ . **المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين:** أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م.

٢١٩ . **منهاج السنّة النبويّة في نقص كلام الشيعة القدرية:** أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٢٢٠ . **منهاج الكرامة في معرفة الإمامة:** الحسن بن يوسف المطهر (العلاّمة الحلّي)، تحقيق: عبدالرحيم مبارك، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية، مشهد، سنة ١٣٧٩ هـ .

٢٢١ . **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢ هـ .

٢٢٢ . **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي:** محمّد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦ هـ .

٢٢٣ . **المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة:** أبوالعبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر القسطلاني، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة ـ مصر.

٢٢٤ . **الموضوعات:** عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥ هـ .

٢٢٥ . **ميزان الإعتدال في نقد الرجال:** أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

٢٢٦ . **الناسخ والمنسوخ:** محمّد بن عبدالله بن علي العامري، مخطوط.

٢٢٧ . **نزهة النظر من توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر:** أبوالفضل أحمد بن علي بن محمّد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢ هـ .

٢٢٨ . **نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض:** أحمد شهاب الدين الخفاجي، دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٢٩ . **نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار:** السيد علي الحسيني الميلاني، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٤ هـ قم.

٢٣٠ . **نوادر الأصول في أحاديث الرسول:** ابوعبدالله محمّد بن على (حكيم ترمذى)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٩٢ م.

٢٣١ . **نهاية العقول في دراية الأُصول:** محمد بن عمر فخرالدين رازى، تحقيق: سعيد عبداللطيف فودة، دارالذخائر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٥ م.

٢٣٢ . **النهاية في غريب الحديث والأثر:** مجدالدين بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٦٤ ش.

٢٣٣ . **نهج الإيمان:** زين الدين علي بن يوسف بن جبر، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مجتمع الإمام الهادي عليه السلام، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ .

٢٣٤ . **نهج البلاغة:** صبحي صالح، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩ هـ .

٢٣٥ . **الوافي بالوفيات:** خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ .

٢٣٦ . **وسائل الشيعة:** الشيخ الحرّ العاملي، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ هـ .

٢٣٧ . **وفيات الأعيان:** أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان الشافعي، دار صادر، بيروت.

٢٣٨ . **الهداية (في الأُصول والفروع):** محمد بن على بن حسين بن بابويه (شيخ صدوق)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٨ هـ .

٢٣٩ . **هدية العارفين:** إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٢٤٠ . **ينابيع المودة لذوي القربى:** سليمان بن ابراهيم قندوزى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوه، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٦ هـ .

٢٤١ . **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر:** عبدالوهاب الشعراني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

فهرس المحتويات

كلمة المؤلف

وصيّة النبي الأكرم ومخالفة الأُمّة

في السنّة والفقه

في القرآن ...

المقدّمات

المقدّمة الأُولى: في عظمة القرآن الكريم

المقدّمة الثانية: في أنه لا يفسّر القرآن إلاّ النبيّ وأوصياؤه

المقدّمة الثالثة: في انتهاء علم التفسير إلى علي عليه السّلام

المقدمة الرابعة: في أقسام معاني ألفاظ القرآن

المقدّمة الخامسة: في معنى التفسير والتأويل

هل التفسير والتأويل بمعنى واحد؟

تعريف علم التفسير

تقسيم الآيات إلى قسمين

تعريف التأويل

المراد من الباطن؟

التفسير والمفسّرون عند أهل السنّة

تمهيدات

كلام السيوطي في طبقات المفسّرين

كلام أحمد في كتب التفسير

كتب التفسير مشحونة بالموضوعات

طبقة الصّحابة

كلام ابن حزم حول علم الصّحابة

اعتراف ابن كثير بجهلهم في التفسير

تحرّج الدكتور الذهبي

والاستاذ المعاصر ...

بحث حول اعتبار قول الصّحابي في التفسير

الخلفاء والتفسير

السبّب في قلّة التفسير عن المشايخ الثلاثة

موقف المتعصّبين من تفسير أميرالمؤمنين

عبدالله بن مسعود

ترجمته

بين عثمان وابن مسعود

الدفاع عن عثمان

ابن مسعود في نظر أصحابنا الإماميّة

الكلام حول مصحفه

٣ـ إنكاره المعوّذتين

مشكلة الفاتحة والمعوّذتين وطرق حلّها

١ ـ تكذيب الأخبار

٢ ـ الإبهام

٣ ـ التأويل والحمل

٤ ـ الردّ والتخطئة

الصّادق: أخطأ ابن مسعود

عبدالله بن عباس

قوله بوقوع الخطأ في القرآن

قوله بالمتعة وهي عند جمهورهم حرام

قوله برؤية النبي ربّه

إنكار عائشة ذلك

تأويل إنكار عائشة

إنكار الصّحابة

محاولة الجمع

إنكار عائشة على ابن عبّاس في مسائل أُخرى

قوله بالرأي

أين كان ابن عباس عن علم علي والعترة؟

أُبيّ بن كعب

إنكاره المعوّذتين

من كفر بآية من القرآن كفر بكلّه

أُبي بن كعب عند أصحابنا

زيد بن ثابت

زاد في القرآن ونقص منه

ردُّه عمر بن الخطّاب في آية مع قبوله خزيمة في أُخرى

وَصَفه عمر بالجور في الحكم

وصفه المازني الصحابي بالضلال والإضلال

أحاديث في ذمّ القاضي الجائر

تكلّم ابن مسعود في زيد بن ثابت

إضطراب القوم في ما رووه عن ابن مسعود في زيد

كلمة في زيد بن ثابت

هل كان زيد يهوديّاً؟

أبوموسى الأشعري

قوله بنقصان القرآن

توقّف عمر عن قبول خبره

إنحرافه عن أميرالمؤمنين

ترجمة ابن عبدالبر

كلام حذيفة بن اليمان في أبي موسى

علي باب حطّة من خرج منه كان كافراً

كتم كلام حذيفة في أبي موسى

من مشاهد انحراف أبي موسى عن علي

ما كان بينه وبين الإمام الحسن وعمّار

كتاب الإمام إليه

تكلّم الإمام فيه

شمول دعاء النبيّ يوم الغدير له

ضلاله بحكم حديث الثقلين

معصيته لله وللرسول

حديث خاصف النعل

قصّة التحكيم

تكلّم الإمام في أبي موسى بعد التحكيم

لعن النبي أباموسى الأشعري

ترجمة ابن عساكر

قنوت علي بالدعاء على أبي موسى في جماعة

تنبيه حول كتاب الإمامة والسياسة

ترجمة ابن قتيبة

عبدالله بن الزبير

أوّل شهادة زور في الإسلام

قبائح ابن الزبير في هذه القصّة

خروجه لقتال الإمام

ترجمة ابن عبد ربّه

كان عمر يرى الزبير وأصحابه مفسدين

كلامٌ لابن طلحة الشافعي

عبدالله بن الزبير يحاول إقناع أبيه

كلام الإمام في عبدالله بن الزبير

بين عبدالله بن الزبير والإمام الحسين

أحاديث في ذمّ بغض علي وأهل البيت عليهم السّلام

ومن مساوئه في كتب التاريخ والحديث

رواية موضوعة عن ابن عبّاس في مدح ابن الزبير

بين عائشة وابن الزبير

محاولة التأويل

قول معاوية لابن الزبير: إنّك لمخالف ...

لعن أميرالمؤمنين ابن الزبير

تحريف الرواية

قول النبي لابن الزبير: ويل للناس منك ...

كلام أبي برزة في ابن الزبير

كلمات الحفّاظ بشرح كلام أبي برزة

تكلّم ابن عمر في ابن الزبير

جماعةٌ آخرون من الصّحابة

أنس بن مالك

كتمانه الشهادة

تحريف الحديث

الكذب

حضوره عند ابن زياد وهو ينكت ثنايا أبي عبدالله

طعن أبي حنيفة فيه

كان يلبس الحرير

تقصيره الصّلاة وتركه الصّيام مدّة سنتين

أبوهريرة

موالاته عدوّ عليّ

لعبة القمار والشطرنج

أبوهريرة في نظر الصّحابة

تكذيب عائشة أباهريرة

تحريف معنى الحديث

تكذيب عمر أباهريرة

عزله عن البحرين وهتكه

أبوهريرة عند أبي حنيفة

أبوهريرة عند عيسى بن أبان

أبوهريرة عند محمّد بن الحسن

ترجمة محمّد بن الحسن الشيباني

عبدالله بن عمر

إباؤه عن البيعة لأميرالمؤمنين

بيعته ليزيد بن معاوية

ابن عمر في نظر عائشة

ابن عمر عند سائر الصّحابة

عبدالله بن عمرو بن العاص

هو الذي أدخل الإسرائيليّات

خروجه لقتال الإمام في صفّين

تكذيب معاوية روايته

طبقة التابعين

قال السيوطي

مجاهد

تفسيره من أهل الكتاب

اشتماله على المنكرات الشديدة

نسبته المعصية إلى يوسف عليه السّلام

عكرمة مولى ابن عبّاس

هو من أعلام الخوارج

قوادحه كما في ميزان الإعتدال

قوادحه كما في معجم الأُدباء

١ ـ طعنه في الدين

٢ ـ إنّه كان يرى رأي الخوارج

٣ ـ إنّه كان كذّاباً

٤ ـ عكوفه على أبواب الأُمراء للدنيا

٥ ـ ترك الناس جنازته

٦ ـ قدح الأكابر فيه وتكذيبه

الحسنُ البَصري

هو من القدريّة

ذم القدريّة في روايات القوم

دفاع الذهبي عن الحسن البصري

كان الحسن مدلّساً

لعبه بالشطرنج

نسبته المعصية إلى يوسف

فساد مذهبه يوجب الحكم بكفره

رأي السيد صاحب عبقات الأنوار في الحسن البصري

عطاء بن أبي رباح

لعبه بالشطرنج

تركه النهي عن المنكر

كان يأخذ من كلّ أحد ويروي المرسلات

عطاء بن أبي سلمة الخراساني

أبوالعالية

الضحّاك بن مزاحم

عطيّة بن سعد العوفي

قتادة

كان يتّهم بالقدر

كان كحاطب ليل

كان يدلّس

قصّة أبي حنيفة معه

كلام الامام الباقر معه

زيد بن أسلم

مُرّة بن شراحيل

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم

نقدٌ لما قيل في مدح التابعين والدفاع عنهم

الطبقة الثالثة

قال السيوطي

سفيان بن عيينة

كان يدلّس

من كلماتهم في ذمّ التدليس

اختلط في آخر عمره

وكيع بن الجرّاح

له قوادح

عبدالرزّاق بن همام

إسحاق بن راهويه

روح بن عبادة

عبد بن حميد

سُنيد بن داود

ابن أبي شيبة

ابن شهاب الزّهري

كان بصحبة الأُمراء

ترجمته في كتاب الرسائل العشر

ترجمته في كتاب عبقات الأنوار

كتاب أبي حازم إلى الزهري

ترجمة أبي حازم الأعرج

حال والد الزهري وجدّه

جويبر بن سعيد

أبوصالح باذام

ليث بن أبي سليم

عبدالله بن أبي نجيح

عيسى بن ميمون

مقاتل بن حيّان

مقاتل بن سليمان

السدّي الكبير

محمّد بن السّائب الكلبي

علي بن أبي طلحة

سعيد بن بشير

الفريابي

عثمان بن أبي شيبة

الطبقة الرابعة

قال السيوطي

تفسير ابن جرير الطبري

تفسير ابن أبي حاتم

تفسير الحاكم النّيسابوري

تفسير ابن ماجة

تفسير ابن مردويه

تفسير ابن المنذر

تفسير ابن أبي داود السجستاني

تفسير أبي بكر النقّاش

طبقة المتأخّرين

الزجّاج

أبوحيّان الأندلسي

الفخر الرازي

الكذب

التعصّب

التلبيس

التحريفُ والخيانة في النقل

كلمات العلماء فيه

فهرس المصادر